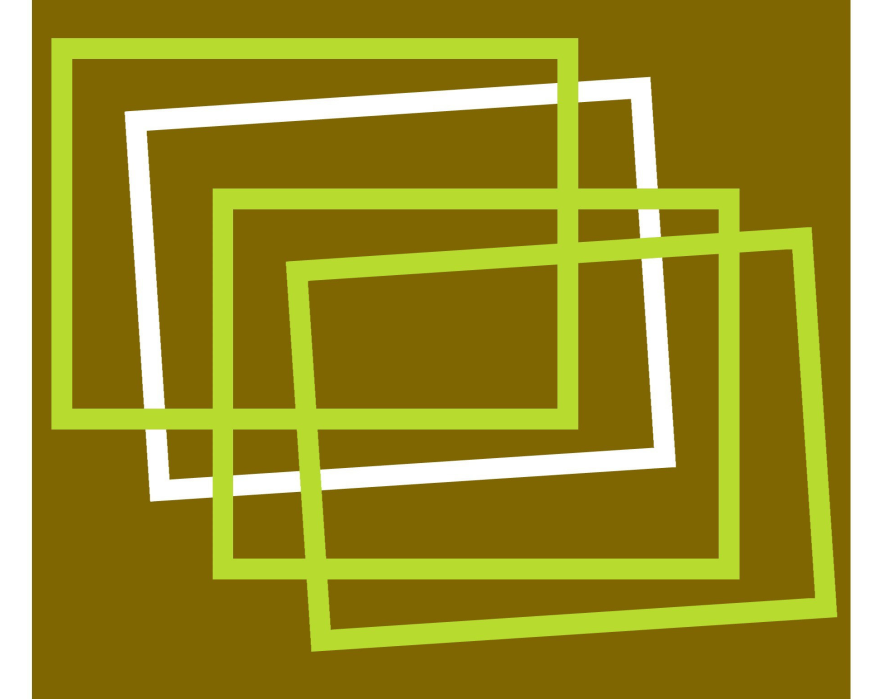
مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات- ألمانيا

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية

دورية دولية محكمة
تعنى بنشر نتائج البحوث الاستطلاعية
في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية



ISSN 2701-9233

مركز مؤشر للاستطلاع و التحليلات

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية

INDEX CENTER FOR POLLIS & ANALYZES , GERMANY

Journal (Index) of exploratory studies

International scientific periodical journal
Deals with the field of exploratory studies of social and human sciencies



Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de
http://indexpolls.de

مجلة مؤشر
للدراسات الاستطلاعية

Journal (index) of exploratory studies



دورية دولية محكمة

تعنى بنشر نتائج البحوث الاستطلاعية

في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي

ومركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات بألمانيا

مدير المركز الديمقراطي العربي

عمّار شرعان



مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات

د. سعد الحاج بن جخدل

مدير المجلة

د. قليل محمد رضا

رئاسة هيئة التحرير

د. عمارة الجيلالي

الأمانة العامة للنشر

د. عرقوب محمد

Volume/المجلد

1

Issue/العدد

3

Year/السنة

جوان 2021

ISSN:2701-9233

Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str: 112

http://democraticac.de http://indexpolls.de

Tel: 0049-Code

030-89005468/030- 89899419/030-57348845

Mobiltelefon: 00491742787

محددات النشر

- تقبل المجلة المقالات المحررة باللغات العربية أو الإنجليزية أو الألمانية.
- تحث المجلة الباحثين على اتباع الشروط والمعايير الواردة في دليل النشر الخاص بالجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) في طبعته السادسة.
- تقبل المجلة المقالات بأحجام لا تزيد عن 20 صفحة.
- لا تقبل المجلة البحوث المنشورة سابقا، أو التي هي قيد الدراسة للنشر في مجلة أخرى.
- يقدم العمل في ملف وورد فقط.
- حجم الخط (14) ونوع الخط ساكال مجلة (SakkalMajalla)، وأن تترك مسافة واحدة بين الأسطر؛ وتفعل روابط الويب بوضع خط تحتها؛ لكي يتم فتحها.
- تزرع الصور التوضيحية والجداول والأشكال حسب ورودها في النص، ولا توضع في آخره.
- عدم استخدام الهوامش، ويمكن استخدام التوضيحات في النص، كما يجب إضافة الوصف التفصيلي في ملاحق منفصلة.
- لا يجب أن ترد أسماء المؤلفين في متن النص أوقائمة المصادر؛ وإذا كان لزاما فعل ذلك فيتم استبدالها بكلمة (المؤلف)؛ ويعتبر المؤلف مسؤولا عن إعادة تصحيح هذه التغيرات في حال قبول المقالة للنشر.
- يجب على المؤلف أن ينسخ نسخة من الاتفاقية ويوقع عليها ويرسلها إلى هيئة تحرير المجلة.
- يتم رفض أو قبول البحوث اعتمادا على تقارير المحكمين الدوليين.
- عند قبول البحث يتسلم الباحث إشعارا بالقبول، وفي حال طولب بالتعديل يمنح مهلة لإتمام جميع التصويبات والإجراءات (إن وجدت).

عناوين المراسلة

البريد الإلكتروني:	journaljies@gmail.com
الهاتف:	00213660061297 00213778725481
العنوان:	Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str: 112
الموقع الإلكتروني:	www.indexpolls.de www.democraticac.de
مواقع التواصل الاجتماعي	@INDEXPOLLS @INDEXPOLLS

فهرس المحتويات:

مفاهيم أساسية في القياس محكي المرجع ودلالة استخدامها في التعلم الإتقاني

Basic concepts of reference measurement and the significance of their use in mastery learning

د. علي محمّـد، جامعة بن خلدون تيارت (الجزائر)

البريد الالكتروني:meda58277@gmail.com

د.حبّال ياسين ، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس (الجزائر)

البريد الالكتروني :yacine_22000@hotmail.com

تاريخ التلقي Submission date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ النشر Publication date
2021-05-15	2021-06-20	2021-09-20

ملخص الدراسة:

تهدف العملية التعليمية إلى أن يحقق المتعلم أهدافا محددة بدقة وليس مجرد تلقين لبعض المعلومات والحقائق العلمية وحسب، وفي هذا الصدد برز ت الاختبارات محكية المرجع والذي تروم تقويم أداء الفرد وتحديد مدى تقدمه بالنسبة لمجموعة من المهارات أو الأهداف، ومعرفة جودة الأداء في ضوء محكات محددة مسبقا، وتستلزم وجود أدوات قياس نستطيع باستخدامها تحديد ما أتقنه المتعلمون من هذه الأهداف أو لم يتقنوه.

ومن أجل تحديد ما إذا كان فرد معين قد اكتسب السلوك الذي يهدف برنامج تعليمي أو تدريبي إلى تنميته لديه،وصولا إلى مستوى الاتقان والتمكن لدى المتعلم استنادا إلى هدف تعليمي أو نطاق محدد من من المهارات.

الكلمات المفتاحية: القياس محكي المرجع ، التعلم الاتقاني.

Abstract:

The educational process aims for the learner to achieve precisely defined goals, and not merely to indoctrinate some scientific information and facts. In this regard, the Criterion referenced Test have emerged, which aim to evaluate the performance of the individual and determine the extent of his progress in relation to a set of skills or goals, and to know the quality of performance in the light of pre-defined criteria. It requires the existence of measuring tools that can be used to determine what learners have mastered of these goals or .not

In order to determine whether a particular individual has acquired the behavior that an educational or training program aims to develop in him, up to the level of mastery and mastery of the learner based on an educational goal or a specific range of skills.

key words: Criterion-Referenced-Measurement, mastery learning

مقدمة:

يكشف واقع القياس والتقويم في العلوم النفسية والتربوية عن وجود أساليب متعددة لقياس مدى تحقق الأهداف التعليمية المنشودة وقياس مستوى الإتقان والتمكن الذي حصل في تمثل المتعلم للكفاءات المستهدفة حيث ظهرت أنماط متعددة من الاختبارات منها ما استخدم لتحديد أداء الفرد بالنسبة لأداء أقرانه في الاختبار نفسه، ومنها ما استخدم محكا للحكم على مدى وصول المتعلمين إلى مستوى مطلق للأداء دون الرجوع إلى الآخرين.

كما يلعب التقويم التربوي دورا أساسيا في توجيه العملية التدريسية وإدارة الصف المدرسي،وإثراء تعلم الطلاب وتقدمهم الدراسي وتحسين مخرجات العملية التعليمية، ويعد التقويم من المجالات التربوية سريعة التغير، حيث طرأت عليه تغيرات جوهرية في فلسفاته وإجراءاته وأساليبه.(علام،2011:13)

ومن بين هذه الأساليب نجد القياس وفق مرجعية المحك بديلا لوضع العلامات والتقديرات اعتمادا على مقارنة أداء الطالب بأقرانه، فالاهتمام هنا يتركز على التعبير عن أدائه أو تحصيله في ضوء محكات أو مستويات أداء محددة مسبقا.

ويعتمد استخدامه على قرار مسبق بمقدار الأداء المقبول من الفرد، ونقطة الفصل في تحديد هذا المقدار هي التخطيط المبكر، لما يجب أن لا ينخفض عنه الأداء المقبول. (صفوت، 220:2007).

وهذه المحكات(Criteria) أو المستويات (Standards) تكون مطلقة وليست نسبية، فجميع الطلاب الذين يحققون نفس المستويات المحددة على نفس التقدير، و لا يرسب أي طالب لمجرد أن تحصيله أقل من أقرانه بشرط أن يحقق المستوى المحدد.فالعلامات أو التقديرات تكون في هذه الحالة مرجعية المحك، أومطلقة ، فالطلاب الذين يحققون المستوى المحدد لكل مهمة مرجوة يعدون ناجحين، أو يحصلون على تقدير، والذين لا يحققون المستوى المحدد يعدون راسبين، أو لا يحصلون على تقديرّ، فهذا النظام في وضع العلامات أو التقديرات يقدم معلومات نوعية بما حققه الطالب بالفعل،وما يعرفه وما يمكنه أداؤه.

يهدف القياس محكي المرجع إلى التأكد من مستوى التمكن أو الاتقان للموضوعات أو المهارات السابق دراستها،وتدل الدرجة على مستوى تمكن المتعلم من المعلومات أو المهارات ومحك الأداء هو محك محدد ومعلن مسبقا وغالبا ما يتراوح مابين 70-80 % ويستخدم هذا النوع من حالة التقويم التكوين المستمر البنائي بغرض تغطية عدد محدد من الأهداف أو الموضوعات السابق دراستها. وفي ما يأتي سوف نتطرق إلى مفهوم القياس مرجعي المحك ودلالة استخدامه في التعلم الاتقاني.

1- مفهوم الاختبار مرجعي المحك:

يشير القياس المعتمد على المحك إلى عملية تقويم أداء الفرد في ضوء محك مطلق يضعه المعلم أو العامل في القياس بناءا على معلومات قبلية خاصة بالمتعلم وبالمجال موضوع القياس،حيث يمكننا هذا القياس من التعرف على المعلومات والمهارات التي يعرفها الطالب في مادة دراسية معينة أو مجال معين، بغض النظر عما يعرفه أقرانه أو أفراد مجموعته المعيارية،فالقياس المعتمد على المحك، ليس معنيا بمقارنة أداء الفرد بأداء الآخرين،بل بما يعرف الفرد فعلا في المجال موضوع الاهتمام.(عبد المجيد النشواتي،1983،ص:612)

يعرف الاختبار مرجعي المحك بأنه الاختبار الذي يقيس أداء الفرد بالنسبة إلى مستوى مطلق للأداء دون الرجوع إلى الآخرين،وفي هذه الحالة يمكن أن نحصل على الفرروق الفردية في أداء الفرد بما حققه وما لم يحققه من الاختبار،أي الفروق بين الفرد ونفسه. (صلاح مراد،أمين سليمان،2012،ص:86)

ويعرفه علي مهدي كاظم (2001):بأنه التقويم الذي يهدف إلى مقارنة أداء الطالب بمستويات أداء –محكات- خارجية تمثل الحد الأدنى من الاتقان اللازم تحقيقه في سلوك الطالب لكي نعتبره ناجحا في تلك المهارات مثلا: أن يجيب إجابة صحيحة عن 80%من المفردات في الاختبار.

يحدد بوفام (Popham) الاختبار محكي المرجع بأنه:

"الاختبار الذي يحدد وضع الفرد بالنسبة إلى مجال سلوكي معين"(محمود عمر وآخرون،2010،ص:102) فالاختبارات محكية المرجع تتطلب تحديد سلوكيات المتعلم أو مستويات الأداء المقبول قبل بناء الاختبار،وهذه المستويات تحدد في ضوء الأهداف التي يجب على التلاميذ تحقيقها.

يهدف القياس مرجعي المحك إلى تقويم أداء الفرد وتحديد مدى تقدمه بالنسبة لمجموعة من المهارات أو الأهداف ومعرفة جودة الأداء في ضوء محكات محددة مسبقا والاختبار محكي المرجع كما حدده (Glase) هو الاختبار الذي صمم عن قصد لإعطاء قياسات تفسر مباشرة بالنسبة إلى معايير أداء محددة،بمعنى أنه يهدف إلى تقدير الفرد بغض النظر عن مستوى أداء أقرانه،حيث تفسر درجة الفرد على الاختبار في ضوء محك،يحدد حسب الأهداف الموضوعية للقياس. (محمد يونس،2008،ص:191)

وحسب(صلاح الدين محمود علام) (2007) لقد تعددت وتنوعت تعريفات الاختبارات مرجعية المحك.فهناك ما يزيد عن ستين وصفا أو تعريفا لهذه الاختبارات تتشابه في بعض عناصرها وتختلف في البعض الآخر،وربما يرجع ذلك إلى حداثة مفهوم الاختبارات مرجعية المحك وتعدد أنواع هذه الاختبارات،كما يرجع إلى عدم الاتفاق حول مفهوم المحك الذي تنسب إليه درجات الأفراد في هذه الاختبارات.

ولنستجلي المفهوم أكثر نتطرق بداية لتعريف المحك:

يعرفه نيتكو(Nitko) وجليزر أن مفهوم"المحك" "يعني نطاق شامل من المعارف والمهارات المحددة تحديدا جيدا بحيث يمكن نتيجة له موازنة أداء الفرد في الاختبار بهذا النطاق أن نعرف ما يستطيع أن يؤديه الفرد وما لا يستطيع ان يؤديه."

ويرى البعض الآخر أن المحك يشير إلى "مستوى الأداء" أو"درجة القطع" فعندما يريد المعلم أن يحقق تلاميذته مستوى اتقان معين فإنه ينبغي أن يجيب كل منهم إجابة صحيحة على نسبة مئوية من مفردات الاختبار يتم تحديدها مسبقا. ودرجة القطع هي الدرجة التي ينبغي أن يحصل عليها الفرد في النطاق الشامل لمفردات الاختبار لكي يعد متقنا لمحتوى أو مهارة معينة.(صلاح الدين محمود علام،2007،ص:27)

ويعرف المحك بأنه الاطار المرجعي الذي تفسر في ضوئه درجة الفرد وما إذا كان يعد جيد الأداء أم لا.(سوسن الجلبي،2005،ص:63)

وحسب(عباس عوض)(1998) فإن المحك أو المعيار مستوى قياسي نرجع إليه لفهم دلالة الدرجة التي تشير إلى درجة الفرد الكلية في إجابته على أسئلة الاختبار أي عدد الاجابات الصحيحة،أو إلى الزمن الذي استغرقه في الإجابة

على هذه الأسئلة.

هذا النظام من القياس يكون مناسبا عندما يهتم المعلم بتمكن أو اتقان الطلاب لنطاق محدد من مهام التعلم المراد تحقيقها، وتحديد الكفاءات التعليمية اجرائيا وكذلك مستويات الأداء المتوقعة، وقياس تحقق هذه الكفاءات باستخدام اختبارات مرجعية المحك ويمكن وضع علامات أو تقديرات ممثلة بحروف وأرقام يتم تعريفها من درجة تحقق هذه الأهداف ،فمثلا يمكن أن تكون هذه الأهداف أو الكفاءات كما يلي:

التقدير	النقاط	تحقق الأهداف والكفاءات التعليمية
(أ)	5	حقق المتعلم جميع الأهداف التعليمية الرئيسية للمادة الدراسية وكذلك جميع الأهداف الفرعية.
(ب)	4	حقق المتعلم جميع الأهداف التعليمية الرئيسية ومعظم الأهداف الفرعية.
(ج)	3	حقق المتعلم بعض الأهداف التعليمية الرئيسية ولكنه لم يحقق القدر الكافي من الأهداف الضرورية للتعلم اللاحق ويحتاج لمزيد من العون
(د)	2	حقق المتعلم بعض الأهداف التعليمية الرئيسية وبعض الأهداف الفرعية.
(هـ)	1	لم يحقق الطالب أي من الأهداف التعليمية الرئيسية للمادة الدراسية، ويفتقر إلى الأساسيات المطلوبة للتعلم اللاحق، ويحتاج إلى قدر كبير من الدعم والتقوية.

جدول رقم (1) يوضح تقديرات مرجعية المحك ممثلة بحروف وأرقام (علام:275،2011)

وهناك ثلاث تسميات مختلفة لهذه الاختبارات اعتمادا على درجة تحديد النطاق السلوكي الذي يستند إليه حيث يوردها صلاح الدين محمود علام(2007) ونلخصها فيما يلي:

1-1 الاختبارات مرجعية الهدف: وهي تلك الاختبارات التي تبنى على أساس مجموعة من الأهداف المصاغة صياغة سلوكية،حيث تكون مزاوجة بين مفردات الاختبار وهذه الأهداف،تطبق عادة هذه الاختبارات عند الانتهاء من وحدة تعليمية أو وحدة نسقية معينة.

1-2 الاختبارات مرجعة النطاق: تبنى هذه الاختبارات بتحديد نطاق سلوكي شامل من المهام أو المهارات أو المتطلبات تحديدا واضحا ودقيقا،وتختار المفردات التي يشملها الاختبار من هذا النطاق اختيارا عشوائيا.

1-3اختبارات التمكن أو الإتقان: تصمم هذه الاختبارات من أجل تحديد ما إذا كان فرد معين قد اكتسب السلوك الذي يهدف برنامج تعليمي أو تدريبي إلى تنميته لديه،أي مستوى الإتقان والتمكن الذي وصل إليه الفرد استنادا إلى هدف تعليمي أو نطاق من المهارات ويمكن أن يكون هذا الاختبار مرجعي الهدف أو مرجعي النطاق.

وعليه يمكن القول أن هذه الأقسام اتفقت في تحديدها لدرجة المحك التي تدور حول الهدف المصاغ أو النطاق السلوكي أو مستوى التمكن فكلها تنطلق من فكرة واحدة و إن اختلفت التسميات.

3- نشأة القياس مرجعي المحك وعلاقته بالتعلم من أجل الاتقان:

لقد ظهر مفهوم الاختبارات مرجعية المحك عندما نشر جليزر(Glaser) في سنة 1963 بحثا "حول تكنولوجيا التعليم وقياس مخرجات التعلم" حيث ركّز على أهمية جعل درجات الاختبار تقدم معلومات حول السلوك أكثر من تقديمها معلومات حول الأداء النسبي للفرد.(عماد عبابنة،2009،ص:16)

ثم تلا ذلك العالم الأمريكي بافام(popham) وما قدمه من إسهامات في مجال الاختبارات المرجعة إلى محك والتي أطلق عليها تسميات عديدة منها اختبارات التفوق أو اختبارات الاتقان أو اختبارات الكتابة، أو اختبارات المهارات الأساسية وهي مصممة بحيث تسمح بتفسير درجات الفرد و المجموعة بالنسبة لمجموعة من الأهداف والكفايات والمهارات المحددة بوضوح. (صلاح ، سليمان،2012،ص:86)،وقد تبلور مفهوم الاختبارات محكية المرجع في ظل التطورات الحاصلة في الأساليب التربوية ومنها ما يسمى بالتعليم المبرمج(programmed instruction) والتعليم الاتقاني(mastery learning) الذي يهتم بضمان المتعلمين لدرجة اتقان المعارف والمهارات التي يتضمنها المجال السلوكي. (عماد عبابنة،2009،ص:16)

لقد انطلقت فكرة القياس أو التقويم مرجعي المحك من أن الطالب في القياس جماعي المرجع يحصل على درجة كلية واحدة تمثل أدائه بوجه عام في محتوى معين وهذه الدرجة لا تشخص ولا تحدد مواطن الضعف في جوانب تحصيله والتعلم المدرسي كما هو معروف تعلم متعاقب متسلسل،فإذا اكتسب الطالب عند كل مرحلة المهارات اللازمة أو الضرورية لتعلم المهارات عند المرحلة التالية فإنه من المحتمل أن يكتسب المهارات التالية،أما إذا لم يتمكن من اكتساب بعض تلك المهارات فإنه لا يستطيع اكتساب المهارات التي تليها مما يعني أن العملية التعليمية متسلسلة ومتشابكة الحلقات.

وبالتالي فإن هدف العملية التعليمية كما يرى جلاسر(Glaser) (1963) وبافام(popham) وبلوم(Bloom) هو ليس إبراز الفروق الفردية بين التلاميذ وأخذ درجاتهم شكل التوزيع الاعتدالي وإنما هو معرفة مدى وصول التلميذ إلى الأهداف التعليمية التي يسعى المعلم إلى تحقيقها في الفصل الدراسي.(علي مهدي كاظم،2001،ص:38)

وارتبطت أفكار الاختبارات محكية المرجع بفكرة المسائلة التي بدأت في الظهور بشكل متواز مع ظهور تلك الاختبارات وما تستطيع أن تقدمه كبديل،حيث بدا جليا أن الاختبارات معيارية المرجع لا تخدم غرض هذه المسائلة في التربية كونها تهتم بقياس القدرة على التحصيل بصورة عامة ولا تكون حساسة اتجاه أي تغييرات أو تحسينات في المنهاج،كما أن تلك الاختبارات تتضمن فقرات اختبارية فعّالة جهة زيادة انتشار درجات المفحوصين أكثر من اهتمامها بفقرات تكشف مجالات القوة والضعف في أداء التلاميذ.(عماد عبابنة،2009،ص:17)

ويضيف(محمد حسين،2005) وإنه مع تطور المجتمعات المستمر حدث تطور كبير في التعليم،فلم يعد الهدف من التعليم هو مجرد تلقين المتعلمين بعض المعلومات والحقائق العلمية فحسب، بل تعدى ذلك فصار التعليم يهدف إلى أن يحقق المتعلم أهدافا محددة بدقة، تعينه على مزاولة الحياة بنجاح في مجتمع سريع التغير، ونتيجة لذلك ظهرت

مشكلة قياس تحصيل الطلاب ونالت اهتمام المربين وخبراء القياس النفسي والتربوي وذلك لأهمية دور أساليب القياس والتقويم في تطوير العملية التعليمية ونواتجها فالأهداف التعليمية المتطورة للمناهج الدراسية تستلزم وجود أدوات قياس نستطيع باستخدامها تحديد ما أتقنه المتعلمون من هذه الأهداف أو لم يتقنوه.

لذلك دعا عدد من علماء القياس التربوي إلى ضرورة اعتماد نظام مرجعي جديد في تقويم الطلبة والتلاميذ يتفق مع وظيفة العملية التعليمية وهي إكساب كل طالب المعارف والمهارات والميول والاتجاهات المطلوبة،بحيث يكون هدف الاختبارات التحصيلية وأدوات القياس الأخرى هي أن تبين إلى أي حد أتقن هذا الطالب هذه المهارات واكتسب هذه الميول والاتجاهات، وعليه فإن مقارنة أداء الطالب بزملائه لا يعد أمرا ضروريا في هذا المجال لان المهم هو معرفة مدى تحقق هذه التغيرات في سلوكه،والنظام المرجعي الجديد يتطلب تحديد مستويات مسبقة للأداء يسمى المحكات. (علي مهدي كاظم،2001،ص:38)

ويلاحظ في العقد الأخير جهود متواصلة في هذا المجال من علماء القياس النفسي للتغلب على المشكلات التي تؤثر في الخصائص السيكومترية للاختبارات التحصيلية من خلال بروز هذا النموذج-مرجعي المحك-والذي يجعل القياس إلى حد ما موضوعيا بمعنى عدم تأثر درجة الفرد بخصائص عينة الأفراد ولا خصائص عينة الأسئلة المكونة لأداة القياس.(محمد يونس،2008،ص:191)حيث غدا التركيز منصبا على إبداع طرق لتقييم اكتساب الطلبة لمعارف ومهارات أكثر تعقيدا وكان مرد ذلك أكثر من سبب منها، تغير أهداف التربية بصورة جوهرية،إذ أصبحت التربية تهتم بتخريج طلبة لهم القدرة على المشاركة في اقتصاد معولم قائم على المعرفة،والسبب الآخر هو الاعتقاد بأن التغيير في طرق التقويم سوف يقود إلى تغييرات في الغرفة الصفية وسوف يؤثر على المنهاج وطرق التدريس وعلى هذا الأساس قامت الاختبارات مرجعية المحك من خلال تركيزها على قياس قدرة الطلاب في حل المشكلات واتخاذ القرارات من خلال توظيف مهارات التفكير والتعلم من أجل الاتقان لضمان نجاح الطلبة في حياتهم الواقعية ومساهمتهم في تنمية المجتمع. (عماد عبابنة،2009،ص:17)

4- بناء الاختبار التحصيلية مرجعية المحك:

لا تختلف خطوات بناء الاختبار التحصيلي المرجع إلى محك عن تلك التي اتبعت في بناء الاختبار التحصيلي المرجع إلى معيار إلا في التحديد الدقيق لمستويات الأداء(محك الإتقان) وهذا في الخطوة الأولى الخاصة بتحديد الأهداف التعليمية أو التدريسية.

وتوجد عدة طرق تناولت بناء الاختبارات المرجعة إلى المحك كل منها يستند إلى الفلسفة التي ينتمي إليها وتعريف الاختبار ومن بين هذه الطرق مايلي:

أ-بناء الاختبارات المرجعة إلى المحك والمعتمدة على محك الأهداف السلوكية:

1-تحديد المجال السلوكي المراد قياسه(معرفي،وجداني،مهاري) ثم تحديد الأهداف المرغوب تحقيقها،داخل المجال بطريقة سلوكية إجرائية يمكن قياسها بدقة.

2-تحليل محتوى المادة المراد تصميم الاختبار فيها إلى عناصرها الأساسية وكتابة المحتوى في صورة إجرائية يمكن قياسها.

3-صياغة مفردات(أسئلة)الاختبار لكل هدف(تقويمي) يراد قياسه.

4-تحديد صدق المحتوى:للحكم على مفردات(أسئلة) الاختبار يتم عرضها على خبراء في التخصص المراد قياسه أو محكمين متخصصين في مجال الأهداف ومحتوى مقر ر دراسي أو برنامج مهني ويكون هذامن خلال الفحص الدقيق لتحديد ما إذا كان يشتمل على عينة ممثلة لميدان السلوك الذي يقيسه كما هو الحال في الاختبارات المرجعة لمحك.(أبو حطب،2008)

5-تحديد نقطة القطع: وهي الدرجة التي يصنف عندها الطلبة إلى ناجحين أو راسبين في اختبار ما في ضوء محك الإتقان وهو أدنى مستوى للأداء المقبول كشرط للإتقان.

6-وضع الاختبار في صورته النهائية حيث يتم تحديد طول الاختبار وعدد أسئلة كل هدف سلوكي مع ملاحظة وضع سؤالين لكل هدف على الأقل.

7-حساب ثبات الاختبار بإحدى طرق حساب ثبات الاختبارات محكية المرجع وهي:

- ثبات قرارات التصنيف تبعا للاتقان وهو اتساق قرارات تصنيف الأفراد خلال قياسات متكررة.

- ثبات درجات الاختبارات المرجعة إلى محك: وهي اتساق درجات الأفراد عن درجة القطع خلال إعادة تطبيق الاختبار مرات أخرى.

- ثبات تقديرات درجات النطاق: وهي اتساق درجات الأفراد خلال تطبيقات الاختبار أكثر من مرة.(صلاح ، سليمان،2012،ص:203)

ب-بناء الاختبارات المرجعة إلى المحك والتي تعتمد على محك مستوى أداء محدد مستوى نسبي مرغوب:

حدد جرونلاند(Gronlund) خطوات بناء هذا النوع من الاختبارات في الخطوات التالية:

*تحديد المجال السلوكي المراد قياسه، ويتضمن ذلك صياغة سلوكية للأهداف.

*وضع ملخص يحدد عناصر المحتوى المراد تصميم الاختبار فيه.

*إعداد جدول لمواصفات الاختبار، يتضمن الأهداف السلوكية وعناصر المحتوى.

*تحديد معايير(محكات) لمستويات الأداء(نقطة القطع)

*اختبار نمط الأسئلة المستخدمة والمناسبة لقياس الأهداف،وتجميع الأسئلة التي تقيس كل هدف تعليمي على حدة،وتنظيمها من السهل إلى الصعب.

*كتابة تعليمات الاختبار بوضوح.

ج- بناء الاختبارات المرجعة إلى المحك والتي تعتمد على محك مستوى أداء مطلق:

وهي المحكات النهائية التي يصل إليها التلميذ بعد انتهاء الدراسة أي المحكات السلوكية النهائية وتشمل:

-تحديد المجال السلوكي المراد قياسه وتحديد الأهداف التعليمية تحديدا دقيقا،فإذا كان الغرض من الاختبار هو تحديد مهمات التعلم التي يستطيع او لا يستطيع)الطالب أدائها.(رجاء محمود أبو علام،2006،ص:376)

- تحديد المحتوى المراد قياسه.

- اعداد جدول لمواصفات الاختبار.

- اعداد أو بناء عدد من الأسئلة لكل هدف.

- تحديد صدق محتوى الاختبار عن طريق المحكمين.

- وضع مستويات للأداء(80%)مثلا كمستوى أداء مقبول.

- تجميع الاسئلة في ورقة امتحانية مع كتابة التعليمات بوضوح.(صلاح مراد،أمين سليمان،ص:224)

5-استخدامات الاختبارات التحصيلية مرجعية المحك: تستخدم الاختبارات محكية المرجع عادة لعمل قرارات حول قدرات ومعارف التلاميذ ومن القرارات التي يتخذها المعلمون أو الادارات التربوية بناءا على نتائج الاختبارات رسوب أو نجاح التلاميذ في مادة معينة أو اخضاع التلاميذ ذوي التحصيل المنخفض لبرنامج علاجي معين أو تصنيف التلاميذ غلى تخصصات معينة أو شعب تعليمية تتطلب مستوى من الاتقان والتفوق للملتحقين بها.

لقد أورد براون(Brown) أغراض الاختبارات مرجعية المحك و لخصها في عملية التشخيص حين نرغب بقياس جوانب محددة في معرفة الطالب تكون مرتبطة بأهداف البرنامج،أو لغرض قياس انجاز الطالب- التحصيل- حين نرغب في قياس نقاط محددة في معرفة الطالب والمرتبطة كذلك بأهداف البرنامج.

يمكن استخدام الاختبارات محكية المرجع في تقويم التعلم الاتقاني إذ يمكن تحديد مستوى الأداء المقبول على شكل تقدير عددي مثل ألا تقل درجة الطالب عن90% حتى يصنف أنه طالب متقن،كما تستخدم كذلك الاختبارات محكية المرجع لاتخاذ قرارات تعليمية مثل:ماذا يعرف الطلبة؟أين يمكن أن يكون الطالب في سلسلة التعلم،وما التعليم الذي يلزم الطلبة لاحقا؟ وهذا يكون من خلال الاختبارات التي يتم اجراؤها في بداية البرنامج التعليمي. (عبابنة،2009،ص:26)

كما تستخدم الاختبارات محكية المرجع لاتخاذ قرارات تشخيصية وكذلك في تقويم التحصيل في التعليم المبني على النتاجات الذي نشأ في إطار اهتمام التربية بإدارة الجودة،حيث تغير هدف التقويم من اصدار أحكام حول مقدار ما يعرفه الطلبة من محتوى والوقت اللازم لتعلم ذلك المحتوى،إلى الاهتمام بوضع معايير لما يتوقع من الطلبة أن يعرفوه وأن يعملوه.

6-تحليل فقرات الاختبارات محكية المرجع: يعتبر عبابنة(2011) أن تحليل الاختبارات محكية المرجع أداة مهمة لبناء تلك الاختبارات كما أن صدق المحتوى هو خاصية مهمة بالنسبة لفقرات تلك الاختبارات،وكذلك تحليل حساسية الفقرة والقدرة التمييزية للفقرة يلعبان دورا هاما في بناء الاختبارات محكية المرجع،حيث تساعد هذه الأدوات مطور الاختبار أو مستخدمه على تقويم فاعلية التدريس،وعلى اتخاذ قرارات حول تقدم الطلبة في اتقان مادة التعلم،كما يعتبر مؤشر الصعوبة مفيدا لاختيار الفقرات الملائمة في حالة الاختبارات محكية المرجع وكذا مؤشر التمييز مفيد في عملية تحليل الفقرات،إذ أن تمييز الفقرة السالب يدعو إلى ضرورة تعديلها،أو أن هناك عيب ما في عملية التدريس.

بعد تطبيق الاختبار وتصحيحه يقوم المعلم بتحليل نتائج الاختبار من أجل تحديد مقدار فاعليته كأداة تقويمية،وما أثر الاختبار على الطلاب،فحسب أهلاوات (1985)عليه أن يضع في الاعتبار الأمور التالية:

*يجب أن لا يكون الاختبار أسئلة أجاب عليها جميع التلاميذ أو لم يجب عليها كل التلاميذ،فلا قيمة لسؤال يجيب عليه جميع التلاميذ،أو لا يجيب عليه،لأنه يعتبر غير مميز بين مستويات أدائهم،وأن تتوزع العلامات اعتداليا أو شبه اعتدالي مع الأخذ في الحسبان خصائص الطلبة والغرض من الاختبار نفسه.(سامي محمد ملحم،2012،ص:236)

وتمر عملية تحليل فقرات الاختبار محكية بعدة مراحل نعرضها في يلي:

أولا:التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار:

يحقق التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار الأمور التالية:

- قياس مدى تحقق الأهداف التعليمية استنادا إلى الفقرات الاختبارية السهلة والصعبة وذلك بحساب معامل السهولة.

- يساعد في تعيين القوة التمييزية لكل فقرة اختبارية عن طريق حساب معامل التمييز.

- يفيد معاملا السهولة والتميز في بناء الخطة الشاملة للتلاميذ أو مجموعة منهم يعانون صعوبات تعلم ويحتاجون عناية فائقة.(سامي ملحم،2011ص:236)

- بعد تصحيح الاختبار وتحديد العلامة التي حصل عليها كل تلميذ عن كل فقرة اختبارية يمكن تحليل دلالات العلامات عن الفقرات وتحديد سهولتها وقوة تمييزها فيما بينها وفق مايلي:

أ- سهولة فقرات الاختبار:

تدلنا سهولة فقرات الاختبار على النسبة المئوية للطلبة الذين لم يتمكنوا من الاجابة عن فقرة الاختبار إجابة صحيحة.

ب- صعوبة فقرات الاختبار:

ونعني به النسبة المئوية للطلبة الذين يجيبون عن السؤال إجابة صحيحة ويعبر عن معامل صعوبة فقرات الاختبار

إن مجموع معاملي الصعوبة والسهولة يساوي(1) فإذا تعرفنا على أحد المعاملين نستطيع التعرف على المعامل الثاني.

ج-قوة تمييز الفقرات:

ونعني به قدرة الفقرة على التمييز بين التلاميذ الذين يتمتعون بقدر أكبر من المعارف والتلاميذ الأقل قدرة في مجال معين من المعارف.

حيث نكون قد قسمنا الطلاب حسب علاماتهم إلى مجموعتين متساويتين هما المجموعة العليا والمجموعة الدنيا.(سامي ملحم،2011ص:239)

بالإضافة إلى التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار ودوره في الكشف عن جودة الاختبار هناك إجراءات يقيم بها مطور الاختبار أو مستخدمه في أن الفقرة تعاني من ضعف ولا تقدم جديد لنوعية الاختبار أم لا.

ثانيا:تحكيم فقرات الاختبار:

نستطيع فحص فقرات الاختبار بطرق غير إحصائية كعرض فقرات الاختبار على المعلمين الزملاء الذين يدرسون نفس المقرر أو الموضوع لمراجعة محتوى فقرات الاختبار،والتأكد ما إذا كانت الفقرة تقيس الهدف التعليمي المقصود،وقد يساعد هؤلاء المعلمون في اصدار أحكام حول مدى وضوح الفقرة،أو اكتشاف أي أخطاء فنية تتضمنها تلك الفقرة.

ثالثا:تجريب الاختبار:

لتطوير اختبار على درجة عالية من الجودة، لا بد من تجريب الاختبار على عينة مماثلة في خصائصها لعينة المفحوصين الذين سيطبق عليهم الاختبار مع ضمان عدم تسرب الأسئلة لمجموعة الطلبة المقصودة وتفيد عملية التجريب في تقديم فوائد متعددة لباني الاختبار أو معده منها:

*إزالة الغموض في متن الفقرة أو بدائلها.

*حذف أو تعديل الفقرات ذات الخصائص السيكومترية الغير المناسبة.

*إعادة تقدير زمن الاختبار.

*الكشف عن الفقرات المتحيزة.

1-ثبات الاتساق في قرارات الاتقان:

إن الطريقة المباشرة لتحديد ماإذا كانت قرارات تصنيف المفحوصين إلى متقنين أو غير متقنين ثابتة هي: القيام باختيار نفس المجموعة في مناسبتين وملاحظة نسبة الطلبة الذين حافظوا على تصنيفهم كمتقنين أو غير متقنين في المناسبتين فإذا كانت النسبة الأكبر من المتقنين ظلت متقنة في المناسبة الثانية أو أن النسبة الأكبر من غير المتقنين ظلت غير متقنة في المناسبة الثانية،فإن القرارات عندئذ تكون متسقة ونحكم على الاختبار أنه ثابت.

2-ثبات علامات المجال:

يختبر التلاميذ عادة في عينة من الفقرات وليس في جميع الفقرات المحتملة التي يمكن أن تمثل المحتوى الدراسي أو المجال ولتقدير ثبات علامة المجال تستلزم أن يتم تعريف المجال بصورة واضحة،وأن تكون فقرات الاختبار ممثلة عشوائيا للمجال.ولتوضيح هذا الامر نفترض أن تلميذا خضع لاختبار محكي مكون من 10فقرات في مادة الرياضيات وقد لوحظ أن هذا التلميذ أجاب على 05فقرات صحيحة ،فتكون نسبة الاجابات الصحيحة P=5/10=0.50

إننا نفترض في هذه الحالة أن التلميذ يستطيع الاجابة عن50% من الفقرات،فيما لو أخذنا عينة أخرى منها،بناءا على ذلك فإننا نستطيع التخمين أن أداء التلميذ على المجال لن يختلف إلا قليلا عن القيمة50% خصوصا إذا كانت الاختبارات تتسم بالثبات.(عبابنة،2009،ص:140)

3 -ثبات الدرجات من خلال معاملات الثبات: هناك العديد من معاملات الثبات للاختبارات مرجعية المحك لكننا سوف نتطرق إلى معاملات كل من "ليفنجستون" (Livingston) و"بريننان"(Brennan) و"كين"(Kane) فيمايلي:

1-3 معامل"ليفنجستون"(Livingston):اقترح هذا المعامل ليفنجستون في أعماله المبكرة(1972) حيث يعد من بين الطرق الأولى التي نالت اهتمام المشتغلين بالقياس مرجعي المحك،وأجريت حوله عدد من الدراسات التجريبية للتعرف على خصائصه الاحصائية ودقته في تقدير الثبات.

واعتمد " ليفنجستون" في اشتقاقه لهذا المعامل على أسس النظرية الكلاسيكية المستخدمة في تقدير ثبات الاختبارات مرجعية المعيار،مع أن الاهتمام ينصب في الاختبارات مرجعية المحك على معرفة انحراف القيمة التقديرية لدرجة الفرد في نطاق سلوكي معين عن درجة قطع محددة مسبقا والصيغة الرياضية لمعامل ليفنجستون الذي ترمز لها بالرمز:ك2

ع2(ح ح)+ ـــــ س- س)2

ك2 = ـــ

ع2(ح م)+ ـــــس- س)2

حيث ع2(ح ح) ترمز إلى متوسط مجموع مربعات انحرافات القيم التقديرية للدرجات الحقيقية في النطاق السلوكي الذي يقيسه الاختبار عن درجة القطع(س)

ع2 (ح م) ترمز إلى متوسط مربعات انحرافات الدرجات الحقيقية في النطاق السلوكي عن درجة القطع(س)

س ــــ ترمز إلى متوسط درجات الأفراد في النطاق السلوكي وتنحصر قيم هذا المعامل بين(-1،+1) مثل معامل الثبات الكلاسيكي ونحن نعلم أن الصيغة الرياضية التي تستخدم في ايجاد معامل الثبات الكلاسيكي هي:(عبابنة،2009،ص:142)

2-3 معامل الاعتمادية لبرينان وكين:

استند و"برينان"(Brennan) و"كين"(Kane) (1977) في اشتقاقهما لمعامل الاعتمادية في الاختبارات مرجعية النطاق على مفاهيم ومبادئ نظرية التعميم لكرونباخ ولذلك يطلق عليه اسم معامل امكانية التعميم.

وفي الاختبارات مرجعية المحك ينصب اهتمامنا على تقدير الفرق بين درجة الفرد في النطاق السلوكي الشامل الذي يقيسه الاختبار ومستوى أداء مطلق يعد بمثابة المحك.

ع2(ف)

م = ــــــــــــــــــــــــ

ع2(ف)+ ع2( )△

حيث ع2(ف) ترمز إلى متوسط مربعات انحرافات الدرجات الشاملة عن درجة القطع(س)

△ ع2( ) ترمز إلى تباين△ الخطأ المرتبط بتفسير درجات الاختبارات مرجعية المحك.(صلاح الدين علام،2007،ص:303)

خاتمة:

في الأخير نخلص إلى القول بأن الاختبارات التحصيلية مرجعية المحك تهدف إلى تقويم أداء الفرد وتحديد مدى تقدمه بالنسبة لمجموعة من المهارات أو الأهداف ومعرفة جودة الأداء في ضوء محكات محددة مسبقا حيث تحقق مايلي:

- قياس بعض الأهداف التربوية المتخصصة التي ترتبط بمجموعات معينة من الطلاب وفق مستويات محددة.

- قياس أقصى أداء يمكن أن يحققه الفرد.

-الاستفادة منها في حل بعض المشكلات التي يصعب حلها باستخدام الاختبارات المرجعة إلى معيار.

المراجــع:

1. أبو حطب، سيد عثمان.(2008).أمال صادق التقويم النفسي، مصر : مكتبة الأنجلو المصرية، ط4 .
2. أمين، سليمان.(2010).القياس والتقويم في العلوم الانسانية،أسسه وأدواته وتطبيقاته،القاهرة: دار الكتاب الحديث، ط1.
3. رجاء ،محمود أبو علام. (2006). مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، مصر: دار النشر للجامعات،(ب.ط).
4. سامي محمد ملحم. (2011). القياس في التربية وعلم النفس، الأردن: دار المسيرة، ط5.
5. سوسن ،شاكر الحلبي. (2005). أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، سوريا: مؤسسة علاء الدين، ط1.
6. صفوت، فرج .(2007). القياس النفسي، القاهرة ، مصر : مكتبة الأنجلو المصرية ،ط6.
7. صلاح ،الدين محمود علام.(2000). القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة، القاهرة:دار الفكر العربي، ط1.
8. صلاح، أحمد مراد وأمين، علي سليمان.(2012). الاختبارات والمقاييس في العلوم النفسية والتربوية، الكويت: دار الكتاب الحديث، ط1.
9. عبد المجيد، نشواتي . (1983). علم النفس التربوي، عمان: دار الفرقان ، ط1.
10. علي،مهدي كاظم.(2001) .القياس والتقويم في التعلم والتعليم، الأردن: دار الكندي ،ط1.
11. عماد،غصاب عبابنة.(2009).اختبارات محكية المرجع فلسفتها وأسس تطويرها. الأردن: دار المسيرة، ط1.عمان.
12. محمد، عبد السلام يونس.(2008).القياس النفسي، عمان: دار الحامد ،ط1.

التشبيك الهوسي عبر الوسائط الجديدة وعلاقته بالاغتراب النفسي

OBSESSIVE NETWORKING THROUGH NEW MEDIA AND ITS RELATIONSHIP TO PSYCHOLOGICAL ALIENATION

الباحث: دبيح يوسف، جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة- (الجزائر)

البريد الالكتروني: debih.ycf@gmail.com

الباحث: لحمر شيماء، جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة- (الجزائر)

البريد الالكتروني: chayma93ch@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2021-09-20	2021-06-20	2021-05-15

ملخص الدراسة:

أتاحت الثورة التكنولوجية الحديثة في الألفية الجديدة وتحديدا في بعدها الاتصالي ظهور عدة متغيرات هامة عززت من مفهوم العصر الرقمي واستخداماته ،لعل أهمها الوسائط الجديدة المتمثلة في شبكات التواصل الاجتماعي كوسيط اتصالي تفاعلي وأكثر من روتين يومي بالنسبة للمتلقين بفعل الخصائص والخدمات والاشباعات التي تقدمها ،مما جعلها محل تأثير على عدة جوانب من حياة الأفراد و على رأسها الجانب النفسي السلوكي، ونتيجة للاستخدام المكثف لها جعلت المستخدمين يتجاوزون معدل التصفح الطبيعي والذي يتجه نحو الاعتماد القسري و الارتماء في زاوية الانعزال والاغتراب النفسي واستبدال الحياة الواقعية بعالم موازي ،وهو ما يؤثر على الصحة النفسية واختلال التوازن النفسي نتيجة السلوك القهري والاستخدام المفرط،مما قد ينعكس سلبا على الفرد في ظل الأبعاد المرضية المرافقة لها من خلال الاستخدام المفرط كنوع من الإدمان السلوكي و ما يسببه من غربة نفسية واستبدال الحياة الواقعية بعالم موازي .

الكلمات المفتاحية: القياس محكي المرجع ، التعلم الاتقاني.

Abstract:

The new technological revolution in the new millennium, especially in its communicative dimension, has led to the emergence of several important variables that have enhanced the concept of the digital age and its uses, perhaps the most important is the new media of social networking as an interactive communication medium and more than a daily routine for users due to the features, services, and gratifications it provides, which made it an influence on many aspects of individuals' lives, especially the psychological-behavioral aspect, and as a result of intensive use of it, it made users exceed the normal browsing rate, which tends towards forced dependence and fall into the angle of isolation and psychological alienation, which affects mental health and psychological imbalance as a result of compulsive behavior and excessive use, this may have a negative impact on the individual in light of the pathological dimensions accompanying it through excessive use as a type of behavioral addiction and the psychological alienation and replacing real life with a parallel world.

key words: Psychological alienation, New media, Behavioral addiction, Obsessive networking.

مقدمة:

يعد موضوع الاغتراب أحد المفاهيم المتداولة لدى الباحثين في جل العلوم التي تتخذ الإنسان محورا لها،حيث يمثل ميدان بحث مشترك لكثير من العلوم الإنسانية والاجتماعية، نظرا لما يتميز به من تشعب مواضيعه ومجالاته، بالإضافة إلى تعدد مظاهره التي تتجه غالبا إلى الاتجاه المرضي، وتشير بعض الدراسات في المجال النفس اجتماعي أنه من بين مسببات الاضطرابات العقلية والنفسية مثل الإدمان بمختلف أنواعه بالإضافة إلى الانحلال الجنسي و الكثير من الآفات الاجتماعية.

اهتم به الكثير من العلماء والباحثين في العديد من الدراسات خاصة أنه مرتبط بظروف ونشاطات جاءت عن طريق التراكم وما يشهده عالم اليوم على الصعيد العلمي التكنولوجي، فنجد أولى بوادر معالجته في أدبيات البحث كانت عن طريق الاتجاهات الفلسفية عن طريق المفكر الألماني "هيجل " الذي أسس أول الأفكار في هذا الموضوع، لتليه المدارس النفسية ومن أهمها المدرسة التحليلية على غرار " سيغموند فرويد "، وتتواصل بعده الدراسات و التراكمات المعرفية مع تطور الظروف إلى غاية الوصول إلى العصر الرقمي الحالي الذي نشهده.

تزايد وتعاظم مشكلة الاغتراب النفسي في ظل توجه العصر الحالي نحو الرقمنة و الاعتماد على تكنولوجيات الإعلام والاتصال نتيجة لما أفرزته من تقنيات وتحديدا الانترنت وما جاءت به من تطبيقات ، لعل أهمها ما يعرف بالجيل الثاني للواب الذي أنتج لنا شبكات التواصل الاجتماعي كفضاء اتصالي افتراضي ، مما جعل الأفراد يتجهون نحوها في سبيل ما تقدمه من تطبيقات وخدمات ومتطلبات تغنيه عن الكثير من العلاقات وحتى الأنشطة على حسب اعتقاداتهم ،هذا الاستخدام الذيبات يغزو النفس البشرية و يستحوذ على اهتماماتها وانشغالاتها قد عزز من الفجوة بين ما شهدته من تطور تقني رهيب وتراجع ملحوظ في عملية التواصل بين مختلف الأنساق الاجتماعية وحتى ذاتية الشخص نفسه و تزايد انتشار الاضطرابات النفسية والعقلية ،زيادة على مختلف الإدمانات وتحديدا في شكلها الحديث المتمثل في الإدمان الرقمي نتيجة إساءة الاستخدام واستبدال الحياة الواقعية بعالم موازي ، وهو ما يؤثر بالسلب على الصحة النفسية و اختلال التوازن النفسي نتيجة السلوك القهري والاستخدام المفرط.

تزاوج ثنائية الاغتراب النفسي و الإدمان الرقمي قد فتحت المجال نحو السعي إلى الوقوف على هذه الظاهرة المزدوجة التي تأسر الأفراد وتقيد حركتهم وتجعلهم شخصية معرضة للانشطار والانهيار، والشعور بعدم الانتماء و نمو نفسي واجتماعي وحتى عقلي غير سوي، يجعله غير قادر على التعامل بشكل سليم مع المحيط الخارجي، خاصة من جانب فئة الشباب لأنهم يمثلون أكثر الشرائح تعرضا لظاهرة الاغتراب النفسي،موازاة بذلك نجدهم الأكثر استخداما للعالم الافتراضي، مما يدق ناقوس الخطر ويشكل حالة من التخوف الرهيب لتشكل جيل رقمي منغمس في عالم بديل عن الواقع يستنفذ الكثير من الجهد والوقت في سبيل الهروب من الحياة الواقعية ،مما يسبب فقدان السيطرة على النفس وإهدار كل الطاقة إيمانا منهم بأنها قادرة على تخفيف حدة التوتر وضغوطات الحياة، ومما سبق سنعالج هذا الموضوع من خلال التعرض إلى المحاور التالية:

- الاغتراب كاضطراب نفسي.. قراءة في المفهوم
- الإدمان على الوسائط الجديدة

- ثالوث الاغتراب، الادمان السلوكي وشبكات التواصل الاجتماعي.. أي علاقة؟

1. الاغتراب النفسي.. قراءة في المفهوم

ظاهرة الاغتراب لازمت الوجود الإنساني منذ القدم و سايرت الأفراد في مختلف الثقافات والمجتمعات المتعاقبة،تم تناول موضوعه بشكل عام في الكتابات اللاهوتية القديمة ،إلا أن الشق النفسي منه هو مفهوم معاصر شهدته الكتابات الغربية وتحديدا الفلسفية منها ، إذ أن الفكر الغربي هو الذي أسس علميا له وكان سباقا لفتح المجال أمام تداول المصطلح وتقديم دراسات و إسهامات حوله ،حيث يعد المفكر الألماني "هيجل " من أبرز من تناولوا موضوع الاغتراب وأسهبوا فيه ،وقد استخدمه في شكل مزدوج من خلال شقين في سياق الانفصال و التنازل أو التخلي بمعنى انفصال الفرد عن نفسه وذاتيته ، ليأتي بعده العديد من المتهمين بدراسة الاغتراب والتنظير له لعله أبرزهم رواد المدرسة التحليلية وعلى رأسهم فرويد ثم من تبعه وتحديدا ما يسمون بالفرويديون الجدد الذين بدورهم درسوا الموضوع من عدة نواحي قد تم إهمالها في سياقات الفكر السابق لهم .

يعتبر " هيجلHEGEL" أول من عالج هذا المفهوم في فلسفته وتبناه، يرى أن: "الاغتراب يعني انفصال الذات الإنسانية ككيان روحي تنفصل عن وجوده ككائن اجتماعي، كماأاعتبره أيضا في طرح آخر تنازل الإنسان عن استقلاله الذاتي وتوحده مع الجوهر الاجتماعي"(جديدي. 2012.ص 48)، إضافة إلى أنه يحدث "خلال أزمة الهوية التي يبحث فيها الفرد عن ذاتيته حيث العداء بين تطور الأنا الذي يمثل الاغتراب كمعوق أساسي لتطور حرية الأنا" (السيد. 2011.ص 137).

1) الاغتراب النفسي:

إن الاغتراب من منظور نفسي هو الحصيلة النهائية للاغتراب في أي شكل من أشكاله،أنه انتقال للصراع بين الذات والموضوع، من المحيط الخارجي إلى الذات الداخلية في النفس الإنسانية، و يمكن تعريفه بأنه " شعور الفرد بالانفصال عن الذات أو المجتمع أو العالم الموضوعي أو بين الذات ونفسها أو بين الذات و الجوانب الأخرى منها" (العيد، خان.2017.ص315)، كما أنه انسلاخ عن المجتمع والانعزال عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع و اللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء (خليفة.2003.ص21)، كما يشير الاغتراب إلى "حالة الانفصال القائمة على التناقض بين الإنسان ونفسه أو بينه وبين مواضيع مختلفة، وهي حالة تنطبق على المجتمعات كما تنطبق على الأفراد ، فاغتراب سلوك يعبر به الأفراد عن اتجاهات ومشاعر تتسم بالانفصال القائم على التناقض، إذن فالاغتراب موجود طالما انه هناك فجوة بين الفرد والمجتمع. (خليفة.2001. ص 83).

2) الاغتراب في نظرية التحليل النفسي:

لقد أسهمت نظريات علم النفس في تقديم تحليل النفسي لتفسير الاغتراب واهم مفاهيمه ومكوناته،كما أعطت عدة مؤشرات لاضطراب الاغتراب، من بينها مدرسة التحليل النفسي ومن روادها نجد "فرويد" كأحد أعمدتها بالإضافة إلى إسهامات الفرويديون الجدد من أمثال(هورني،أريك فروم وغيرهم)في تقديم توضيح وفهم الاغتراب، وكذلك نجد بعض علماء النفس الذين شخصوا موضوع دراستنا من زاوية مختلفة وتصورات منهم:

1/ تصور سيغموند فرويد:

تناول"سيغموند فرويد "الاغتراب من وجهة نظر اللاوعي كما تناوله بفكرة غربة الذات واهتم بالشعور واللاشعور، كما تناول الاغتراب على أنه اضطراب مرضي، وتناولت النظرية الفرويدية الاغتراب بشعور الذكور بالعدائية تجاه الأب والتفاعل مع الأم وعلى عكس الإنسان وهذا ما يسمى " بعقدة أوديب" كما ركزت النظرية على فكرة الإحباط من خلال تحضير المجتمع. (عبد المختار.1998 .ص47) ،كما أنه يرى الاغتراب ينتج أساسا على حاجات الحضارة ومتطلباتها وكان مقتنعا بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة الوجود الطبقي المسيطر (عبد السميع .2007 . ص48) ،وهذا يعني في نظر" فرويد "أن الاغتراب يحدث للفرد نتيجة عدم سماح الحضارة له إشباع غرائزه دون تأجيل،إضافة إلى دور اللاشعور في جعل الفرد يغتر بمن مجتمعه نتيجة لعدم قدرة الفرد على مواجهة متطلبات المجتمع، مما يدفعه إلى سلوكيات تحافظ عليه للعيش داخل مجتمعه، وهو مقتنع بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات. (حج إبراهيم. 2019.ص 17)، ويشير عدة باحثين في المجال أن (فرويد) توصل إلى ما يلي:

* **اغتراب الشعور** : فالخبرات يتم كبتها لتقليل الألم وفق مجهود كبير للتغلب على المقاومة، والتي تحول دون ظهور هذه الخبرات إلى الشعور، وبذلك يغترب الشعور عن الخبرات المكبوتة، والمقاومة هنا مظهر من مظاهر اغتراب الشعور.

* **اغتراب اللاشعور** : يشير فرويد إلى أن الخبرات المكبوتة تبدأ حياة جديدة شاذة في اللاشعور، وتبقى هناك محتفظة بطاقتها، تتحين فرصة للخروج، وطالما أن أسباب الكبت لا زالت قائمة، فإن اللاشعور على شكل انفصال عن الشعور، وما محاولة الأنا في التوفيق بين ضغط الواقع ومتطلبات الهو وأوامر الأنا الأعلى، إلا هروبا من اغتراب الفرد عن الواقع الاجتماعي (قبقوب ؛سعيدي. 2005.ص 220).

2/ تصور إريكفروم:

يعد "إريكفروم" من أهم الذين اهتموا بشكل خاص في رصد مفهوم الاغتراب النفسي والتنظير له وإعطائه مكانة تستحق الدراسة منطلقا من زاوية تكوين الشخصية وتطورها، وقد قدمه بأنه"أسلوب الخبرة الذي تكون فيه ميزات الشخص نفسه موضوعاً غريباً عنه،فهو قد يصير غريباً عن نفسه، ولا يشعر أنه محور الاهتمام،فالمغترب تتحكم فيه أعمال هو لا يمتلكها"(دبلة. 2016.ص21)، كما تناول المفهوم على أنه استلاب، بمعنى تلك الحالة التي لا يشعر فيها الفرد بأنه المالك الحقيقي لنفسه وطاقاته بل يشعر بأنه كائن ضعيف يعتمد كيانه على وجود قوى خارجية لا تمت لذاتيته بصلة مثلما ما جاء به في مؤلفه " الخوف من الحرية" أن المقصود بالاغتراب هو أنه نوع من التجربة التي يشعر فيها الإنسان على أنه غريب على نفسه (مريمي.2020. ص65)، ويمكن القول إن الشخص المغترب لا يشعر بوجود علاقة أو رابطة قوية مع ذاته أو محيطه.

يرجع فروم مسببات الاغتراب إلى عوامل التفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية للفرد مثل التنشئة الاجتماعية وعمليات التحول الاجتماعي المتلاحقة (رسلان؛ سعادة. 2017.ص720)، مما يشعر الفرد بحاجة إلى الأمن النفسي والانتماء وعدم القدرة على التفاعل الاجتماعي.

3) **أبعاد الاغتراب النفسي:**

بما أن الاغتراب يشكل نوعا من الاستلاب النفسي لذاتية الفرد فيعزى ذلك لمجموعة من الأعراض والمؤشرات التي تشير إلى أن الفرد يعايش مرحلة الاغتراب حيث وصفها (زهران .2004) بحالة من "شعور الفرد بالعزلة وعدم الانتماء وفقدان الثقة ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والمعاناة من الضغوط النفسية، وتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع"، ويجمع مختلف الباحثين على مجموعة من الأبعاد جاءت كالتالي:

1/ العجز-فقدان السيطرة:

يقصد بها شعور الفرد بعدم الوجود القدرة على التصرف أو فعل أمر ما أو حتى نقص المردود ووعدم القدرة على السيطرة على سلوكه والأمور المتعلقة به، فمصدر الاغتراب هنا هو انعدام القوة، وأنه في حالة استسلام لأوامر غيره، ويشير لشعور الفرد بأنه لا يستطيع التأثير على المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها ، وفقدان الشعور بأهميتها، وأن الفرد لا يستطيع توقع ما سيحدث له (حج إبراهيم.2019.ص 13) بمعنى أن الفرد يدرك نفسه بأنه غير قادر على القيام بأعمال من شأنها أن تعكس قدرته مستقبلا على إحداث تغير أو تأثير في محيطه الاجتماعي والأسري.

2/ فقدان المعنى :

يشير إلى توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بسلوكياته وعدم فهمه للأحداث بمعنى تلك الضبابية التي تشوب نظرته لما يحيط به في مختلف الظروف، ولا وجود لمعنى ما يقوم به حتى في ضوء ما توفر له من مستويات تشير إلى الفهم الصحيح للسلوك(خليفة. 2003.ص37)، و كنظرة عامة هو منطق غير مفهوم لا يساعده على اتخاذ القرار الصحيح وممارسة النشاطات الاجتماعية بشكل عادي نتيجة لغياب معطيات تعطي معنى صحيح لما يعيشه.

3/ الأنوميا أو ما يسمى اللامعيارية:

مصطلح الأنوميا جاء عن طريق المفكر " اميل دوركايم " و يعني في الدراسات الاجتماعية "حالة عدم الاستقرار"، أو حالة الاضطراب والقلق لدى الأفراد الناجمة عن انهيار المعايير والقيم الاجتماعية، أو الافتقار إلى الهدف والمثل العليا ، وتتجلى حالة الأنوميا في ظل حالة التفكك لمؤسسات المجتمع وانهيار المعايير والانفصال بين الأهداف الاجتماعية المعلنة والوسائل الصحيحة لتحقيق هذه الأهداف، والتناقض الفاضح بما هو منشود ومنتظر تحقيقه ،وبين ما يجري على الواقع ،ويشعر المرء سيكولوجيا بالاغتراب والعبثية والانهيار الأخلاقي مما ينعكس عليه بالسلب والعزلة.(كلارك.تر جلال.2007.ص 59)، كذلك هي تشكل المرحلة التي يصبح فيها الفرد يحس بالحاجة إلي ضبط المعايير الاجتماعية لتنظيم سلوك الأفراد ،مما يخلق اختلال يؤثر على نفسية الفرد ويجعله ينحاز نحو الغربة النفسية في مجتمع لا يحقق له الرضى والاشباعات النفسية والاجتماعية التي كان يحلم بها.

4/ العزلة الاجتماعية :

يعبر الانعزال الاجتماعي، عن انفصال الفرد عن مجتمعه وثقافته، مع الشعور بالغربة وما يصاحبها من خوف وقلق، وعدم الثقة بالآخرين، وتفرد الذات والإحساس بالدونية تارة،ويكون ذلك نتيجة لانعدام التكيف الاجتماعي، أو لضعف الاتصال الاجتماعي للفرد وينسحب من الحياة الاجتماعية بسبب عن تحقيق الأهداف التي يطمح لها، فالأفراد الذين يحبون العزلة لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي ينميها المجتمع، فالعزلة الاجتماعية

جاءت بعد فقدان الأمل في تحقيق ما يصبو إليه الفرد من أهداف حاول تحقيقها عبر الوسائل الاجتماعية (أبو معليق؛ عبدالحي.2007.ص25).

5/ الغربة عن الذات:

يعبر هذا المفهوم عن شعور الفرد بانفصاله عن ذاته لعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافئة ذاتيا، والشعور بأن ذاته الخاصة وقدراته عبارة عن وسيلة أو أداة ويعبر الفرد عن ذلك بعدم الانتماء واللامبالاة إلى عدم الاهتمام بمجريات الأحداث الاجتماعية، والعزوف عن المشاركة في النشاطات التي عادة ما تثير اهتمام الآخرين وتفاعلهم أو حتى وجوده يكون زائف.(خليفة. 2003.ص42).

2. الإدمان على الوسائط الجديدة

يختلف المختصين بشكل عام في تقديم مفهوم "الإدمان" نظرا لاتساع مجالات تداوله، وينظر اليه " بأنه رغبة مرضية جامحة من الإنسان نحو الموضوع الادماني وقد يكون هذا الأخير موضوعا ماديا كالمواد المخدرة أو الخمر أو كأنشطة مثل الجنس و الكمبيوتر والانترنت وغيرها، وهنا يشير الباحث إلى مسألة الرغبة المرضية على أنها رغبة قهرية ومدمرة "(فطاير.2001.ص 33)، وهناك من يحصره في إدمان مواد يتناولها الفرد ثم لا يقدر الاستغناء عنها، إلا أن البعض الآخر يعرفونه على أنه عدم قدرة الإنسان على الاستغناء على شيء ما بصرف النظر عن هذا الشيء، طالما استوفى شروط الإدمان من حاجة إلى المزيد بشكل مستمر حتى يشبع حاجته حين يحرم منها. (النوبي. 2010.ص11).

مصطلح الإدمان تطور بفعل تطور الممارسات السلوكية في ظل ما أفرزته الثورة الرقمية ،حيث لم يبقى حكرا على المواد المهلوسة والكحوليات وغيرها بعد تعداها لمتغيرات جديدة ،و بما أن شبكات التواصل الاجتماعي هي أحد أهم تطبيقات الانترنت وتحديدا الجيل الثاني من الواب 2.0 يمكن تقديم الإدمان على أنه "الإفراط في استخدام هذه الشبكة، والاعتماد عليها اعتمادا شبه تام ، والشعور بالاشتياق الدائم لها فيما لو منع عنه، بحيث يصبح الشغل الشاغل للفرد هو الجلوس أمامه فيصبح بذلك أسيرا لهذه الوسيلة "(حمد، 2012 ،ص 444).

الاستخدام المكثف لشبكة الانترنت وما أفرزته من تطبيقات اتصالية جعلت الأفراد يبالغون في استخدامها للدرجة التعلق وعدم القدرة على الانقطاع عليها لمدة طويلة، مما أصبح هذا الفعل يدخل ضمن الممارسة الإدمانية حيث جاء هذا المفهوم ليخرج من المفهوم الضيق وعباءة المقاربة الخاصة باستهلاك مختلف العناصر المادية المحظورة إلى مفهوم واسع يواكب مجريات العصر ويساير ما أفرزته تكنولوجيات الإعلام والاتصال نحو الاستعمال المرضي الغير آمن للشبكة العنكبوتية.

الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي كمصطلح يعتبر ضمن الممارسات السلوكية التي تحمل جميع المؤشرات السلوكية التي ترتبط عادة بأنواع أخرى من الإدمان، وتتضمن هذه المؤشرات التقلب المزاجي، العزلة الاجتماعية، التناقض، الانطواء، ويعبر عن إدمان الوسائط الجديدة بأنه" ذلك الاستخدام المرضي و السلوك القهري الغير طبيعي الذي يفوق قدرة الفرد نحو تصفح تلك المواقع بشكل مكثف ومفرط حيث يشعر بالانجذاب أو حتى قوة تجبره على الولوج إليها ،مع وجود تعارض في ممارسة باقي الأنشطة الحياتية أو الاجتماعية مثل العمل أو الدراسة وغيرها.

المدمن على تلك الشبكات غالبا ما يعيش في عالم وجو خاص به وتجده جد مستمع بالعالم الافتراضي بعيدا عن حياته الواقعية، رغم أن العالم الافتراضي مع تطور تطبيقات تلك الشبكات أصبح ينقل الواقع المعاش ضمن صفحاته ولو بصفة جزئية ونسبية، فالمدمنين هنا لا يعون خطورة ومآلات الوضع الخاص به والكثير منهم تجدهم يؤمنون بفكرة البقاء ضمن هذا الظاهرة والانغماس فيها بدل مواجهة الحياة والمجتمع الحقيقي.

يذكر أن مفهوم الإدمان على الانترنت بما فيها شبكات التواصل الاجتماعي كتطور لتقنيات الجيل الثاني للواب 2.0 ظهر أول مرة ضمن عدة دراسات حول الادمان في شكله الجديد، و لعل أشهرها هي دراسات عالمة النفس الأمريكية "كيمبرلي يونغ" التي كانت أول من وضع مصطلح "إدمان الإنترنتThe Internet Addiction"، ابتداء من عام 1994، وأشارت إلى أنه يحمل تقريبا نفس أعراض الإدمان على الكحوليات أو حتى المخدرات مما ينتج عنه نواحي عجز وقصور في المجالات الجسمية ،الأكاديمية ،الاجتماعية والمهنية (YOUNG, 1996,p 237)،و تعد 'يونغ' من الرواد الذين بادروا إلى فتح المجال و دراسة هذه الظاهرة في الولايات المتحدة ،"وتعرف يونغ إدمان الإنترنت بأنه استخدام الإنترنت أكثر من 38 ساعة أسبوعيا" (محمد.2016).

ذكر (Das & Sahoo.2011) أن العالم يواجه نوع جديد من أنواع الإدمان، بعد إدمان المخدرات والكحول وهو الاستخدام المرضي لشبكات التواصل الاجتماعي، مما يجعل الأفراد يتوجهون إليها بمستويات غير طبيعية تزداد مع مرور الوقت، الأمر الذي سيشكل حياة افتراضية أكثر من الواقع الحقيقي.

قدم (Hanyum,2011)عدة مؤشرات تبرز ظاهرة الإدمان على تلك الشبكات وتتمثل في:

1. سيطرة شبكات التواصل الاجتماعي على الفرد والانشغال المفرط بها.
2. النتائج السلبية لاستخدام الفرد المفرط لشبكات التواصل الاجتماعي.
3. تصاعد المشاعر السلبية حين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.
4. فقدان الاهتمام بالنشاطات الاجتماعية حيث يفضل الفرد استخدام العالم الافتراضي على حساب نشاطات الحياة الواقعية مع محيطه الاجتماعي.

- **مظاهر الإدمان الرقمي على تلك المنصات**

كثيرة هي الاضطرابات التي تنتج عن الإدمان الرقمي وسنحاول في هذه الورقة رصد أهم المظاهر ذات الانتشار الواسع في أوساط المتلقين، وسنذكر أهمها:

1) متلازمة الفوموFOMO

المصطلح هذا من بين مستحدثات الثورة الرقمية وتطورها في مجال منصات التواصل الاجتماعي،وهو اختصار لجملة 'الخوف من فوات الأحداث " FEAR OF MISSING OUT"، وهي حالة نفسية تجعل الفرد المستخدم رهينة التفقد الدوري لجهازه وتدفعه إلى البقاء متصلا بصورة مستمرة بتلك الشبكات بدافع الفضول والبحث عن ملاذ نفسي داخل الشبكة،كذلك خوفا من تفويت أي حدث ومعلومة للتعرف على الأخبار والمنشورات الجديدة التي حدثت بتلك المدة القصيرة التي غاب فيها عن مواقع التواصل الاجتماعي مما يشعره بالقلق نتيجة عدم تصفحها.

من جملة أعراض هذه العادة المرضية نجد الإدمان على التفقد الدائم لتلك المنصات وعدم القدرة على الابتعاد عنها والولوج المستمر إليها في بعض دقائق والقيام بعملية تحديث للمنصة مرارا وتكرارا، زيادة على الهوس

بالاطلاع على المعلومات الخاصة بالأصدقاء والأقارب و الصفحات ،و المشكل هنا أنه قد يصبح يشكل هوسا لدى الكثيرين مما يزرع فيهم الخوف من فوات كل المعلومات ،إذ يتفقدون "بشكلٍ "مرضي" حساباتهم على مختلف المنصات بهدف متابعة كل المستجدات".(بوعوينة.2018)، غير أن هذا السلوك "الهستيري" المتمثل بالانتباه المفرط في متابعة كل الأحداث لا يخفف من حدة توترهم بل يجعلهم يفقدون الهدوء و السكينة خاصة عندما يصبح هذا الهوس مبني على رغبة المستخدم في معرفة أراء الغير به وبمنشوراته وعدد التفاعلات التي حصل عليها بعد كل محتوى .

كذلك من أبعاد هذه العادة المرضية نجد أن رنة الإشعارات notifications تحفز الفرد المستخدم على الدخول في جلسات تصفح قد تستمر لفترة طويلة بسبب التدفق المستمر لها بعد كل منشور جديد أو تفاعل لزوار الحساب ، أو أي تحديثات والصور والتعليقات، مما يخلق انشغالا نفسياً لدى ضحايا "الفومو" أشبه باضطراب بالوسواس القهري خلال انتظار التغذية الرجعية على رسائله ومنشوراته ،وهنا نجد أن إشعار واحد كفيل بأن يعدل أو يعكر مزاجه(مها.2018)، و غالبا ما يبقى ذهن المستخدم مرتبطا ذهنيا بما يجري فيها وهو ما تنعكس تأثيراته على حالته النفسية، فيشعر والتوتر ويصاب بالاكتئاب.

2) التهاب الذات (selfitis)

تنوع التطبيقات الاتصالية و تطور سوق الهواتف الذكية الذي يعتمد في كل مرة على أسلوب التجديد و الابداع من حيث الجودة والخصائص الجمالية من بينها عدسات الكاميرا التي باتت تستهوي جميع الفئات نظرا لما تقدمه من صور جمالية ومؤثرات فنية جميلة جعلت من الافراد يعتمدون كثيرا عليها ، غير أن الاستخدام المفرط والعشوائي أوقعهم في فخ الحضور الدائم ونشر الحياة الخاصة بهم في العالم الافتراضي ،وهذا بحد ذاته يحيل الى أحد أهم أعراض الإدمان الرقمي نجد ما يسمى ب "الكوجيتو الرقمي " ويعود هذ المفهوم إلى أخصائية علم النفس والفلسفة الفرنسية (ELSA GODART) التي جاء في كتابها (JE SELFIE DONC JE SUIS)، و ذلك تيمنا بفلسفة الكوجيتو الخاصة بالفيلسوف ' رينيه ديكارت' الذي كان يركز على أهمية الكينونة الأنطولوجية أي الحضور أو الوجود ، بينما الكينونة الافتراضية تنشط على مستوى مختلف الصور العائمة في أنحاء منصات التواصل الاجتماعي،و التي باتت تنشر بشكل هستيري و متزامن مع مختلف الأنشطة التي يمارسها الأفراد ،أي أنهم يمارسون مبدأ التواجد ورصد الذات عبر العالم الرقمي وتحول الصورة كهوية وترجمة للأنا (غودار.2019.ص 86)، وتؤكد "GODART" على أن الهواتف الذكية باتت جزء لا يتجزأ من كيان الأفراد ، و يعتبر هذا الوضع من أشد اضطرابات الإدمان حيث يعتبر أحد أهم السموم الرقمية التي تثير اهتمامات الأفراد المنغمسين في استخدام تلك الشبكات ويقصد به رفع الصور والسيلفي بشكل هستيري.

كإسقاط لمصطلح الكوجيتو الافتراضي على الإدمان الرقمي يكمن فهم ذلك من خلال ما يسمى ب ظاهرة الترويج الذاتي' Self Promotion ' ، التي صارت كأحد أهم الأنشطة الممارسة أثناء الولوج إلى تلك المنصات وتصفحها لساعات طويلة خاصة من جانب الشباب والمراهقين الذين يعرضون انفسهم و مهاراتهم للغير خصوصا على مستوى شبكتي ' انستغرام و تيك توك ' الذين يعتبران من بين أهم الشبكات الأكثر تناولا لظاهرة

الترويج الذاتي ونقل صورة قد تعبر عن مكنونات المستخدم ،بعض النظر عن هدفها الايجابي أو السلبي فغالبا ما يرسم صورة ذهنية يجد فيها ما يحقق له من اشباعات نفسية واجتماعية.

مواقع التواصل الاجتماعي في كل تحديث لبرمجياتها تتيح الكثير والمزيد من الخصائص و التعديلات للخدمات التي تقدمها، فمثلا نجد أنها لم تعد تريد من المستخدم رفع الصور فقط بل تعدت ذلك إلى تعديل الصور والألوان والخلفيات وإضافة مختلف المؤثرات الصوتية والفنية مثل الفلاتر والمقاطع الموسيقية الممزوجة بنص يحمل كلمات الاغنية المرفوعة، مما جعل من رفع الصور كأحد أهم الخدمات و الأنشطة المتداولة على مختلف المنصات الشبكية والتي تستثير المستخدم أو حتى المتصفح لحسابات الطرف الأخر.

تكرار عادات وأنماط الاستخدام المكثف يدفع الأفراد لا إراديا نحو إدمانها، مما يجعلهم يبالغون في الاستخدام المفرط و الغير طبيعي عبر رفع عدد كبير على حساباتهم من الصور الخاصة بحياتهم الشخصية ومشاركتها مع الأصدقاء أو حتى تفعيل الوضع العام (public mode)لكل من يشاهد ويتصفح حساباتهم، قد يبدأ الأمر لمجرد التسلية لكن يتحول مع مرور الوقت إلى عادة قهرية من خلال التقاط المزيد من الصور وتصفحها مرارا وتكرارا.

هذا النوع من الاستخدام المرضي أنتج ما يعرف بـ (التهاب الذاتSELFITIS)،الذي صنفته الجمعية الأمريكية لعلم النفس على أنه اضطراب عقلي بسبب هوس الفرد بمظهره الخارجي أو حتى البيئة والمكان الذي يكون فيه مسرحا لالتقاط الصور الذاتية ونشرها على مختلف وسائط التواصل الاجتماعي بشكل هستيري، وقد تم تحديد 3 مستويات له:

1. **الاضطراب الخفيف** وهو التقاط عدد محدود من الصور في اليوم دون الحاجة إلى نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي.
2. **الاضطراب الحاد** هو التقاط صور يومية ونشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي او تعديلها وفق المؤثرات التي تمنحها تلك المنصات.
3. **الاضطراب المزمن** حيث لا يمكن السيطرة على الرغبة في التقاط "سيلفي" على مدار اليوم ونشرها أكثر من ست مرات في اليوم". (جمل.2019).

كما يصاحب هوس التقاط الصور والسيلفي ظهور اضطرابات لها علاقة به مثل ما يعرف بـ "الديسمورفوبيا" وهو نوع من الوساوس يقصد به "عدم رضى الأفراد بمظهرهم وأشكالهم"(الباهي2020)، مما يدفعهم إلى السعي وراء الحصول على صور تثير الراحة في نفسية الفرد من خلال التقاط المزيد من الصور وتعديلها، خاصة في ظل وجود مختلف المؤثرات الفنية والبصرية وحتى الصوتية منها لإضفاء جمالية للصور ، وقد ينتج عن هذا الأمر عدة اضطرابات نفسية مصاحبة كالقلق ، الاكتئاب، طغيان النمط النرجسي على الشخصية بسبب الإصرار على إظهار حياة الفرد على أنها مثالية، ومن هنا نجد أن هنالك علاقة طردية بين الترويج الذاتي و وسواس " الديسمورفوبيا" والاعتمادية المتواصلة على الهواتف الذكية ومختلف تطبيقات التواصل الاجتماعي.

بعد انتشار ثقافة "السيلفي " تفطنت الشركات الرائدة في مجال الهواتف الذكية إلى تصنيع وتسويق منتجات مخصصة لذلك وموجهة لتلك الفئة، مما جعل الأفراد المنتشين بالتقاط الصور بشكل هوسي إلى اقتناء تلك الهواتف التي ركزت فيها تلك الشركات على زيادة جودة الكاميرا والرفع من عددها لتصل حاليا إلى 4 عدسات لكل منها دورها

الخاص، إضافة إلى توسيع البعد البؤري للعدسات مما يزيد من جودة الصورة وإبراز تفاصيلها الجمالية ، و هذا بحد ذاته أهم عامل لانتشار الهوس بالتقاط الصور بشكل كبير.

رغم كل الإسهامات التي تم تقديمها بشأن هذا الموضوع بداية من دراسات وبحوث عالمة النفس 'كيمبرلي يونغ'إلا أنه لم يعترف به حسب الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية DSM ومختلف الجهات التي تعنى بدارسة الاضطرابات النفسية رغم دخوله تحت نطاق الإدمان السلوكي، وتشابه أعراضه مع العديد من الاضطرابات المشابهة له من حيث الأعراض والنتائج أو حتى الأعراض الانسحابية لموضوع الإدمان.

- **الأعراض الانسحابية للإدمان الرقمي :**

مصطلح الأعراض الانسحابية هو مفهوم شائع في مجال الإدمان الكيميائي مثل المخدرات ومختلف المواد التي يستهلكها ويتعاطاها الأفراد للحصول على جرعة من السعادة والإشباعات النفسية، ويعني غالبا مجموعة من الأعراض التي يعاني منها المتعاطي وتظهر عليه سواء من الناحية الفيزيولوجية أو حتى سلوكه الاجتماعي نتيجة التوقف عنها أو التقليل من كمية استهلاكها أو التعامل معها.

تظهر أعراض الإدمان الرقمي على الأفراد من خلال عدة معايير ظاهرية أو حتى التي يحاول المتلقي إخفاءها عن العلن خاصة محيط العائلة أو الأصدقاء ،و تبين مدى الاستخدام القهري للأنترنت وتطبيقاتها وتختلف طبيعة الأعراض الانسحابية من مستخدم إلى أخر بناء على عدة معايير، مثل عادات وأنماط الاستخدام ونوع الاشباعات المستهدفة من خلال عملية التلقي ،بالإضافة إلى عدد ساعات الاستخدام وحتى نوعية شبكة الانترنت والعروض المقدمة من طرف متعاملي الهاتف النقال أو حتى شركات الاتصال التي قد يغفلها الكثير فهناك علاقة طردية بين التدفق الجيد وعدد ساعات الاستخدام .

فترة الانسحاب تعتبر أصعب مرحلة يمر بها المدمن الرقمي وذلك لصعوبة تكييف حياته وأنشطته مع التخفيف من معدل التصفح والتواصل، ويضاف إلى ذلك انه لا يمكن له الانسحاب والتوقف علها مباشرة بل تمر بمراحل وذلك بتقليص عدد الساعات وطبيعة الأنشطة التي كان يمارسها غبر تلك الوسائط.

الارتباط الكبير بتلك المواقع والأجهزة و الاعتماد المستمر قد يكون له أثر سلبي مما يسبب ظهور سلوكيات واضطرابات مثل ما يعرف "النوموفوبيا" التي تتولد عن الاستخدام المكثف للتكنولوجيا الرقمية ،تصيب مدمني المنصات الافتراضية وهي أحد أشكال الأعراض الانسحابية للإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي والملفتة للانتباه وهو "اختصار لجملة) (NO MOBILE PHOBIA وتعرف على أنها " الشعور بالقلق وعدم الراحة والتوتر والعصبية والألم عند الشخص، عندما لا يكون بحوزته هاتفه الذكي أو عندما يكون غير قادر على استخدامه" (المومني ؛ العكور.2019. ص35)، ومن ثم لا يقدر على الوصول إلى المعلومات التي يسعى للحصول عليها، أو لأنه يفقد خاصية الترابط والتشبيك التي يوفرها له الهاتف الذكي، ويضاف إلى ذلك أيضا " الخوف من عدم وجود تغطية جيدة لشبكات الاتصال والانترنت " (محمد.2019.ص 764)، وهو ما يزيد من انشغال الفرد في التفكير بها والشعور بنوع من العزلة والاغتراب النفسي .

يمكن ربط العلاقة بين النوموفوبيا و الإدمان الرقمي بناء على أن استخدام منصات التواصل الاجتماعي يتم الولوج إليها وتصفحها بنسبة جد كبيرة من خلال الهواتف الذكية ، وهو ما تؤكد إحصائيةمنصة (DATA REPOTAL)المتخصصة

في رصد وتصنيف إحصائيات العالم الافتراضي وكل ما علاقة له بذلك مثل الانترنت وما تحوزه من تطبيقات، حيث نجد أنه بحلول جانفي 2021 يوجد حوالي 4.20 مليار مستخدم للشبكات الاجتماعية عبر الهواتف الذكية (kemp.january.27.2021) ومن هنا نجد أنه هناك علاقة قوية بين الإدمان الرقمي والأجهزة الذكية المستخدمة وهو ما تؤكده أيضا (ضياء. 2020) من خلال أن المستخدمين يرونها أكثر من مجرد هاتف حيث يتم استخدامه في مهمات معينة على وسائل التواصل الاجتماعي، كمعرفة ما يحدث على هذه المنصات سواء لرواد المجتمع الشبكي او كما يسمون بـ" المؤثرين (INFLUENCERS)"أو حتى مع المتلقي العادي ، أو بشكل عام في التواصل مع الآخرين، لذا فإن الابتعاد عن الهاتف أو انخفاض مستوى شحن البطارية يمكن أن يقطع هذا الاتصال نوعا ما، ويترك لدى بعض الأشخاص نوعا من مشاعر الضيق وتقلب المزاج، الاكتئاب ،القلق باعتبار أنهم يتعاملون مع الهاتف الذكي جزءا من كيانهم.

الملاحظ أثناء فترة الانسحاب رغبة الفرد في التخلي عن استعمال تلك الوسائط أو التقليل منها غالبا ما تبوء بالفشل،وتظهر عليه مؤشرات الحنين والقلق وعدم القدرة على العمل بصورة جيدة والتفكير المستمر فيما يتم نشره خلال فترة غيابه عنها، وينتج عن هذا الصراع الداخلي فشل تام وعدم القدرة على ضبط السلوك وانخفاض الدافعية للإنجاز وبالتالي الرجوع إلى تصفحها لساعات وتدارك أكبر عدد ممكن من المستجدات التي فاتته.

3. ثالوث الاغتراب النفسي، الشبكات الاجتماعية، الاستخدام المرضي.. قراءة في العلاقة

أصبحت تطبيقات الانترنت الملجأ الآمن للأفراد في ظل ما يعيشه العالم اليوم من تطور تكنولوجي رهيب وفجوة معرفية تتزايد مع مرور الوقت يقابلها انشطار في طبيعة التواصل بين الأنساق الفرعية للمجتمع والاتجاه نحو الانعزال والهروب من الواقع المعاش، وبما أننا في عصر الاتصال الرقمي فإن الفرد يلجأ إلى التخفيف من حدة العزلة، وذلك بالاستعانة بأنشطة واستخدام طرق لتحقيق الاشباعات النفسية والاجتماعية منجهة، ولملىء الفراغ الناتج عن الاغتراب من جهة أخرى.

على سبيل المثال نذكر اللجوء إلى الوسائط الجديدة والعالم الافتراضي و تصفح شبكات التواصل الاجتماعي التي تتربع على عرش أهم التطبيقات الرقمية المستخدمة من طرف المتلقين، والتي استطاعت أن تفرض نفسها كوسيلة لا يمكن الاستغناء عنها في يوميات الأفراد ، باعتبارها تقنية للتواصل تستجيب لمتطلبات الفرد واهتماماته، غير أن التعرض لها وتلقي مضامينها أصبح لدى الكثير من المتلقين يلفت الانتباه نحو التصفح المرضي وصل إلى درجة فاقت معدلات الاستخدام الطبيعي التي وصلت إلى مرحلة الإدمان من خلال الاستخدام المكثف لسد ثغرة الاغتراب مما يتسبب في انفصاله عن حياته الواقعية و استبدالها بحياة افتراضية تنتهي بمجرد تسجيل الخروج من الموقع.

تطبيقات الوسائط الجديدة نظرا لما تتيحه من خدمات و ترفيه وفضاء خاص للترفيه والتي تعتبر أيضا مكسب مفتوح للحوار والاطلاع على مختلف المضامين بدون رقابة أو أي تحفظ اجتماعي،باتت تستحوذ على أغلب أنشطة الأفراد الممارسة يوميا، وأكثر من أي وقت تشكل الكثير من الأزمات و من مسببات الاضطرابات النفسية لدى المستخدمين من مختلف الفئات العمرية، إذ كثيرا ما يلاحظ أن عدد الساعات المبرمجة للاستخدام تفوق حدود ومعدل التعرض الطبيعي لها ، وما يلاحظنا أن امتداد الاستخدام المكثف ينتقل مباشرة و آليا من حالة العادية

إلى الحالة المرضية التي تتمثل في الإدمان من خلال قضاء جل الوقت لساعات طوال على تصفح مواقع التواصل الاجتماعي إلى درجة التعلق المرضي مما يجعل ذاتية الفرد المستخدم تميل إلى الانعزال عن الجماعات وعن المحيط الاجتماعي لما تراه من راحة وسكينة و تفريغ لشحنات الغضب والقلق وغيرها من التراكمات، و تجعل من العالم الافتراضي ملاذ آمن و هوية و مجتمع جديد ليس فيه مسببات الضغط والمشاكل ، غير أن المتأمل للتراكمات والفجوة الرقمية التي أحدثتها هذه الشبكات قد يلاحظ بروز عدة تغيرات طرأت على الحياة الداخلية والشخصية للأفراد المستخدمين لها ،خصوصا من جانب العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الأطراف المحيطة والتي أدت إلى إحداث شرخ و تفاوت يزيد مع مرور الوقت بسبب ما يعرف بالانسلاخ الاجتماعي الذي يسببه الاغتراب النفسي.

غالبا ما يكون مآلالتوجه نحو العالم الموازي والتعرض المكثف هو الإدمان، ما جعله يصنف كأحد أهم الاضطرابات النفسية الحديثة حيث يعتبر المحتوى المعروض على تلك المنصات أحد أهم العوامل التي تجعل من الملتقي يتشبث بها مما قد يفقده ذلك الحس التفاعلي نحو المجتمع،فالملاحظ أنه يوجد تناسب طردي بين زيادة استخدام تلك المنصات وخطر ظهور الاغتراب كاضطراب يصاحب كثرة الاستخدام مما يجعلها تعتبر بيئة خصبة لانتشار نوبات القلق والاكتئاب وفقدان تقدير الذات وهي بدورها أحد مؤشرات الاغتراب النفسي.

مما شك فيه أنه عند اقتران الإدمان الرقمي للشبكات الاجتماعية والاغتراب النفسي يتولد عنه عدة أعراض يتشارك فيها الكثير من الأفراد ذوي الاستخدام المفرط لتلك المنصات(المشارقة 2019) وتتمثل غالبا في ما يلي:

- تقدير منخفض للذات .
- محادثات سلبية مع النفس.
- مزاج عام سيء.
- ضيق وعصبية زائدة .
- قلة الاهتمام بالأنشطة بغرض الرفاهية والتمتع.
- الانسحاب التدريجي من المحيط المجتمعي.

المدمن المغترب هنا يسعى إلى بناء شخصية افتراضية تعكس أسلوب استخدامه للشبكات ، وطرح حضور مزيف يشبع نفسيته ويغطي ذلك الغياب الذي نتج عن الواقع الحقيقي وكل ما يتعلق بخلفيته الاجتماعية ،وهو ما يشكل ما يعرف بالهوية الرقمية، هذه الأخيرة استنزفت العلاقات الاجتماعية في شكلها الطبيعي حيث أن بعض مستخدمي تلك الشبكات يتخلون عن حياتهم الواقعية عن طريق إنشاء حياة موازية عبرها ،مما يحول الأفراد نحو العزلة المرضية، وهنا تبدأ تلوح في الأفق آثارها السلبية على حالتهم النفسية خاصة الانقطاع عن الحياة العامة والاجتماعية فالوقت الذي يمضيه المستخدم على تلك المواقع هو وقت مستقطع من علاقاته الاجتماعية, بالإضافة إلى الوقت الذي يضيعه في متابعة تحديثات أصدقائهم والتواصل معهم والتعليق على أحداثهم، وأيضا الألعاب على مواقع التواصل الاجتماعي تسهم في إهدار الكثير من الوقت دون نسيان التقلبات المزاجية التي تحدث لهم نتيجة متابعة ما يجري في تلك المنصات و خصوصا عندما يقع الفرد في مجال المقارنة مع الغير، كمثال على ذلك مجال

نمط العيش نجد الكثير يقارن بينه وبين شخص ما، مما يجعله يراقبه ويتتبع أخباره أحيانا لدرجة للهوس مما يعزز موجة الاغتراب النفسي والشعور بالوحدة والعزلة وبالتالي تؤدي به إلى الاكتئاب.

كذلك من جملة الاغتراب النفسي الناتج عن إدمان تلك المواقع هو تفتيت الأنساق الاجتماعية و العلاقات والاتجاه نحو ما يعرف بالانسحاب الاجتماعي ، مما يرمي بالفرد نحو زاوية الاغتراب و معايشة دلك الصراع الداخلي المخفي و عدم الاتزان النفسي والتي تظهر أعراضه واضحة في أكثر من ملمح مثل الخمول الجسدي ،قلة الحركة والصداع والشعور الدائم بالتوتر والتعب خصوصا عند انقطاع الانترنت والهروب من مواجهة المجتمع الواقعي.

من خلال المعطيات أعلاه فإن من سمات هذا الاضطراب نجد الانطواء ،العزلة والسلبية ، الشعور بالعجز لينتهي إلى عدم القدرة على ممارسة الحياة الاجتماعية ومختلف النشاطات بشكل عادي و طبيعي، مما يشل تفكير الفرد ومعايشة الواقع الذي يحصره كثيرا في عالم افتراضي ، وهنا ما يجعلنا نقف على ظاهرة الإدمان الرقمي الذي بدأ يطفوا إلى السطح و بات يشكل نقطة تحول كبيرة في حياة الأشخاص بفعل مشكلة التراكم والضغوط النفسية وعدم وجود بديل أو حل جوهري لها، قد يجعلهم يجنحون عن الواقع والسلوك السوي و يدفعهم نحو عالم الاغتراب بداية من الذات ووصولا إلى المجتمع ، فتزايد المشكلات دون حل يؤدي إلى تراكم الأزمات و يزيد من حدة الشعور بالإحباط ومختلف الاضطرابات النفسية.

خـاتمـة

التطور التي شهده العالم بداية من الألفية الجديدة خاصة في ظل نمو تكنولوجيات الإعلام والاتصال والدخول في ما يسمى العصر الرقمي قد فتح المجال أمام ظهور الكثير من التقنيات التي تثير اهتمام الأفراد، ونخص بالذكر الشبكات الاجتماعية التي باتت تشكل جزء هام في حياة الإنسان التي لا يمكن الاستغناء عنها ،والتي تمثل دوبامين يعزز نشاطات المستخدمين عبر مختلف ساعات اليوم، لكن ما يثير الاهتمام هو تجاوز مدة الاستخدام الطبيعي إلى درجة المرور نحو درجة عالية من الاعتمادية المتواصلة وارتباطه بمجموعة من الاضطرابات النفسية أهمها الاغتراب النفسي الذي أبان على أزمة التصفح القهري التي يعيشها المجتمع، والثغرة التي يحاول الأفراد سدها عبر التوجه نحو استخدام تلك المنصات لدرجة كبيرة ،مما يؤدي إلى الولوج نحو عالم الإدمان الرقمي ومختلف الأعراض المصاحبة له التي لها نفس محكات الإدمان التقليدي ،وقد تتجاوزها أحيانا في الشدة نظرا لما تسببه له من مشاكل أخرى نفسية كانت أو سيكوسوماتية وما يصاحبها من علامات قد تؤثر على وظائف الجسد والعجز على التكيف مع مواقف محددة.

هذا الموضوع يتطلب نوعا من التكفل النفسي و مختلف التقنيات أو البرامج العلاجية الذي تحسن من مزاج الفرد دون الحاجة إلى تصفح الشبكات الاجتماعية، وكمثال على ذلك يكمن الاستعانة بما يعرف بـ" الديتوكس الرقمي/DIGITAL DETOX"ويقصد به امتناع المستخدم عن استعمال مختلف الأجهزة الذكية وما يرافقها من تطبيقات لفترة زمنية معينة لإزالة السموم الرقمية التي لا يستطيع الاستغناء عليها، وتعويض التشبيك الهوسي بأنشطة ذات علاقة بالحياة الواقعية والحد من حالة الاغتراب التي يعيشها ورفع مستوى تقدير الذات ،فالانفصال عن المنبهات المستمرة التي يوفرها العالم الرقمي يمنح الجهاز العصبي فرصة للتوقف وإعادة التوازن خصوصا في

مجال الزمن الميدياتيكي الذي يستحوذ على عقل و نفسية المتصفح ويفقده الشعور بالوقت أثناء التصفح الشبكي وأحيانا لا يدرك الزمن الحقيقي بعقله إلا بتنبيه خارجي بسبب فقدان المتابعة لحياته الواقعية.

في الختام يمكن القول إنه في خضم انتشار المنصات الرقمية ودخولها ضمن الروتين اليومي للفرد وتجاوزها لمعدلات الاستخدام الطبيعي أصبح من الضروري التأكيد على خطورة الظاهرة وما ينجر عنها من تبعات، خاصة فيما يخص الاغتراب الذي يتطور منحاه تدريجيا وبات يشكل علاقة طردية مع تطور الوسائط الجديدة واتساع الهوة بين الفرد ومحيطه وعدم ضبط الاتزان النفسي وتوجهه نحو جملة من الاضطرابات النفسية.

قائمة المراجع:

- جديدي،زليخة (2012). الاغتراب. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية .جامعة ورقلة، العدد 8.جوان 2021. ص ص 346-361.
- حج إبراهيم، أشرف محمد.(2019). الاغتراب النفسي وعلاقته بقلق المستقبل لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة فرع طولكرم. جامعة القدس: رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي والتربوي.
- حمد ،أمل كاظم .(2012) .إدمان الأطفال والمراهقين على الانترنت وعلاقته بالانحراف، مجلة العلوم النفسية، كلية التربية، بغداد. العدد 19.ص ص 107-130.
- خليفة، عبد اللطيف محمد (2003). دراسات في سيكولوجية الاغتراب.ط1. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- خولة ،دبلة.(2016).الاغتراب من المنظور النفس اجتماعي. مجلة العلوم الاجتماعية العدد 18 .ماي 2016.ص ص 18-31.
- رسلان ،نجلاء بسيوني؛ سعادة، سامح أحمد.(2017).ضغوط التكنولوجيا وعلاقتهابالاغتراب في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية. مجلة كلية التربية. جامعة الأزهر. العدد172.جانفي 2017.ص ص707-753.
- زهران، سناء. (2004)، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب. ط1. القاهرة: عالم الكتب.
- السيد، عثمان فاروق (2001)، القلق وإدارة الضغوط النفسية. ط1. القاهرة: دار الفكر العربي.
- عبد السميع، بهجات محمد.(2007). الاغتراب لدى المكفوفين ظاهره وعلاج .ط 1 .الاسكندرية :دار الوفاء لدنيا النشر والطبع والتوزيع.
- عبد المختار، محمد خضر.(1998)، الاغتراب والتطرف نحو العنف. القاهرة:دار الغريب.
- غودار، إلزا؛ ترجمة بن كراج سعيد (2019). انا اوسيلفي اذن انا موجود. تحولات الانا في العصر الافتراضي. ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب.
- فطاير،جواد(2001).الإدمان،أنواعه، مراحله،علاجه . القاهرة: دار الشروق.
- قبقوب،عيسى؛سعيدي ،عتيقة .(2015). الاغتراب النفسي وتعاطي المخدرات لدى المراهق المتمدرس -دراسة حالة-.مجلة العلوم النفسية والتربوية. ص ص 216-237.
- محمد، هبة محمود. (2019). دور الوحدة النفسية والسعادة الشخصية والاندفاعية و بعض المتغيرات الديموغرافية في التنبؤ بالنوموفوبيا. مجلة دراسات نفسية. المجلد 29. العدد4. اكتوبر 2019.ص ص761-831.

- مريمي، سعاد.(2020). قراءة في مفهوم الاغتراب. مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية. المجلد 05. العدد 02.جوان2020.ص ص 47-75.
- المومني ،فواز؛ العكور،شيرين. (2019). الخوف المرضي من فقدان الهاتف النقال (النوموفوبيا) لدى طلبة جامعة اليرموك. المجلة الأردنية في العلوم التربوية. المجلد15. العدد 1 .ص ص33-47.
- النوبي،علي محمد علي (2010).إدمان الانترنت في عصر العولمة. ط 1.عمان: دار صفاء.

الروابط الالكترونية:

- الباهي، نوفل (2020)،ديسمورفوبيا. اضطراب يستهدف الشباب والمراهقين عبر مواقع التواصل، نشر بتاريخ 2020/10/09، تم الاسترجاع بتاريخ 10/01/2021 على الرابط:

https://bit.ly/3sfYATS

- بوعوينة،حنان(2018).مواقع التواصل ومعضلة القلق الإلكتروني. نشر بتاريخ2018/07/11. تم الاسترجاع بتاريخ 2021/01/ 14 على الرابط:

https://bit.ly/3sehKJQ

- المشارقة، مادلين .(2019).هوس ' LIKE' أي علاقة بين الاكتئاب ومواقع التواصل الاجتماعي ؟.نشر بتاريخ 2019/07/28، تم الاسترجاع بتاريخ 2021/02/28 على الرابط :

https://bit.ly/2NH3WZn

- محمد، الهام. (2016). إدمان الإنترنت والألعاب الإلكترونية: طريقك الأسهل لتدمير صحتك. نشر بتاريخ 2016/07/19.تم الاسترجاع بتاريخ 2021/02/02 على الرابط:

https://bit.ly/3l5dGsC

- ضياء ، رحمة.(2020) . «النوموفوبيا».. الإفراط في استخدام هاتفك المحمول، نشر بتاريخ 2020/09/11 .تم الاسترجاع بتاريخ 2021/03/17على الرابط:

https://bit.ly/3tekMxV

المراجع الأجنبية :

- BENAMMAR , saida kheira (2015). The sociology of web 2.0 . International Journal of Social Sciences, Vol. IV(4), pp. 1-15
- Das, Biswajit ؛ Sahoo, Jyoti Shankar. (2011). Social Networking Sites – A Critical Analysis of Its Impact on Personal and Social Life. International Journal of Business and Social Science, Vol 2 (14).p p 222-228.
- Hanyum, Huang.(2014).Social media addiction among adolescents in urban china: An examination of sociopsychological traits, uses and gratifications, academic performance, and social capital. Springer.
- YOUNG, kimberley . (1996). psychology of computer use : xl. Addictive use of the internet: A case that breaks the stereotype : psychological Reports 79 (2) , 899-902.

NETWORK LINKS :

- SEMON , kemp (2021), Digital 2021 global statshot , : published on january 27. 2021, retrieved on march.3.2021, from: https://bit.ly/3eDrDNg

أثر التسلسل الهرمي للسلطة على أداء فرق العمل

"المنظور الوظيفي ومنظور الصراع"

The impact of the power hierarchy on the performance of work teams "Functionalist and conflict perspectives"

د. لصفر رضا ، جامعة ابن خلدون (الجزائر)

البريد الإلكتروني: lasreda78@gmail.com

دوار فاطمة، جامعة وهران 2 (الجزائر)

البريد الإلكتروني: zfatima495@yahoo.com

دوار غالم، جامعة وهران 2 (الجزائر)

البريد الإلكتروني: Douarghalem31@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2021-09-20	2021-06-24	2021-05-19

ملخص الدراسة:

في هذه الورقة، قمنا بالتحقيق في التفسيرات المحتملة بشكل تحليلي للكيفية التي يؤثر فيها التسلسل الهرمي على أداء فرق العمل، تظهر النتائج المستخلصة من هذه الدراسة النظرية أن التسلسل الهرمي يمكن أن يوفر مساراً إيجابياً لأداء الفريق من خلال عمليات التنسيق الممكنة، كما أن تعقد المهام سيحدد أيضاً كيف يؤثر التسلسل الهرمي على أداء الفريق. من منظور الصراع، تكون سلبيات التسلسل الهرمي أكثر احتمالا عند ظهور النزاعات في الفريق، وذلك من خلال وجود مستويات عالية من حالات الصراع للفرق عندما تتركز السلطة في شخص واحد وعندما يكون للفرق تغييرات متكررة في العضوية، وأيضاً يكون تمايز في المهارات بين أعضاء الفريق.

الكلمات المفتاحية: التسلسل الهرمي للسلطة، أداء فرق العمل، المهام، عدم استقرار العضوية، تمايز المهارات.

Abstract:

In this paper, we investigated potential explanations in an analytical manner of how hierarchy helps or harms performance of workteam. Findings extracted from this theoretical study demonstrated that teams only benefit from status hierarchies under less complex task conditions, And that the hierarchy can provide teams with a positive path to team performance through possible coordination processes. and task complexity will also determine how hierarchy affects team performance. From a conflict perspective, hierarchy's downsides are most likely when conflicts emerge in the team, and that is through the teams have high levels of conflict situations when power is concentrated on one person and when teams have frequent membership changes, and skill differentiation Between team members has also been shown to increase the team's potential for conflict.

key words:

Power hierarchy, team performance, tasks, membership instability, skill differentiation.

مقدمة:

تعتمد معظم الأنظمة الاجتماعية على علاقات هرمية مستقرة للرؤساء والمرؤوسين، والمدير والموظف،...إلخ، وحتى المنظمات الحديثة أو ما بعد الحداثة يقال أنها لا تزال هرمية للغاية، وتتمتع بالسلطة من الأعلى إلى الأسفل وآليات التحكم الأكثر شمولاً من أي وقت مضى (Brown, Kornberger, Clegg, & Carter, 2010; ; Parker, 2009; Clegg et al., 2006; Courpasson & Clegg, 2006; Akella, 2003; Courpasson, 2000)، هناك ادعاءات قوية بأن التسلسل الهرمي آخذ في التدهور؛ ومن ناحية أخرى، فإن المقاربات الأخرى تقدم حجج مقنعة لاستمراره (Diefenbach, T., Sillince, J. A., 2011, p.1516).

للوهلة الأولى، يظهر أنه يوجد تعارض في كلا الموقفين مع بعضهما البعض ويخلقان لغزاً ربما يمكن حله، على الأقل إلى حد ما، إذا ميّز المرء بين المنظور الوظيفي ومنظور الصراع، في ثنائية التسلسل الهرمي للسلطة وأداء فرق العمل. أي بين المنظور الوظيفي الذي يقترح مسار إيجابي بين التسلسل الهرمي للسلطة وأداء الفريق من خلال آليات التنسيق، وبين تأثير المسار السلبي للتسلسل الهرمي على أداء الفريق من منظور الصراع، بسبب العمليات الاجتماعية الواعية واللاواعية.

سيتم البناء على هذين المنظورين في تفسير العلاقة القائمة بين التسلسل الهرمي للسلطة وأداء فرق العمل، مع إبراز وجهات النظر المتباينة في هذا الصدد، وكيف يؤثر كل عامل من العوامل الظرفية في الإضرار بالعلاقة القائمة، أو نموها.

المجموعة والفريق؟

المجموعة هي في الأساس تجمّع محدود من الأفراد في وضعية وجه لوجه، يتفاعلون فيما بينهم لإنجاز مهمة أو لتحقيق أهداف مشتركة، وينجذب أعضاء المجموعة إلى بعضهم البعض، ولديهم علاقات وفقا لدور كل عضو، وينبع نظام الدور هذا من الانقسامات الهيكلية داخل المجموعة، وتبرز هذه الانقسامات الهيكلية في سياق العملية الجماعية مع تحقق أهداف المجموعة.

إن استمرار التفاعلات تسمح للأعضاء أن يشعروا بالانتماء إلى المجموعة؛ هذا ما يسمى بالشعور بالهوية كعضو في المجموعة. ومع ذلك، فإن العملية الأساسية للتشكيل النفسي ودرجة التماسك الداخلي للمجموعة هو عملية جذب بين الأشخاص (Voynnet Fourboul C., n.d., p.8)، تتكون المجموعة من عدة أفراد هم في تفاعل وترابط، إلا أنها لا تشكل بالضرورة فريقًا، لغياب الحاجة المتزايدة في الأداء (Osei Boakye E., 2015, P. 7). أما الفريق فيتضمن محكاً إضافياً؛ هو المهمة (المهام) التي سيتم تنفيذها. هذا المفهوم للمهمة التي يتعين القيام بها هو السبب في وجود الفريق أصلاً، ويتكون الفريق في المقام الأول لتنفيذ هذا النشاط (Bonnard F., Habrat A., Jarry N., 2014, p.14)، وكلما كانت مهام العمال متكاملة، كلما كان عمل الفريق ضرورياً لضمان نجاح المهمة الموكلة إلى الفريق (Barton et al., 2002, p.31).

والفريق يمكن أن ينتقل من نمط إلى نمط حسب توفر بعض المحكات، على سبيل المثال، الفريق السليم أو ما يسمى بالفريق الحقيقي Real Team هو الفريق الذي يضم الأشخاص الذين يتمتعون بمهارات تكميلية، ويلتزمون أيضاً بهدف مشترك ونهج عمل يُخضِعون أنفسهم فيه للمساءلة فيما بينهم، حدد Wageman, Hackman, (2005) and Lehman, ثلاث خصائص لـ "الفريق الحقيقي": حدود واضحة (أي، عندما يعرف أعضاء الفريق من هو جزء من الفريق، ومن ليس كذلك)، درجة معتدلة من استقرار العضوية (أي، يعملون مع بعضهم البعض على مدى فترة طويلة من الزمن)، والاعتماد المتبادل (أي، يحتاجون إلى التفاعل بسبب ترابط المهام) (Buljac, M., Van Woerkom, M., van Wijngaarden, J., 2013, p.95)، وأما إذا "لم يتمكنوا بعد من تطوير الثقة الكاملة في بعضهم البعض. ولم يظهروا حس المسؤولية المشتركة والجماعية، فيندرج هذا الفريق ضمن الفرق المحتملة Potential teams" (-Buljac Samardžić, M., 2010, p.15). أما إذا كانت مساهمة الفريق دائماً بشكل أقل في احتياجات أداء المنظمة -وهذا في الغالب راجع إلى أن تفاعلات أعضاء الفريق- فهذا يقلل من الأداء الفردي لكل عضو دون تقديم أي فوائد مشتركة، ينحدر الفريق في هذه الحالة إلى الفرق الزائفة Pseudo-teams والتي تمثل أضعف المجموعات من حيث التأثير على الأداء.

التسلسل الهرمي للسلطة:

"التسلسل الهرمي للسلطة هو ظاهرة شاملة للتنظيم؛ مما يعني أن السلسلة العددية تعني سُلماً منظماً بطريقة هرمية مع عدة خطوات متتالية مترابطة مع بعضها البعض، من الأعلى إلى الأسفل. يشير النظام العددي إلى أن كل موظف مرتبط بسلسلة قيادة واحدة على حد تعبير "ستيفن روبينز"، وإن سلسلة القيادة هي خط سلطة غير منقطع يمتد من أعلى المنظمة إلى أدنى مرتبة، ويوضح من يقدم التقارير لمن" (Marume, S. B., Chikasha, A. S., 2016, p.55).

ينظر الباحثون (على سبيل المثال، Heckscher, 2007; Leavitt, 2003; Ghoshal and Gratton, 2002; Laurent, 1978) إلى التسلسل الهرمي كنظام قيادة وتحكم يتم فيه تقديم المرؤوسين لتوجيهات المشرفين عليهم (Wang, F., 2010, p. 519)، والذي يخلق اختلافات عمودية بين الأعضاء في حيازتهم لموارد ذات قيمة اجتماعية، وهو مفهوم أساسي في دراسة المجموعات والفِرق (للمراجعة، عد إلى Halevy, Chou, & Galinsky, 2011; Anderson & Brown, 2010; Magee & Galinsky, 2010; Keltner, Van Kleef, Chen, & Kraus, 2008).

تقدم الدراسات السابقة (على سبيل المثال، Halevy et al., 2011; Van der Heijden, Potters, & Sefton, 2009; Keltner et al., 2008)، وجهات نظر متباينة حول إمكانية وكيفية تأثير التسلسل الهرمي للسلطة على أداء الفريق. يقترح المنظور الوظيفي مساراً إيجابياً من التسلسل الهرمي إلى أداء الفريق عبر تحسين عمليات تمكين التنسيق، بدأ خط عمل متزايد في تحديد العوامل الظرفية المختلفة التي توضح متى من المرجح أن يساعد التسلسل الهرمي أو أن يضر بأداء الفريق (على سبيل المثال، Bunderson, Van der Vegt, Cantimur, & Rink, 2016 ; Tarakci, Greer, & Groenen, 2016; Hays & Bendersky, 2015; Anderson & Willer, 2014).

العلاقة بين التسلسل الهرمي للسلطة وأداء الفريق:

التسلسل الهرمي هو حقيقة الحياة الجماعية، بالنسبة للبشر ومعظم الأنواع الحية الأخرى. ومع ذلك، لا يزال هناك جدل كبير حول ما إذا، ومتى يمكن أن يعزز التسلسل الهرمي أداء الفريق ورضا الأعضاء؟

نقترح أن التقدم في هذه المناقشة قد أعيق بسبب عدم الوضوح حول التسلسل الهرمي وكيفية تصوره. في حين أن المفاهيم السائدة للتسلسل الهرمي في أدبيات المجموعات، والفِرق، والتنظيم (أنظر، على سبيل المثال؛ Cantimur, Y. et al., 2016; Bunderson, J. S., Van der Vegt,G. S., Cantimur, Y., Rink, F., 2015; Anicich, Swaab, & Galinsky, 2015; Greer, 2014; Greer, Schouten, De Jong, & Dannals, 2014; Greer & Van kleef, 2010; Cronin & Weingart, 2007; Cronin & Weingart, 2007; Bunderson & Sutcliffe, 2002; Dougherty, 1992) ركزت على عدم المساواة في قوة العضو أو مكانته أي المركزية أو الانحدار، لذا فإننا نبني على منظورين، هما المنظور الوظيفي ومنظور الصراع من خلال المسارات الإيجابية والسلبية للتسلسل الهرمي على أداء الفريق.

في شرح علاقة فعالية التسلسل الهرمي، يقترح المنظور الوظيفي مساراً إيجابياً بين التسلسل الهرمي للسلطة وأداء الفريق من خلال آليات التنسيق (على سبيل المثال، Keltner et al., 2008; Van Vugt et al., 2008; Anderson, Srivastava, Beer, Spataro, & Chatman, 2006)، والتي يتم تعريفها على أنها دمج لمدخلات عمل أعضاء الفريق (مثل الإجراءات والمعرفة والأهداف) لغرض تحقيق الأهداف المشتركة (Sieweke, J., Zhao, B., 2015, p.384).

ينبع خط التفكير الوظيفي من البحث في علم النفس الاجتماعي، مما يشير إلى أن الناس لديهم تفضيل لاواعي للتسلسل الهرمي بسبب الراحة التي يوفرها في تنسيق تفاعلات الفريق. يجادل العلماء (على سبيل المثال، Galinsky, Chou, Halevy, & Van Kleef, 2012; Woolley, Gerbassi, Chabris, Kosslyn, & Hackman, 2008; De Kwaadsteniet, Van Dijk, Wit, De Cremer, & de Rooij, 2007) في هذا النوع من التفكير على أن التسلسل الهرمي قد يفيد أداء الفريق من خلال تسهيل وتنسيق تفاعلات الأعضاء، مما يسمح للأعضاء بمعرفة مكانهم داخل الفريق (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.6)، "ويشجع نقاط القوة على مستوى الفريق وذلك باستخدام نقاط القوة الفردية في العمل لصالح الفريق. وسيُظهر أعضاء الفريق تعاوناً منظماً بشكل جيد ويكون لديهم نفس الفهم حول الأدوار المختلفة لكل عضو في الفريق" (Aditiarani, K., 2018, p.6)، والتوقعات حول المعايير والسلوكيات المتوقعة بناءً على إدراج الأعضاء في التسلسل الهرمي (على سبيل المثال، Van Biggart & Hamilton. 1984; Dornbusch & Scott, 1975). من خلال توفير هيكل لتوجيه الأدوار والتفاعلات، قد يعزز التسلسل الهرمي عمليات التنسيق وبالتالي تحسين أداء الفريق، على سبيل المثال، وجد Woolley et al., (2008) في تجربة مخبرية لفرق الطلاب، أنه عندما يكون للفِرق تسلسل هرمي واضح للخبرة، فإنها -أي الفِرق- تكون أفضل قُدرة على دمج المعلومات وحل مؤامرة إرهابية افتراضية. تستفيد عمليات التنسيق هذه بدورها من أداء الفريق من خلال تسهيل الجمع السريع والفعال للمدخلات الفردية لنتائج الفريق (راجع، Cohen & Bailey, 1997; Gladstein, 1984; Woerkom, et al, 2018;).

في الواقع، أظهرت الأدلة أن عمليات التنسيق لها تأثير إيجابي على كل من أداء الفريق وسلامته (LePine, Piccolo, Jackson, Mathieu, & Saul, 2008)، وبصرف النظر عن هذه التسلسلات الهرمية التي قد تسهل التنسيق داخل الفريق، من خلال جعل القادة يقومون بدمج المعلومات المتنوعة وتنفيذ القرارات ذات الصلة، قبل أن تتدفق القرارات إلى المستوى الهرمي الأدنى (Poe, M. O., Zamora, L. L.,Quinain, K. T., 2019, p.108). فإن هذه الحجج النظرية والأدلة التجريبية تشير إلى أن التسلسل الهرمي يمكن أن يوفر للفِرق مساراً إيجابياً لأداء الفريق من خلال عمليات التنسيق المكنة.

على النقيض من ذلك، يقترح منظور الصراع مساراً سلبياً للتسلسل الهرمي على أداء الفريق من خلال حالات الصراع المكنة، والتي تم تعريفها على أنها حالات فريق طارئة تتميز باحتمال عدم التوافق أو الاختلاف بين الأعضاء. وفقاً لهذا المنظور، قد يُحفز التسلسل الهرمي الأفراد على تسلق الرتب، وقد يؤدي بالأعضاء في الرتب المختلفة إلى وجود مصالح ووجهات نظر متعارضة، والتي يمكن أن تؤدي إلى زيادة الصراعات بين المجموعات. لقد ثبت أن مثل هذه الصراعات تُضر بنتائج الفريق (على سبيل المثال، النزاعات على الرتبة المهنية؛ Bendersky & Hays, 2012; Ronay et al., 2012).

وجد جْرير وفان كليف (2010)، أن التسلسل الهرمي قد أضر بأداء الفريق في فرق عالية القوة، لأن التسلسل الهرمي أثار المنافسات والصراعات حول ترتيب منزلة الأعضاء في الفريق. في الواقع، أظهرت عدد من الدراسات التجريبية (على سبيل المثال، Tost, Gino, & Larrick, 2013; Van der Vegt, De Jong, Bunderson, & Molleman, 2010; Wolfe & McGinn, 2005; Edmondson, 2002; Mannix, 1993; Torrance, 1955) أن التسلسل الهرمي يمكن أن يخلق بيئة متوترة داخل الفريق، حيث يكون للفِرق التي لها مستويات عالية من حالات الصراع أداء أقل .

تتضمن العوامل الظرفية التي اقترحها العلماء تحت مسمى جوانب مهام الفريق، وهيكل الفريق ما يلي (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.3):

أ. العوامل الظرفية المتعلقة بجوانب مهام الفريق:

"يقترح تومبكينز وتشيني "Tompkins & Cheney" أن طرق التحكم الهادئة قد تكون في الواقع طرقاً أكثر فاعلية للتلاعب بالسلوك؛ لأن هذه الأساليب أقل وضوحاً بالنسبة للموظفين من أجل المشاركة في السيطرة على أنفسهم" (Kubheka, I., Kholopane, P., Mbohwa, C., 2013, p.219). سنركز هنا على ثلاثة جوانب من مهام الفريق التي تزيد من فائدة عمليات التنسيق هذه، وقد تم التحقيق فيها بشكل شائع في الأدبيات وهي: ترابط المهام، غموض المهمة، وتعقد المهام (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, pp.8-10).

أولاً، ترابط المهام: يشير ترابط المهام وفقاً لـ (1999) Johnson & Johnson ، إلى الدرجة التي يتعامل بها أعضاء الفريق مع بعضهم البعض ويظهرون العزم على المساعدة، سواء من خلال أفعالهم أو من خلال توفير الموارد، وفقاً لـ Wang et al. (2011)، "يمكن أن يثير الترابط بين المهام إحساساً بالمسؤولية بين أعضاء الفريق" (Lee, C. -C.,

(Lin Y. -H., Huan, H. -C., et al., 2015, p. 530)، حيث "يعتمد أعضاء الفريق على بعضهم البعض بطرق يمكن التنبؤ بها لتدفق المعلومات والعمل والقرارات، فيصبح مخرجات كل عضو هو مدخلات العضو التالي في التسلسل" (Schwarz, R., 2017, n.p).

يزيد ترابط المهام من متطلبات التنسيق في الفِرق، حيث عندما يكون الأعضاء مترابطين بشكل وثيق لتحقيق أهداف الفريق، يكون لزاما عليهم التواصل بشكل متكرر (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.10)، فيتطلب العطاء واستيعاب الإيماءات بين الأطراف من أجل تحقيق التنسيق الفعال (Bachrach, D., Powell, B., Collins, B., Richey, R., 2006, p.1396)، مع اتخاذ قرارات مشتركة بشأن مكونات مهمة الفريق، ومزامنة جهود المهام الفردية مع الآخر. في مثل هذه الحالات، يمكن أن تساعد الخريطة الذهنية التي يوفرها التسلسل الهرمي في تنسيق هذه التفاعلات، مما يتيح أداءً أعلى للفريق (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.10). هنا، "يكون من المهم أن يشترك جميع أعضاء الفريق في نفس النموذج الذهني، حتى يتمكنوا من تفسير الإشارات السياقية بطريقة مماثلة واتخاذ قرارات متوافقة بشأن هدفهم المشترك" (Bjørnson, F. O., Wijnmaalen, J., Stettina, C. J., et al., 2018, p. 220)، إن هياكل المعرفة المشتركة والدقيقة بين أعضاء الفريق، سيعزز بشكل خاص عمليات التنسيق الضمنية التي ستسهل أداء الفريق. تصبح النماذج الذهنية للفريق أكثر دقة مع مرور الوقت من خلال عمليات التغذية المرتدة التي تربط أنماط التنسيق بالنتائج. وبالتالي، يجد أعضاء الفريق أنه من الأسهل عليهم بشكل متزايد التنبؤ بسلوك زملائهم في الفريق والتكيف معه (Rico, R., et al., 2011, p.62)، في هذا الصدد، تشير الأدبيات النظرية (على سبيل المثال، Marks et al., 2000; Mathieu et al., 2000)، إلى أن النماذج الذهنية للفريق تسمح لأعضاء الفريق بتوقع تصرفات بعضهم البعض وتنسيق سلوكياتهم، خاصة عندما لا يسمح الوقت والظروف بالتواصل المطول والمكشوف والاستراتيجيات بين أعضاء الفريق. في ظل هذه الظروف، يجب أن يعتمد أعضاء الفريق على المعرفة الموجودة مسبقاً للتنبؤ بأفعال زملائهم في الفريق، والاستجابة بطريقة منسقة للمخاطر العاجلة و/ أو العالية و/ أو متطلبات المهام الجديدة. ويلخص نموذج الفريق إلى فهم أعضاء الفريق لمعارف بعضهم البعض ومهاراتهم ومواقفهم ونقاط قوتهم وضعفهم. قد يكون لكل نموذج ذهني تأثير في التنبؤ بأداء الفريق (Lim, B.-C., Klein, K. J., 2006, p. 405). في دراسة أجريت على 75 فريقاً من مجموعة من الصناعات، نوضح أنه في حين أن التبادل في العلاقات المؤثرة يقلل من الصراع وبالتالي يعزز أداء المجموعة ورضا الأعضاء، فإن المركزية والحدة لها آثار سلبية على الصراع والأداء والرضا، خاصة في المجموعات التي تؤدي مهام معقدة (Bunderson, J. S., Van der Vegt,G. S., Cantimur, Y., Rink, F., 2015).

ثانياً، غموض المهمة: يتم تعريف غموض المهمة على أنه الدرجة التي يفتقر فيها الأعضاء إلى الوضوح بشأن مسؤولياتهم وما هو متوقع منهم لإنجاز المهمة. يمكن أن يؤدي غموض المهام إلى زيادة متطلبات التنسيق في الفريق. عندما يكون غموض المهمة مرتفعاً، يكون لدى أعضاء الفريق مستويات عالية من عدم اليقين حول كيفية بذل جهودهم المتعلقة بالعمل، وكيف يجب أن تتماشى جهودهم مع الآخرين (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.10)، يمكن أن يحدث غموض معين في المهام بسهولة أثناء أداء الفريق، ويمكن أن يؤدي إلى

الكثير من الارتباك وإضاعة الوقت بشكل هائل ومشاكل أخرى ذات نتائج عكسية، مما يؤدي إلى الإضرار في أداء الفريق، أكدت على هذا دراسة Cordery et al., (2010) أن العلاقة إيجابية بين عدم اليقين بشأن المهمة وأداء الفريق. كذلك جادل الكثير (على سبيل المثال، Magee & Galinsky, 2008; Sneddon, Hawkesworth, Braithwaite, & Yerbury, 2006; Sirot, 2000)، بأن الوعي حول وضعية بعضهم البعض داخل الفريق يوفر وضوح الدور، يقلل من غموض المهام ويساعد على تجنب الصراعات المكلفة، التي يمكن أن تضر بتحقيق أهداف الفريق الجماعية (Cantimur, Y., Rink, F., Van der Vegt, G. S., 2016, p.658)، في مثل هذه المواقف، يمكن أن يوفر التسلسل الهرمي توجهاً للمساعدة في توجيه وتنظيم أنشطة الأعضاء وتفاعلاتهم (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.10).

ثالثاً. تعقد المهام: الفِرق في المنظمات موجودة لأداء المهام، وغالباً ما تكون هذه المهام معقدة وصعبة وديناميكية؛ فهي تتطلب خبرة وتجربة ووجهات نظر لعدد من الأفراد، يقومون بمزامنة عملهم لأداء جماعي في السعي لتحقيق الهدف المشترك (Salas, E., et al., 2008, p.906). "يعتمد تعقد المهام بالضرورة على طبيعة المؤدي" (Gill, T. G., Hicks,R. C., 2006, p.11). إن تعقد المهام سيحدد أيضاً كيف يؤثر التسلسل الهرمي على أداء الفريق (Cantimur,Y., Rink, F., Van der Vegt, G. S., 2016, p.662).

ينطوي تعقد المهام على وجود مسارات محتملة متعددة لتحقيق الهدف، ووجود نتائج مرغوبة متعددة، ووجود ترابط متضارب بين المسارات المختلفة لتحقيق الأهداف، ووجود روابط احتمالية بين المسارات والنتائج. وقد ثبت أن تعقد المهام يزيد من متطلبات التنسيق في الفِرق. عندما تكون درجة تعقد المهام عالية، يكون لدى أعضاء الفريق عبء كبير في المعلومات، وأي شيء يمكن أن يُبسِّط مسؤولياتهم ويُوجِّه تفاعلاتهم، يمكن أن يكون مفيداً لتسهيل إنجاز المهمة (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.11)، تشير الأدبيات بالفعل إلى أن آثار التسلسل الهرمي ستكون أقوى وأكثر إيجابية عندما يكون تعقد المهام منخفضاً نسبياً. على سبيل المثال، وجدت الدراسات التجريبية لشبكة الفريق؛ أن الاختلافات الواضحة بين الأعضاء أثرت على أداء الفريق بشكل إيجابي أكثر في الفِرق التي تنفذ مهاماً أقل تعقيداً، من تلك التي تنفِذ مهاماً أكثر تعقيداً. (Cantimur,Y., Rink, F., Van der Vegt, G. S., 2016, p.662) وفي نفس السياق ثبُت في دراسة Plewnia, U., Ploch, J.,(2005)، أن تعقد المهام يخفف من آثار التسلسل الهرمي على أداء الفريق. وفي دراسة Cantimur, Y. et al., (2016) أظهرت النتائج الميدانية التي أجريت على 438 موظفاً يعملون في 72 فريق عمل عبر إعدادات عمل متنوعة، أن تعقد المهام متغير مُعدِّل للعلاقات بين التسلسل الهرمي وأنواع مختلفة من صراع الفريق وأداء الفريق.

ب. العوامل الظرفية المتعلقة بجوانب هيكل الفريق:

لفهم كيفية تأثير هيكل الفريق على العلاقة بين التسلسل الهرمي للسلطة وأداء الفريق، وجب علينا البناء على الاتجاهات الناشئة في أدبيات التسلسل الهرمي التي تشير إلى أن سلبيات التسلسل الهرمي للسلطة تكون على الأرجح عند ظهور الصراعات في الفريق، من المحتمل أن تؤدي الاختلافات في الترتيب التي أنشأها التسلسل الهرمي إلى

صراعات شديدة (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.11)، وينتج عنها التوتر والعداء ويصرف انتباه أعضاء الفريق عن أداء المهمة. ومن المُرجح أن يعاني أداء الفريق (De Dreu, C., Weingart, L., 2003, p. 741).

في حين أن المفاهيم السائدة للتسلسل الهرمي في أدبيات المجموعات والتنظيم ركزت على عدم المساواة في قوة العضو أو ومكانته، أي المركزية أو الانحدار (Bunderson, J. S., Van der Vegt, G. S., Cantimur, Y., Rink, F., 2015)

على وجه التحديد، عندما تكون الفِرق عرضة للنزاع، قد تصبح التسلسلات الهرمية عظْمة خلاف لتنشيط التوترات الكامنة، على سبيل المثال بين المجموعات الفرعية الوظيفية المختلفة في فِرق شديدة الاختلاف في المهارات. في مثل هذه المواقف، قد تكون الاختلافات في الرتب والموارد بارزة بشكل خاص (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.12)، فيميل أعضاء الفريق إلى التنافس والصراع على الرتب والموارد (Lee, C.-C., Lin, Y.-H., Huan, H.-C., et al., 2015, p.530)، وعلى النقيض من ذلك، فقد كشفت بعض تحليلات البيانات الأرشيفية أن التمايز الهرمي مثلا في الأجور وكمية المشاركة في العمل قد عزز أداء الفريق من خلال تسهيل التنسيق والتعاون داخل الفرق (Halevy, N., Chou, E. Y., Galinsky, A. D., & Murnighan, J. K., 2012, n.p).

على العموم، لقد ثبت أن الصراعات الهرمية تشتت انتباه الأعضاء، وتعيق عملية حل النزاعات، وتضر بأداء الفريق. لذلك، من المرجح أن يكون للفِرق ذات الهياكل الأكثر عرضة للحالات الداخلية للنزاعات تأثيرات سلبية للتسلسل الهرمي على أداء الفريق.

بصرف النظر عن التسلسل الهرمي نفسه أو ما يطلق عليه مصطلح "تمايز السلطة"، سنركز على اثنين من الخصائص الهيكلية الأخرى للفريق؛ وهي عدم استقرار العضوية وتمايز المهارات.

أولاً، عدم استقرار العضوية: يتم تعريف عدم استقرار العضوية على أنه تغييرات عضوية متكررة في الفريق. عندما يكون لدى الفِرق تغييرات عضوية متكررة، فيدخل الأعضاء أو يغادرون أو يتشكل فريق بأكمله أو يُشكل بسرعة (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.12) -هذه ظاهرة غير صحية للفرق السليمة والتي قد تؤدي بهم إلى الانتقال إلى صنف الفرق المحتملة- (Buljac- Samardžić, M., 2010, p.15)، هنا يجب إعادة التفاوض على التسلسل الهرمي بشكل متكرر. يمكن أن يؤدي هذا الصراع المستمر إلى التنافس والتوترات بين مختلف الأعضاء، ووجود تسلسل هرمي في مثل هذا الوضع المتقلب يمكن أن يفجر التوترات القائمة ويغذي الخصومات المستقبلية. لقد ثبت أن عدم استقرار العضوية يزيد من قابلية التأثر بالنزاع في الفريق، مما ينعكس سلباً على أداء الفريق (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.12)، أما إذا كان استقرار العضوية في الفريق، أمكن توقع أنه مع زيادة طول عمر الفريق، سيكون التنسيق الضمني أعلى بسبب زيادة خبرة زملاء العمل معًا والعمل الجماعي. وسيؤدي ذلك إلى تحرير الموارد المعتمدة في الفريق والتي من شأنها تحسين فعاليته (Rico, R., et al., 2011,p.62)، ويرجع ذلك إلى أنه من المفترض أن الفرق السليمة (أو الفرق الحقيقية كما يطلق عليها (2005) Wageman, Hackman, and Lehman) قد اجتازت بالفعل بعض تحديات العملية على الأقل التي تميز المراحل

الأولية. غالباً، من مراحل تطور المجموعة (على سبيل المثال، وضع المعايير) التي يجب على الفرق المُشكّلة حديثاً التغلب عليها لتطوير التماسك (Salas, E., et al., 2008, p.910)، ولكن حتى هذا الاستقرار في العضوية يمكن أن يتسبب في أداء ضعيف للفريق أو حتى كارثي وذلك في معطيات غير معتادة لأعضاء لهذا الفريق، لقد جادل الكثير من الباحثين (على سبيل المثال، Sieweke, J., Zhao, B., 2015; Gorman, Amazeen, & Cooke, 2010; Rico et al., 2008; Edmondson, Bohmer, & Pisano, 2001; Wiersema & Bantel, 1993; Gersick & Hackman, 1990) على أنه بمرور الوقت، يكتسب أعضاء الفريق ألفة كبيرة، فتشجع الإجراءات المعتادة والروتينية على التنسيق الضمني غير المبالي الذي يجعل من الصعب على أعضاء الفريق التكيف مع التغيير بسبب الاستجابات المعرفية والسلوكية التلقائية تقريباً، وعندما تكون المرونة والقدرة على التكيف مطلوبة استجابةً لبيئة المهام المتغيرة، يبقى أعضاء الفريق يطبقون الروتين المعتاد الذي لم يعد مناسباً" (Sieweke, J., Zhao, B., 2015, p.385).

ثانياً، تمايز المهارات: يتم تعريف تمايز المهارات على أنه مدى امتلاك أعضاء الفريق خبرة معرفية متخصصة أو قدرات وظيفية تجعل من الصعب تبادل دور أعضاء الفريق (Lyubovnikova, J., West, M. A.,2013, p.327)، أو استبدالهم وينعكس هذا في اختلافات التخصص التعليمي للأعضاء، ومجال الخبرة العملية الوظيفية. ثبت أن التباين في المهارة يزيد من احتمالات الصراع لدى الفريق (أنظر، على سبيل المثال: Cronin & Weingart, 2007; Bunderson & Sutcliffe, 2002; Dougherty, 1992). عندما تتكون الفِرق من أعضاء لديهم مهارات متباينة، يمكن أن توجد توترات بين أعضاء الفريق، ويمكن للتسلسل الهرمي للسلطة أن يؤدي بعد ذلك إلى مثل هذه التوترات عن طريق خلق عدم المساواة والاستياء بين هذه المجموعات الفرعية المختلفة. لقد تم بالفعل اقتراح تمايز المهارات في الأدبيات المتعلقة بالتسلسل الهرمي ليكون لها آثار على أداء الفريق (Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J., 2018, p.13)، وتشير الأبحاث إلى أن الفرق ذات التباين في المهارات بين أعضاءها تجد المزيد من الصعوبات في دمج معرفتهم المتباينة عند محاولة التوصل إلى توافق في الآراء وحل المشكلات. ويرجع ذلك إلى مشاكل التفاهم المتبادل والتصورات الخاطئة والصعوبات في تبادل المعلومات. لذلك، من المتوقع أن تستخدم الفرق ذات التباين في المهارات بوعي، المزيد من آليات التنسيق الصريح للتوصل إلى اتفاقيات حول العملية التي يجب إتباعها، وأداء المهمة (Rico, R., et al., 2011, p.62). "قد تصل الفِرق إلى أعلى تشتت للطاقة إذا تم تركيز السُلطة في شخص واحد، بينما تصل إلى أدنى تشتت للطاقة إذا تم توزيع السلطة بالتساوي بين جميع أعضاء الفريق؛ فعند وجود عضو واحد على الأقل ذو سلطة عالية في الفريق، فإن هذا يزيد من الحساسية حول السلطة في الفريق، ومن المحتمل أن يشعل التنافس على السلطة بين الأعضاء عندما يشعرون أن مواردهم داخل الفريق مهددة، مما يؤدي إلى تصاعد صراعات الفريق التي تؤدي إلى تشتيت النتائج" (Greer, L., Van Bunderen, L., Yu, S., 2017,pp.106,117).

ومع ذلك، يؤكد باحثون آخرون (راجع، Anicich, Swaab, & Galinsky, 2015; Greer, 2014; Greer, Schouten, De Jong, & Dannals, 2014) أن في الفرق ذات التسلسل الهرمي الحاد، يمكن للأعضاء ذوي الرتب العالية ممارسة تأثير كبير جداً على قرارات الفريق، والحصول على المزيد من الاعتراف لمساهماتهم مقارنة بالأفراد الموجودين أسفل التسلسل الهرمي، نظراً لأن هذا التفاوت يمكن أن يخلق مشاعر الظلم لذوي المكانة المنخفضة، يجب أن يحرض

التسلسل الهرمي الصراع وبالتالي، يعرض أداء الفريق للخطر (Cantimur,Y., Rink, F., Van der Vegt, G. S., 2016, p.658).

الخاتمة:

إن الفهم الأفضل للعوامل التي تؤثر على قدرة الفريق في تحقيق الأهداف الجماعية يمكن أن يؤدي إلى رؤى ثاقبة لحل مشاكل العمل الجماعي. قدمنا بعض أدلة في استخدام المنظور الوظيفي، ومنظور الصراع في النظرية الظرفية لتحديد آثار التسلسل الهرمي على أداء فرق العمل، حيث أظهرنا أن الفرق تستفيد فقط من التسلسلات الهرمية للحالة الأكثر حدة في ظل ظروف المهام الأقل تعقيدًا. وأن ترابط المهام، وغموض المهام، والتباين في المهارات، يزيد بنفس القدر من متطلبات التنسيق في الفِرق، بسبب الإحساس بالمسؤولية بين أعضاء الفريق، وأنه بصرف النظر عن مدى تعقد المهام التي تحتاج الفرق إلى تنفيذها، لم يكن للتسلسل الهرمي أي تأثير على تجربة أعضاء الفريق في تعارض العلاقات.

لقد تم إلقاء المزيد من الضوء على سبب تأثير التسلسل الهرمي على أداء الفريق، حيث وجدنا دليلًا واضحًا على أنه يقلل بشكل خاص أنواع الصراع المتعلقة بالمهام (بدلاً من النزاعات العلائقية)، ولكن يمكن أن يخلق التسلسل الهرمي بيئة متوترة داخل الفريق باعتباره حدثاً مرهقاً ومضطرباً، حيث يكون للفِرق مستويات عالية من حالات الصراع عند تركيز السُلطة في شخص واحد، وعدم استقرار العضوية في الفريق حيث يجب إعادة التفاوض على التسلسل الهرمي بشكل متكرر. يمكن أن يساعد فهم هذه الديناميكيات في تقديم التدخلات لمنع الإجراءات الأحادية أو الجماعية غير المرغوب فيها.

بنفس القدر من الأهمية، يمكن أن توفر الأفكار المقدمة في هذه الورقة مجموعة أدوات مفاهيمية مهمة تساعد الباحثين في فهم أثر التسلسل الهرمي على أداء فرق العمل.

قائمة المراجع:

- Aditiarani, K.(2018). Strengths coordination and team performance: Exploring the mediating effect of team work engagement and the moderating role of task complexity. Retrieved from http://arno.uvt.nl/show.cgi?fid=146591

- Bachrach, D., Powell, B., Collins, B., Richey, R.(2006). Effects of Task Interdependence on the Relationship between Helping Behavior and Group Performance. *Journal of Applied Psychology 91(6), 1396-1405*. DOI: 10.1037/0021-9010.91.6.1396

- Barton, et al.(2001). *Team incentives and worker heterogeneity: An empirical analysis of the impact of teams on productivity and participation*. Retrieved from http://apps.olin.wustl.edu%20workingpapers/pdf/2001-11-002.pdf

- Bjørnson, F. O., Wijnmaalen, J., Stettina, C. J., et al.(2018). Inter-team Coordination in Large-Scale Agile Development: A Case Study of Three Enabling Mechanisms. in J. Garbajosa et al. (Eds.). pp. 216–231.

- Bonnard, F. ,Habrat, A., Jarry, N. (2014). *Le sentiment d' d'appartenance, dans les équipes a distance: Quel rôle du management?* Retrieved from http://rh.dauphine.fr/fileadmin/mediatheque/site/mba_rh/pdf/Travaux_anciens/Memoire_MBA_MRH_Le_sentiment_d_appartenance_dans_les_EAD_quel_role_du_management.pdf.

- Buljac- Samardžić, M. (2010). Healthy teams, analyzing and Improving team performance in long-term care. (Doctoral dissertation, Erasmus Universiteit Rotterdam). Retrieved from https://www.eur.nl/sites/corporate/files/Proefschrift_Martina_Buljac_0.pdf

- Buljac, M., Van Woerkom, M., van Wijngaarden, J.(2013). Are Real Teams Healthy Teams*? Journal of healthcare management, 58(2), 92-107.* DOI: 10.1097/001155 14-201303000-00005.

- Cantimur,Y., Rink, F., Van der Vegt, G. S.(2016). When and why hierarchy steepness is related to team performance, *European Journal of Work and Organizational Psychology, 25(5), 658-673*. DOI: 10.1080/1359432X.2016.1148030.

- De Dreu, C., Weingart, L.(2003). Task Versus Relationship Conflict, Team Performance, and Team Member Satisfaction: A Meta-Analysis. *Journal of Applied Psychology, 88,(4), 741–749.* DOI: 10.1037/0021-9010.88.4.741

- Diefenbach, T., Sillince, J. A.(2011). Formal and Informal Hierarchy in Different Types of Organization. *Organization Studies, 32(11), 1515 –1537.* DOI: 10.1177/017084061 1421254.

- Gill, T. G., Hicks, R. C.(2006). Task Complexity and Informing Science: A Synthesis. Informing Science Journal, Volume 9, Retrieved from http://inform.nu/Articles/Vol9/ v9p001-030Gill46.pdf

- Greer, L., De Jong, B., Schouten, M., Dannals, J.(2018). Why and When Hierarchy Impacts Team Effectiveness: A Meta-Analytic Integration. *Journal of Applied Psychology, 103(6), 591-613*. DOI: 10.1037/apl0000291.

- Greer, L., Van Bunderen, L., Yu, S.(2017). The dysfunctions of power in teams: A review and emergent conflict perspective. *Research in Organizational Behavior, Vol. 37, 103-124.* https://doi.org/10.1016/j.riob.2017.10.005

- Halevy, N., Chou, E. Y., Galinsky, A. D., & Murnighan, J. K. (2012). When hierarchy wins: Evidence from the national basketball association. *Social Psychological and Personality Science, 3(4), 398–406.*

- Lee, C.-C., Lin, Y.-H., Huan, H.-C., et al.(2015). Effects of Task Interdependence, Team Cooperation, and Team Conflict on Job Performance. *Social Behavior and Personality An International Journal 43(4), 529-536*. DOI: 10.2224/sb p.2015.43.4. 529

- Lim, B.-C., Klein, K. J.(2006). Team mental models and team performance: A field study of the effects of team mental model similarity and accuracy. *Journal of Organizational Behaviour, 27, 403–418*. DOI: 10.1002/job.387

- Lyubovnikova, J., West, M. A.(2013). Why teamwork matters: Enablinghealth care team effectiveness for the delivery of high-quality patient care. In Salas, E., Tannenbaum, S., Cohen, D., Latham, G. (Eds.), *Developing and Enhancing Teamwork in Organizations: Evidence-based Best Practices and Guidelines*. San Francisco: Jossey Bass.

- Marume, S. B., Chikasha, A. S.(2016). The Concept Hierarchy in Organisational Theory and Practice. *International Journal of Engineering Science Invention, 5(7), 55-58*. Retrieved from http://www.ijesi.org/papers/Vol(5)7/H0507055058.pdf

- Osei Boakye, E.(2015). The impact of teamwork on employee performance. Retrieved from https://www.researchgate.net/publication/284732729_The_impact_of_teamwork_on_employee_performance

- Poe, M. O., Zamora, L. L.,Quinain, K. T.(2019). Team Performance in Hierarchical Versus Self-Managed Work Teams in Selected Electronics Manufacturing Company in Cebu. *DLSU Business & Economics Review, 29(1), 106-114.* Retrieved from http://dlsuber.com/wpcontent/uploads /2019/07/10poe-0719-revised.pdf

- Rico, R., et al.(2011). Coordination processe in work teams. *Papeles del Psicólogo, 32(1), 59-68*. Retrieved from https://www.researchgate.net/publication/236631144_Coordination_process_in_work_teams

- Salas, E., et al.(2008). Does Team Training Improve Team Performance? A Meta-Analysis. *Human Factors: The Journal of the Human Factors and Ergonomics Society, vol 50, 903-933*. DOI: 10.1518/001872008X375009

- Sieweke, J., Zhao, B.(2015). The impact of team familiarity and team leader experience on team coordination errors: A panel analysis of professional basketball teams. *Journal of Organizational Behavior, 36(3),382-402*. DOI: 10.1002/job.1993

- Schwarz, R. (2017). *Is Your Team Coordinating Too Much, or Not Enough?* Retrieved from https://hbr.org/2017/03/is-your-team-coordinating-too-much-or-not-enough#:~:
text=To%20be%20a%20team

- Voynnet-Fourboul, C.(n.d). *Groupes et équipes, comportement organisationnel.* Retrieved from http://voynnetf.fr/wp-content/uploads/2013/06/groupe.pdf

- Wang, F. (2010). The Evolution of Hierarchy toward Heterarchy: A Case Study on Baosteel's Managerial Systems. *Front. Bus. Res,4(4), 515–540.* DOI 10.1007/s11782-010-0109-9.

- Kubheka, I., Kholopane, P., Mbohwa, C.(2013). The Effects of Flattening Hierarchies on Employee Performance in Organizations: A Study of a South African Retail Group. International Conference on Law, Entrepreneurship and Industrial Engineering (ICLEIE'2013) April 15-16, 2013 Johannesburg (South Africa).

مقاربة ميدانية للخدمات الترويحية المقدمة للشباب في النوادي الثقافية بمدينة المسيلة

A field approach to the recreational services provided to youth in the cultural clubs in M'sila

د/ سليمة بوخيط، أستاذ محاضر أ، جامعة المسيلة -الجزائر-

البريد الإلكتروني: *salima.boukheit@univ-msila.dz*

د/ ياسمينة كتفي، أستاذ محاضر أ، جامعة المسيلة -الجزائر-

البريد الإلكتروني: *yasmina.ketfi@univ-msila.dz*

د/ سليمة عبد السلام، أستاذ محاضر أ، جامعة المسيلة -الجزائر-

البريد الإلكتروني: *salima.abdeslam@univ-msila.dz*

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2021-09-20	2021-06-20	2021-05-17

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الخدمات الترويحية المقدمة للشباب في النوادي الثقافية، حيث تقوم هذه الأخيرة بفتح أبوابها لهم من أجل تكوينهم وتوجيههم، من خلال برامجها المتعددة في المجالات الاجتماعية، النفسية، الصحية، الثقافية والعلمية حيث أن للشباب المتردد على دار الثقافة بنواديها وجهات نظر في تحديد نوعية الخدمات المقدمة وأساليبها وأنواعها ودورها في توجيهم؛ لتحقيق هذا البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي وأما العينة فكانت طبقية مختارة من الشباب المترددين على دار الثقافة.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك العديد من الخدمات الترويحية المقدمة بدار الثقافة وخاصة في مختلف نواديها، وهذه الخدمات لها دور في تنمية قدرات ومهارات الشباب، كما تم الكشف عن المعوقات الميدانية التي تحول دون الاستفادة المثلى والمرجوة من أهم الخدمات الترويحية المقدمة للمترددين على دار الثقافة.

الكلمات المفتاحية: الخدمات الترويحية، الخدمة العمومية، التنشئة الثقافية الشباب، الخدمات الاجتماعية.

Abstract:

The present study aims to discover the leisure services provided to young people in cultural clubs, while the clubs open their doors to train and guide them, through its various programs in the social, psychological, health, cultural and scientific fields Young people who visit the Maison de la culture have opinions on determining the quality, methods and types of services provided, as well as its role in their orientations.

To conduct this research, the descriptive method, interview, questionnaire and observation were used as data collection tools, which were applied to a stratified sample available from young people visiting the Maison de la Culture.

The results of the study showed that there are many leisure services provided at the house of culture, represented by the Internet club, fine arts training, IT, etc. And it has a role in developing the capacities and skills of young people, and have also found some obstacles that prevent visitors from benefiting from the House of Culture.

key words : leisure services, public service, cultural socialization, youth, social services.

مقدمة:

تعتبر مرحلة الشباب من المراحل الهامة في حياة الفرد، لذا تسعى المجتمعات إلى تلبية حاجاتها ورغباتها والسهر على راحتها ومستقبلها، لأن هذا الأخير مستقبل المجتمع مرهون به وذلك بتوفير جملة من الخدمات التي يمكن للشباب أن يقضي وقت فراغه فيها والاستفادة من خدماتها تعليميا، ثقافيا نفسيا وترفيهيا بما يساهم في تنشئة شباب فاعل في المجتمع.

ويعتبر انتشار هذا النوع من المؤسسات مؤشرا على تقدم المجتمعات التي تولي عناية كافية بشبابها، ولذلك عملت الجزائر كباقي دول العالم إلى تقديم جملة من الخدمات في الكثير من الأندية والدور الثقافية التي تساعد الشباب على استغلال وقت الفراغ وتلبية حاجاته الترويحية، بأفضل السبل والطرق والمناهج.

ودور الشباب قد تعرف الإقبال عليها، وقد يحدث العكس؛ وهذا ما حاولنا أن نشخصه في بحثنا هذا ، حيث وبإتباع خطوات المنهج الوصفي واعتمادا على أدوات الملاحظة، المقابلة والاستمارة؛ توصلنا إلى جملة من الخدمات الترويحية التي منها يستفيد الشباب في دار الثقافة من خلال النوادي المختلفة التي تتوفر عليها هذه الأخيرة، ورغم ذلك تبقى هذه الخدمات يشوبها الكثير من النقائص بسبب العوائق والعراقيل الواقعية العديدة التي تحول دون استفادة الشباب من الخدمات اللازمة وعلى الوجه المرجو والأكمل.

1- إشكالية الدراسة:

تعتبر مرحلة الشباب أهم مراحل الحياة إذ فيها يكتسب الشباب مهاراته الإنسانية الواحدة تلو الأخرى، وهي مجموعة المهارات الاجتماعية والبدنية والنفسية اللازمة له، لتدبير شؤونه وتنظيم علاقاته مع الآخرين.

فالشباب بوصفه فئة تضفي على المجتمع طابعا مميزا، تمتلك طاقة متجددة، بما تحويه من قدرات وأفكار وانفعالات، وهي خلاصة المهارات والخبرات التي يكتسبها الشباب من خلال تفاعله، وعلاقاته بالمجتمع، وذلك بما يوفره هذا الأخيرة من الإعداد والتأهيل والتحصين والتدريب، على الاعتماد على النفس وعلى التعاون ولقد حظيت فئة الشباب باهتمام كبير في مختلف بلدان العالم وتعد الجزائر من بلدان التي عرفت تحولا كبيرا في مختلف جوانب الحياة السياسية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتتضح مظاهر هذا التحول خاصة في الجانب الديمغرافي، إذ أصبحت الفئة الغالبة على تركيبة المجتمع هي فئة الشباب والتي تبلغ 75% من مجموع السكان؛ وإن هذا العدد من الشباب بحاجة إلى إشباع مختلف حاجاته النفسية الاجتماعية الصحية والتربوية والثقافية.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة الخدمات المقدمة للشباب وتحديدا الخدمات الترويحية المقدمة لهم والتي نود تشخيصها في بحثنا هذا حيث تعد البرامج والنشاطات الثقافية وسيلة أساسية لتكوين وتأهيل الشباب وتوفير إمكانيات أكبر للالتقاء والاتصال ببعضهم، وتؤدي المناقشات في موضوعات ثقافية معينة، لكسب معارف أكبر والتعرف على مختلف وجهات النظر؛ فالخدمات لها دور فعال في مساعدة الشباب على أداء وظيفته، في المجتمع وتأهيله وذلك من خلال العديد من المؤسسات المهتمة برعاية الشباب ومن بين هذه المؤسسات الاجتماعية الهامة التي توفير الخدمات الترويحية دور الشباب ودور الثقافية ومراكز الشباب التي شيدتها الدولة في أغلب ولايات الوطن، ومن بينهم دار الثقافة بالمسيلة التي نهتم بدراستها في دراستنا هذه، بهدف التعرف على نوعية الخدمات الثقافية الترويحية المقدمة للشباب من خلال التساؤلات التالية:

- هل تؤثر نوعية الخدمات الترويحية المقدمة على إقبال الشباب؟
- هل ساهمت الخدمات المقدمة بدار الثقافة في تكوين وتأهيل الشباب؟
- ما هي المعوقات الميدانية التي تحول دون الاستفادة من هذه الخدمات على أكمل وجه؟

2- أهداف وفرضيات الدراسة:

2-2- أهداف الدراسة: نسعى من خلال دراستنا هذه إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحديد الخدمات الترويحية المقدمة بدار الثقافة ودورها في تنمية قدرات ومهارات الشباب.
- التحقق من مساهمة الخدمات المقدمة بدار الثقافة في تكوين وتأهيل الشباب
- اكتشاف أهم العراقيل التي تحول دون استفادة الشباب من دار الثقافة.

2-2- فرضيات الدراسة: انطلقت دراستنا من الفرضيات التالية:

- نوعية الخدمات الترويحية المقدمة بدار الثقافة تؤثر على إقبال الشباب.
- ساهمت الخدمات المقدمة بدار الشباب في تكوين وتأهيل الشباب.
- هناك عراقيل تعيق تقديم الخدمات بدار الثقافة.

3- تحديد مفاهيم الدراسة :

1-3- الخدمة الاجتماعية:

- **المفهوم اللغوي:** الخِدْمَة مصدر خِدَمَ وجمع خِدَمَاتٌ. وخِدْمَات واجبات شخص يعمل لحساب الغير لقاء أجر. ما يسدى من مساعدة في القيام بعمل، أو في قضاء حاجة، تأدية بعض الواجبات، الاضطلاع ببعض المهمات في سبيل شيء أو شخص خِدْمَةُ الوَطَن، خِدْمَةُ المجتمع والإنسان، الخِدْمَةُ العامة العمل في مجال له منفعة عامة كالإدارة الحكومية مثلا"(علي مجاني،1997، ص 258).

-**المفهوم الاصطلاحي:** الخدمة هي المساعدة،"يقصد بالمساعدة التدخل للتأثير في ذات العميل أو في الظروف المحيطة به، أو كلاهما لمساعدته على استعادة قدراته وطاقته على أداء وظائفه، وقد تأخذ المساعدة وسيلة أو أكثر من الوسائل"(علي عباس درنداوي،دت، ص 56).

عملية المساعدة في حد ذاتها تشتمل على عناصر ثلاث، بحيث تتم عملية المساعدة في المؤسسة أو المكان المعد لذلك كما يقوم الأخصائي الاجتماعي ويعتبر هو الممثل لهذه المؤسسة في تقويم الخدمة،" كما تشمل عملية المساعدة جانبين رئيسيين هما:

- المفاهيم والأسس العامة لممارسة المهنة.
- الخطوات المتسلسلة التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي من خلال الممارسة المهنية لمفاهيم ومبادئ وعمليات طريقة خدمة الفرد"(حسن صالح،2002، ص 59-60).

-**المفهوم الإجرائي:** الخدمة الاجتماعية هي المساعدة التي تقدمها هيئة عامة أو خاصة بشكل مجاني للشباب من أجل تحقيق التكيف الاجتماعي لهم داخل المجتمع، مثل دور الشباب والنوادي الثقافية والمكتبات العامة وغيرها.

3-2- الخدمات الترويحية:

- **المفهوم الاصطلاحي**: الخدمة الاجتماعية هي مصطلح يستخدم لوصف عدد متنوع من الطرق المنتظمة لمساعدة الناس الذين يحتاجون لشيء لا يستطيعون الحصول عليه دون مساعدة(عبد الله الجوهري،1998، ص89).

كما عرفتها هيئة الأمم المتحدة بأنها: " تهدف إلى تحقيق التكييف والتفاعل المتبادل بين الأفراد وبيئاتهم الاجتماعية وتخصص لذلك مجموعة من البرامج والأنشطة المنظمة.أوهي المعرفة النظرية والعملية لمساعدة الفرد والجماعة والمجتمع، فهي خدمة فردية جماعية ومجتمعية "(رشيد زرواتي،2000، ، ص 13).

"الخدمة الاجتماعية مجال مهني متخصص يهتم بتطبيق المبادئ السوسيولوجية لحل مشكلات مجتمعية ذات طبيعة خاصة، ولتخفيف من حدة بعض المشكلات الفردية، ولهذا يهتم الأخصائيون الاجتماعيون العاملون في حقل الخدمة الاجتماعية بمعالجة بالعديد من المشكلات المتصلة بتوافق التنظيم الاجتماعي وحسن أدائه لوظيفته في المجتمع وكذلك بتكامل الفرد في هذا التنظيم، وتهتم ميادين الخدمة الاجتماعية المتخصصة بالفقر والبطالة وتوجيه الشباب"(محمد عاطف غيث،1997، ص 448).

ويعرفها روتر بام بأنها: " مهنة تهدف إلى مساعدة الأفراد على أداء وظائفهم الاجتماعية فرادي أو جماعات عن طريق الأنشطة الموجهة نحو علاقاتهم الاجتماعية بما في ذلك التفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة وتؤدي هذه الأنشطة ثلاث وظائف رئيسية، علاج ما لحق بالأفراد من أضرار في قدراتهم وتقديم الخدمات الفردية والجماعية والوقائية من الآفات الاجتماعية"(أحمد مصطفى خاطر،1995، ص 124).

أو " هي خدمة مهنية تقدم للناس بغرض مساعدتهم كأفراد وكجماعات على الوصول إلى علاقات يرتاحون إليها، ومستويات من المعيشة تتفق مع رغباتهم وقدراتهم وتنسجم مع تلك التي في المجتمع"(أحمد مصطفى خاطر،1995، ص 124).

-**المفهوم الإجرائي**: الخدمات الترويحية هي مجموعة من المساعدات الترفيهية المتنوعة التي تقدمها دار الثقافة للشباب المتردد عليها بهدف استغلال وقت الفراغ ورعايته وتنمية قدراته حسب حاجته وذلك لتحقيق تكيفه الاجتماعي داخل المجتمع.

3-3- التنشئة الثقافية:

-**المفهوم اللغوي**: التنشئة الثقافية يعرفها معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بأنها "العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد مند طفولتهم حتى يمكنهم المعيشية في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات"(أحمد زكي بدوي،1993، ص 400).

وعليه يمكن القول أن عملية التنشئة الثقافية تتم "من خلال تفاعل الفرد ضمن جميع مستويات العلاقة الاجتماعية، بهذا تحدث في إطار الجماعات الأولية والثانوية والمرجعية، علما أن أهمية كل جماعة من هذه الجماعات تختلف باختلاف مرحلة نمو الفرد، والواقع الاجتماعي والثقافي للجماعة أو المجتمع، فإذا كان الدور الأهم للجماعات

الأولية، كالأسرة وجماعات اللعب والجيرة، في مرحلة العمر الأولى، فإن الأمر قد ينتقل من حيث الأهمية إلى الجماعات الثانوية"(إبراهيم عثمان،1999، ص 182).

-**المفهوم الاصطلاحي:** التنشئة الثقافية"هي عملية تسمح باكتساب المعارف، النماذج، القيم والرموز، وباختصار طرق العمل والتفكير والإحساس التي تتميز بها الجماعات والمجتمع والحضارة، أين سيعيش الفرد وهي عملية تستمر مدى الحياة. (Guy Rochez ,1968,p133)

وتعرف مارغريت ميد التنشئة أنها العملية الثقافية والطريقة التي يتحول بها كل طفل حديث الولادة إلى عضو كامل في مجتمع بشري معين(سامية الساعاتي ، 1983، ص127).

أوهي تلك العملية المعقدة والمستمرة والتي تبدأ مند لحظة الميلاد ولا تنتهي إلا بوفاة الشخص، ليتحول من خلالها الطفل إلى كائن اجتماعي قادر على العيش والتأقلم مع ظروف الحياة الاجتماعية، وليست الأسرة المؤسسة الوحيدة القائمة على العملية بل تشاركها في ذلك مؤسسات أخرى (Megherbi A ,1986 ,p60).

-**المفهوم الإجرائي:** التنشئة الثقافية هي عملية ثقافية تربوية تقوم على تربية الشباب وتعليمه وتثقيفه، وتلقينه عادات وتقاليد وأعرف الجماعة التي ينتمي إليها، وذلك يتم في عدة جماعات أولية وثانوية أهمها الأسرة والمؤسسات الثقافية و دور الشباب والثقافة.

3-4- الشباب:

-**المفهوم اللغوي:** شباب الشباب هو حداثة في السن قال الشابي:

وأنت أنت شباب خالد نضير مثل الطبيعة لا شيب ولا هرم

شب يشب شباب الغلام صار شاب" (علي بن هادية وآخرون،1991، ص 308).

-**المفهوم الاصطلاحي:** تعددت الدراسات التي تناولت مفهوم الشباب، وحتى يتعين تمييز هذه الفئة من الفئات الأخرى وجب تحديد مفهوم لها، وفي هذا الإطار حاول العلماء الاستناد في تحديدهم لمفهوم الشباب للبعد الزمني (السن)، والحقيقة أنهم يختلفون فيما بينهم في تحديد بداية ونهاية المرحلة، ويعرف محمد مصطفي أحمد الشباب بقوله: إن الشباب مرحلة عمرية تتميز بالحيوية والقدرة على التعليم ومرونة العلاقات الإنسانية وتحمل المسؤولية وقد تعارف المشتغلون برعاية الشباب على تحديد هذه الفئة العمرية من السادسة إلى سن الثلاثين ولا يعني ذلك أن هذه المرحلة من العمر لا تمتد إلى ما قبل هذه السن أو أنها تؤثر فيما بعدها؛ وإنما الواقع أن مميزات وخصائص مرحلة ما قبل السادسة هي القاعدة التي يعتمد عليها في إعداد الفرد إعدادا كافيا لاستقبال مرحلة الشباب"(محمد مصطفى أحمد،د.ت، ص 145).

ونجد ليت يحدد مرحلة الشباب من سن الربعة عشر إلى سن الخامسة والعشرين أما هير فهو يحصرها بين السابعة عشر والثلاثين"(جلال د.ت، ص 230).

ومن هنا نجد أن جل التعريفات التي تناولت مرحلة الشباب اقتصرت على المعيار الزمني، في تحديد لمفهوم مرحلة الشباب دون الأخذ بعين الاعتبار معيار النضج والتكامل الاجتماعي، حتى يكتمل مفهوم الشباب، ويكون أكثر دقة ووضوح، ومنه فإن تعريفنا للشباب هو أنها أكثر الفئات العمرية حيوية، وأكبر قدرة على العطاء والتي تكون ما بين بلوغ الرشد المقدر بسن السادسة عشر إلى الثلاثين سنة.

-المفهوم الإجرائي: الشاب هو ذلك الفرد الذي يتردد على دار الثقافة في أوقات الفراغ من أجل الاستفادة من خدماتها، في التكوين أو التوجيه زيادة على التربية والتعليم التي يأخذها في الأسرة أو المدرسة أو المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

4. الإجراءات المنهجية للدراسة:

4-1- منهج الدراسة: استخدمنا المنهج الوصفي، وهو المنهج الذي "يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفًا دقيقًا، ويعبر عنها تعبيرًا كيفيًا أو كميًا، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة، ويوضح خصائصها. أما التعبير الكمي فيعطيها رسمًا رقميًا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجات ارتباطها، مع الظواهر الأخرى"(عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات،2003، ص 139).

لقد تم اختيار المنهج الوصفي لأنه يتمثل في وصف ما هو كائن وهذا ما انطلقت منه الدراسة من أجل معرفة أهم الخدمات العمومية المقدمة للشباب في الميدان الثقافي والوقوف على أهم المعطيات الموضوعية التي تبرز دورها وآثرها هو منهج ملائم لطبيعة الدراسة.

4-2- أدوات جمع البيانات: وتم الاعتماد على الأدوات التالية:

-الملاحظة: قد اعتمدت على الملاحظة في تفسير وتعليل، وتبرير كيفية وجود ظاهرة أو عناصر معينة على هذا النحو المركب دون آخر من خلال تفسير نتائج الدراسة.

-الاستمارة: لقد استخدمنا استمارة، ولقد راعينا في بناءها المعايير العلمية المتبعة في البحث العلمي. وتحتوي الاستمارة على 21 سؤالا، ثلاث أسئلة للبيانات الشخصية والباقي للخدمات المقدمة بدار الثقافة. وتم توزيع الاستمارة شهر أفريل (27/19 أفريل 2019) واسترداد 130 استمارة من مجموع 150 استمارة.

-المقابلة: لقد استخدمت المقابلة الاستطلاعية خلال الدراسة الاستطلاعية، من خلال التعرف على ميدان الدراسة وأهم النوادي والأنشطة الموجودة بها.

4-3- مجالات الدراسة:

-المجال المكاني والتاريخي: لقد أجريت الدراسة الميدانية بإحدى المراكز الثقافية المسماة دار الثقافة قنفود الحملاوي وسط مدينة المسيلة.

تأسست في يوم25-7-1999، وبدأت نشاطها في 24-11-2001، طبيعتها القانونية ملك للدولة، وتتخذ طريق عملها بالقرار الوزاري.

وتتكون دار الثقافة من عدة أقسام أهمها الأقسام الإدارية، قسم الإدارة، قسم الورشات، والمعارض قاعة العرض السكن الوظيفي، أما أقسام النشاط الترويحي فتتمثل في الإعلام الآلي، نادي الموسيقي، تدريب الفرق الموسيقية، الفن التشكيلي، المكتبة، نادي الانترنت (مقابلة المدير).

-المجال البشري: يعمل في دار الثقافة كمؤسسة اجتماعية لقصد نشر الثقافة الحوار وتشجيع الإبداع، من خلال القيام بنشاطات ثقافية متعددة، حيث وصلت طاقة الاستيعاب بها إلى خلال إجراء الدراسة الميدانية 1089

منخرطا موزعين على مختلف النوادي بالشكل التالي: المكتبة 700 منخرطا، نادي الإعلام الآلي74 منخرطا، نادي الانترنت 300 منخرطا ونادي الفن التشكيلي 42 منخرطا.

كما أن مجتمع الدراسة متغير وليس ثابتا، لأنه في حركة دائمة، خلال ثلاثة أشهر لمدة تعدها المؤسسة فترة للتكوين والتأهيل في النوادي المختلفة، عدا مكتبة المطالعة التي ينخرط فيها الشباب بصفة دائمة، أما النوادي الأخرى فتتغير باستمرار بانتهاء مدة التكوين.

أما الجانب الإداري لدار الثقافة فيحتوي على عدد إجمالي من الموظفين بلغ 22 منهم 17 موظفا و5 موظفات 10 موظفين (مقابلة المدير).

-المجال الزمني للدراسة: استغرقت الدراسة الميدانية بدار الثقافة مدة أسبوع (27/19 أفريل 2019)، بالإضافة إلى دراستنا الاستطلاعية قبل تسليم الاستمارة لعينة الدراسة، من خلال الزيارة الاستطلاعية لدار الثقافة(مقابلة المدير).

4-4- العينة:

تماشيا مع الإمكانيات الزمنية والمادية لهذه الدراسة، تم استخدام طريقة العينة الطبقية، كما أنها تلم بعناصر الدراسة المراد دراستها، وهي العينة التي تتكون من وحدات معينة اعتقادا منه أنها تمثل المجتمع الأصلي خير تمثيل ، فالباحث يقوم بتصنيف مجتمع البحث إلى مجموعات وفقا للفئات التي يتضمنها متغير معين، أو عدة متغيرات ثم يختار وحدات عينة الدراسة اختيارا عشوائيا من كل مجموعة (فاطمة عوض صابر وميرفت علي خفاجة 2002، ص 192).

ولقد تم اختيار هذا النوع من العينة لان المجتمع متنوع من عدة نوادي ومختلفة، في نسبة الانخراط من نادي إلى أخر، لذا فضلنا العينة الطبقية كي تبقى نسبة الانخراط في المجتمع الأصلي هي نفسها في نسبة العينة.

-حجم العينة: تتكون عينة الدراسة من 150 شابا وشابة تم اختيارهم بطريقة العينة الطبقية، لأنهم المعنيون بالدراسة، وبالتالي، (13,77%) من حجم المجتمع الأصلي موزعين حسب كل طبقة.(المكتبة 96 فردا، الانترنت 41 فردا، الأعلام الآلي 7 أفراد، الفن التشكيلي 6 أفراد)، ولقد تم اختيار العينة بطريقة كتابة الأسماء أو الوحدات على قصاصات من الورق واختيار العينة من بينها بشكل عشوائي، كما هو متبع في بعض ألعاب الحظ.

-خصائص العينة:

أفراد العينة حسب السن الجنس: بينت نتائج الدراسة أن أكبر نسبة للجنس المتردد على دار الثقافة للإناث (62%) التي تراوحت أعمارهن بين (19-24) بنسبة (40%) وبين من تراوحت أعمارهن بين (14-19) بنسبة (12%) ، أما الذكور فقد بلغت النسبة (38%) ممن تراوحت أعمارهم بين (19-24) بنسبة (30%) وبين من تراوحت أعمارهم بين (14-19) بنسبة (8%). كما أننا لم نجد أعمار أكثر من سن 24 سنة في عينة الدراسة رغم أن دار الشباب مفتوحة للجميع ربما يعود لانشغال الشباب بأمور أخرى بعد هذا السن العمل وبناء أسرة وغير ذلك.

أفراد العينة حسب المستوى التعليمي: تبين من النتائج المتحصل عليها أن أكثر الفئات ترددا على دار الثقافة هو المستوى التعليمي الجامعي بنسبة (60%) والمستوى المتوسط بنسبة (30%) الباقي فكان للمستوى التعليمي الثانوي،

ونلاحظ أكثر المستويات ترددا على دار الشباب هو المستوى الجامعي، من أجل قضاء وقت الفراغ في البحث عن المراجع العلمية.

5- عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

5-1- عرض ومناقشة نتائج الفرضيات:

-عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى: نوعية الخدمات المقدمة بدار الثقافة تؤثر على إقبال الشباب:

بينت نتائج الدراسة أن نوعية الخدمات المقدمة تؤثر على إقبال الشباب؛ فالخدمات المقدمة بميدان الدراسة متنوعة من إلا أنها تبقى غير كافية، لأنها لا تستوعب كل الرغبات والحاجات الترويحية والتربوية للشباب، فمثلا نجدها متنوعة من حيث النوادي من مكتبة مطالعة(64%) وقاعة الإنترنت(28%)، وورشة الإعلام الآلي (04%)، والفن التشكيلي(04%) وكذا بالنسبة للنشاطات فهي موجودة في شكل معارض ومحاضرات وندوات وملتقيات، كما أن الفئات المترددة على هذه الخدمات والنشاطات، متنوعة من حيث المستويات، فنجد في المستوى التعليمي الجامعي (60%)والمتوسط(30%)، والثانوي(10%)، وكذا الفئة العاملة وغير العاملة، إلا أنها تختلف من مستوى إلى آخر وفئة إلى أخرى، كما أن أفراد العينة تنوعوا بين الإناث (62%)والذكور (38%) كما يدل على إقبال الجنسين على مثل هذه الخدمات والنشاطات، وإن كانت بنسب متفاوتة لكل جنس.

ويتضح مما سبق أن نوعية الخدمات المقدمة تؤثر على إقبال الشباب وبالتالي يمكن القول أن النشاطات المقدمة دار الثقافة متنوعة وتلبي حاجات الترويحية للعديد من الفئات الشبابية مما زيد من حجم إقبالهم عليها. وتتوفر دار الثقافة على مكتبة للمطالعة وقاعة انترنت ورشة الإعلام الآلي، ورشة الرسم التشكيلي. وتركز الدار في تقديمها للخدمات على الخدمات الفردية دون الجماعية، نظرا لطبيعة ونوعية النشاط مثل المكتبة وقاعة الإنترنت. كما تقوم الدار بأحياء كل المناسبات العالمية والوطنية، والدينية. مثل عيد المرأة – عيد الطفولة، في شكل أيام إعلامية.

-عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية: ساهمت الخدمات المقدمة بدار الثقافة في تكوين وتأهيل الشباب:

تبين من النتائج المتحصل عليها أن الخدمات المقدمة بدار الثقافة ساهمت في تكوين وتأهيل الشباب وذلك من خلال رفع مستواهم الثقافي (30%)، وتنمية قدراتهم الفكرية(20%)، وإفادتهم بمعلومات جديدة(50%)، فساهمت بذلك الخدمات في تكوين وتأهيل الشباب -عينة الدراسة-، وتقوم بعدة أنشطة وحملات توعوية مثل المعارض (62%)،المسابقات(20%)،والزيارات(08%)، والأمسيات الشعرية(08%)، كما تمكن أفراد العينة من إقامة علاقات اجتماعية مع بعضهم البعض، تمثلت في الصداقة (76%).

وأكد أفراد العينة في إجابتهم عن فعالية الخدمات المقدمة، حيث تمثلت في مساهمتها في تكوين وتأهيل الشباب من خلال معلومات جديدة بنسبة (50%)، كما ساهمت في رفع المستوى الثقافي وتنمية القدرات العقلية بنسبة (10%)، كما نلاحظ أن دار الثقافة تقوم بعدة أنشطة تحفيزية في النشاط الفكري والأدبي من خلال المسابقات إلا أن نسبة المشاركة فيها منخفضة، وهذا راجع إلى نقص الإعلام حول هذه المسابقات بالنسبة للمبحوثين، وعدم اطلاعهم على نشاطات الدار لذا فشريحة من المجتمع المبحوث تستفيد من هذه النشاطات، والأخرى لا تستفيد، وتمكنت

عينة البعض فيمن إقامة علاقات صداقة، وزيادة التعارف(20%)، والتعاون(10%)، خاصة في، قاعة الإعلام الآلي، والفن التشكيلي.

ومن خلال عرض النتائج المتحصل عليها في الفرضية الثانية يمكن القول أن الخدمات الترويحية في دار الثقافة ، قد ساهمت في تكوين وتأهيل الشباب من خلال النشاطات والبرامج والخدمات التي تقدمها الدار، قد سجلت رضا البعض فيما سجلت عدم رضا البعض الآخر باختلاف الميول والرغبات والحاجات. تعتبر درجة الخدمات الثقافية التي تقدمها دار الثقافة متوسطة حسب عينة الدراسة.

كما أن دار الثقافة تقوم بإعداد عدة نشاطات ثقافية وهي المعارض، الندوات المحاضرات، الأمسيات الشعرية، الملتقيات، إلا أنها تركز على نشاط المعارض، كما أنها لا تقوم بإعداد الرحلات، المنافسات والمعسكرات وغيرها من الأنشطة. وأن أغلبية أفراد عينة الدراسة أكدوا أنهم استفادوا كثيرا من نشاطات دار الثقافة وبالتحديد اكتساب معلومات جديدة، إذ أن معظمهم أكد أنه رفع مستواه الثقافي وقدراته الفكرية.

-عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة: هناك عراقيل تعيق تقديم الخدمات الترويحية بدار الثقافة:

تبين من خلال النتائج المتحصل أن هناك عراقيل موجودة في دار الثقافة والتي تحول دون تقديم وتوفير الخدمات الترويحية بشكل لائق وملائم، أن بعض أفراد العينة راضين عن نوعية البرامج والخدمات المقدمة في الدار(58%)، كما أن هناك عدم رضا البعض الآخر (42%)،وهذا راجع إلى اختلاف إمكانيات تلبية الحاجات، من نادي إلى آخر، فقد يعاني نادي الإعلام الآلي أو الفن التشكيلي من نقص الإمكانيات(32%)،في حين لا يعاني منه نادي المكتبة(68%)، كما أن هناك اهتمام من طرف المسيرين داخل دار الثقافة بالإفراد المترددين عليها(80%)؛ مما أدى إلى نشوء علاقة حسنة بين أفراد العينة والمسيرين، كما اتضح أن البرامج المقدمة في دار الثقافة قادرة على استغلال وقت الفراغ و تلبية بعض حاجات أفراد العينة(52%)، والتي يمكن من خلالها التخفيف من بعض المشكلات التي يعاني منها الأفراد مثل: الفراغ، والقلق وغيرها.

وفي الأخير يمكن أن نقول أن النتائج المحصل عليها، أن هناك نقص في تسيير الخدمات المقدمة في دار الثقافة ، نقص في الأجهزة والوسائل والإمكانيات، مما أدى إلى قلة استفادة عينة الدراسة من الخدمات، من خلال افتقار دار الثقافة لبعض الإمكانيات التي توفر الخدمات الترويحية كافتقارها لبعض الكتب المتخصصة، كما تعاني من ضيق المساحة بالنسبة لورشة الإعلام الآلي وورشة الفن التشكيلي، هذه أهم المشكلات التي أدت إلى عدم السير الحسن للبرامج المسطرة، أما فيما يخص التسيير فرغم أن النشاطات تسير وفق البرامج الموضوعة لها؛ إلا أن هناك المشكلات في سوء التسيير و في نقص الأجهزة والأدوات.

وتمكنت عينة الدراسة في دار الثقافة من إقامة علاقات صداقة وزيادة التعارف خاصة في ورشتي الإعلام الآلي والفن التشكيلي. و تقوم دار الثقافة بحملات توعية ضد الأمراض كداء السكري والسيدا وخطر حوادث المرور، كما تقوم بزيارات إلى المستشفى.

أن عينة الدراسة لا تعاني من علاقات سيئة مع المسيرين، بل تعاني من نقص الخدمات لقلة الإمكانيات والأجهزة، وقلة الأنشطة التي تستجيب لرغباتها، كالأندية الرياضية والرحلات.

أن دار الثقافة بإمكانها حل بعض المشكلات المتمثلة في شغل أوقات الفراغ، خاصة بالنسبة للشباب البطال، وكذا بالنسبة للشباب الذي يدرس، فبإمكانه الاستفادة من الخدمات التي تقدم في مكتبة المطالعة، أو قاعة الانترنيت.

وأوضح أغلب أفراد عينة الدراسة عن عدم وجود مشكلات تواجهها خلال أداء النشاطات الثقافية حيث أكد عن رضاهم عن السير الحسن للبرامج المقدمة، فيما أكد البعض الآخر وجود مشكلات، مثل شكوى البعض من عدم احترام الوقت.

2-5- عرض ومناقشة نتائج التساؤلات:

-**عرض ومناقشة نتائج التساؤل الأولى:** هل تؤثر نوعية الخدمات الترويحية المقدمة على إقبال الشباب؟.

تبين من خلال النتائج أن هناك نشاطات وخدمات مقدمة للشباب متنوعة ومتعددة أثرت في إقبال الشباب عليها أن الفئات المترددة على دار الثقافة متنوعة بين الذكور والإناث إلا أن اغلبها إناث، كما أن المستوى التعليمي للمترددين مختلف، من متوسط، إلى ثانوي، إلى جامعي، إلا أن الفئة الغالبة هي الفئة الجامعية، كما أن المترددين ينتمون إلى فئة العاملين وغير العاملين إلا أن أغلبهم ليسوا عمال، كما تبين أن تعدد وتنوع النوادي والنشاطات، التي تقوم بتقديمها وإعدادها دار الثقافة إلا أنها تختلف من نادي إلى آخر، ومن نشاط إلى آخر مثل الملتقيات والمحاضرات، والمعارض إلخ؛ فهيأكثر تركيز على أنشطة دون أخري.

بالتالي يمكننا أن نقول أن نوعية وكثافة الخدمات الترويحية بدار الثقافة تؤثر فعلا في حجم إقبال الشباب عليها، أي أنه كلما كانت الأنشطة والخدمات متنوعة ومكثفة كلما كان إقبال الشباب أكثر، وكلما قلت الخدمات وكانت دون المستوى كلما كان الإقبال والتردد ضعيفا.

-**عرض ومناقشة نتائج التساؤل الثاني:** هل ساهمت الخدمات المقدمة بدار الثقافة في تكوين وتأهيل الشباب؟.

تبين من خلال النتائج أن هناك خدمات مقدمة بدار الثقافة للشباب متنوعة ومتعددة، ساهمت في تكوين وتأهيل الشباب مثل الخدمات التكوينية والتثقيفية في المكتبة والانترنيت والإعلام الآلي، والخدمات والترويحية والترفيهية في الفن التشكيلي، والخدمات الاجتماعية الترويحية من خلال القيام بأيام إعلامية في المناسبات والأعياد الوطنية والدينية والعالمية، مثل أيام إعلامية في عيد المرأة، وأيام إعلامية للوقاية من الأمراض وغيرها.

وبالتالي يمكن القول أن الخدمات والنشاطات السابقة ساهمت في تكوين وتأهيل الشباب، من خلال إكساب مهارات وخبرات جديدة لم تكن لدية سابقا.

-**عرض ومناقشة نتائج التساؤل الثالث:** ما هي العوائق العراقيل التي تحول دون الاستفادة من هذه الخدمات؟

تبين من خلال النتائج أن هناك عوائق وعراقيل تحول دون تقدم الخدمات والنشاطات بميدان الدراسة والمتمثلة في سوء التسيير، و نقص الإمكانيات والأجهزة والأدوات مما أدى إلى نقص إقبال الشباب على بعض الأنشطة، كالفن التشكيلي الذي يعاني فوجه فعلا من عدة نقائص في الأجهزة والأدوات، والورشة المخصصة لذلك.

ويتضح مما سبق أن العوائق والعراقيل التي تحول دون الاستفادة الفعلية من الخدمات المقدمة، والتي كان سببها في ميدان الدراسة عدم توفر الإمكانيات والأجهزة والأدوات، بشكل يستوعب كل الطاقات الشبابية بالمدينة، وخاصة بعد أن فتحت الجامعة أبوابها لأهم التخصصات مما زاد تردد الشريحة الجامعية المثقفة على دار الثقافة ،

بما أن أغلبها لا تقطن بالمدينة، فجاءت للاستفادة من الخدمات، لذا نقول أن العوائق والعراقيل تكمن في سوء التسيير و نقص الإمكانيات.

لتجاوز مشكلات ميدان الدراسة نقترح توفير أكبر عدد ممكن من المقاعد للشباب لحجز دورهم في قاعة الإنترنت، دون الاقتصار على مجموعة صغيرة، وجعل الانخراط بها طول السنة، بدل ثلاثة أشهر، مع فتح القائمة للانخراط في كل وقت، وتوفير الأجهزة اللازمة لذلك، ومطالبة الوزارة الوصية بتوفيرها، لأننا في عصر العولمة وبها يمكن نشر العلم والاطلاع على آخر أخبار العالم.

وفتح مجال واسع لتكوين في الإعلام الآلي، وجعل مدة التكوين سنوية من أجل الاستفادة أكثر: ومطالبة الجهات المختصة والوصية بتوفير الأجهزة التي تفي بالغرض، مع توفير قاعة ملائمة ومناسبة لورشة الفن التشكيلي، والاهتمام بشكل أفضل بمواهب وميول الشباب، وتوفير الأدوات اللازمة لذلك، مع عقد دورات تكوينية محلية جهوية ووطنية، ودفع المنخرطين للمشاركة فيها من أجل ترقية المواهب.

يتضح مما سبق أننا تمكنا خلال هذه الدراسة من إعطاء تصور واضح لأهم الخدمات الترويحية المقدمة بدار الثقافة، كما لفتنا النظر إلى ضرورة الاهتمام بهذا النوع من الخدمات لما له من تأثير على حياة الشباب،من خلال شغل أوقات الفراغ ، فيما يفيد الفرد والمجتمع، ما دام هناك بطالة.

أما موقف الشباب من الخدمات، فعبر عن الرضا في بعض النوادي، والسخط في بعض النوادي الأخرى التي تعاني من نقص الإمكانيات والذي يعد أهم عائق يحول دون تقديم الخدمات والاستفادة الفعلية منها، لذلك نشير إلى ضرورة توفير إمكانيات، وأجهزة أكثر فاعلية واستجابة لمتطلبات الشباب، توفير الكتب بقاعة المكتبة، والسماح بإعارتها خارج المكتبة، مع فرض التزامات معينة للحفاظ على الكتب، أو توفير طابعة بالمكتبة لتمكين القراء من طبع ما يحتاجون إليه من وثائق، لان المكتبة تبقى دائما وعاء ثقافي وخزان معلومات والزاد الذي يقتات منه كل طالب علم ومعرفة، وقد وجدت الدار الثقافة ولنشر الترويح الفكري، مع فتح المجال للنشاطات وأندية أخرى، أكثر فاعلية واستجابة لحاجيات الشباب مثل تنشيط الرحلات والمعسكرات والأندية الرياضية.

الخاتمة:

إن مستوى الخدمات التروحية المقدمة للشباب بدار الثقافة مقبولة بصفة عامة وذلك راجع للتفكير الجدي والفعال للإدارة وفي تطوير الخدمات باستمرار؛ مما يجعلها تلعب دورا فعالا وإيجابيا في توفير الخدمات التي تعمل على استغلال وقت الفراغ و إشباع حاجات وميول الشباب، رغم أنها ليست كل الحاجات إلا أن المطلع عليها يلاحظ أن الإدارة أثناء القيام بعملية التخطيط، أخذت أهم الخدمات الترويحية التي يحتاجها الشباب وقدمتها في شكل برامج وأنشطة ثقافية، وذلك بدراسة علمية ومنهجية؛ مما أثر بشكل إيجابي على حجم إقبال الشباب عليها، ولعل من الأسباب التي جعلت الخدمات الترويحية بالمستوى الذي هي عليه هو فعالية البرامج والقوانين المسيرة والمسطرة.

وما يمكن التأكيد عليه في الأخير أن ما تضمنته هذه الدراسة لم يكن سوى محاولة استطلاعية لواقع الخدمات الترويحية المقدمة للشباب في هذه المؤسسة لأجل تحديدها وحصرها، وهذا العمل قد وفر إطار خصبا للدراسات اللاحقة، لنفس الموضوع في نفس الميدان، مع استخدام أدوات أكثر دقة وموضوعية وهذا ما نعده إنجاز بسيطا لكنه أساسي للدراسة.

وبعد عرض وتحليل نتائج الدراسة، نجد أنفسنا مطالبين بتقديم جملة من التوصيات نلخصها في النقاط التالية:

- توفير الإمكانيات المادية الكافية للتكفل بالعدد الهائل من المنخرطين في دار الثقافة، مع التفكير في محاولة برمجة خدمات ونشاطات جديدة وتوفير إمكانيات إضافية لذلك.

- وضع جهاز مكون من لجان مختلفة للقيام بمهمة دراسة الملفات، بحيث تكون هناك أساليب ومعايير علمية واضحة في تحديد أفضلية المشاريع، مع الموازنة بين الاحتياجات المتعددة والإمكانيات المتاحة.

- الزيادة في التجهيزات والوسائل المستخدمة داخل دار الثقافة، من كتب متخصصة والزيادة في تجهيزات ورشة الإعلام الآلي، والفن التشكيلي، والعمل على توفير قاعات ملائمة لهذه الأنشطة.

- حسن تسيير الإمكانيات المتاحة في دار الثقافة ، بالعمل والتنسيق المحكم مع الهيئات التي تشرف على هذه الدار، خاصة فيما يتعلق بزيادة عدد النوادي والأنشطة كالمسرح، الرحلات و الأندية الرياضية.

- الاعتماد على البحوث والدراسات والمسوح الاجتماعية، التي أجريت في مجال الخدمة الشباب، كأداة أساسية في اتخاذ القرارات النهائية بدقة في أولوية المشاريع والبرامج بما يتفق واحتياجات الشباب، في إطار ما توفر التنمية المتكاملة.

المراجع المعتمدة:

1- مصطفي خاطر، أحمد (1995)، الخدمة الاجتماعية، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر.

2- زكي بدوي، أحمد (1993)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية- إنجليزي- فرنسي- عربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.

3- عثمان، إبراهيم (1999)، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشرق، عمان، الأردن.

4- عاطف غيث، محمد (1997)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،مصر.

5- مصطفى أحمد، محمد (د.ت)، تطبيقات في مجالات الخدمة الاجتماعية، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.

6- بوحوش، عمار ومحمد محمود الذنيبات، (2003)، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

7-عباس درنداوي، علي (د.ت)، مدخل في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر.

8- على بن هادية، علي وأخرون (1991)، الجديد للطلاب، ط7، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

9- -محمود حسن صالح، عبد المحي (2002)، الخدمة الاجتماعية ومجالات الممارسة المهنية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر.

10- الجوهري، عبد الله (1998)، معجم علم الاجتماع، ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر.

11 - زرواتي، رشيد (2000)، مدخل للخدمة الاجتماعية، مطبعة هومة، الجزائر.

12- الساعاتي، سامية (1983)، الثقافة والشخصية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

13- جلال، سعد (د.ت)، الطفولة والمراهقة، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا.

14- عوض صابر فاطمة و علي خفاجة، ميرفت (2002)، أسس و مبادئ البحث العلمي، ط1، مكتبة ومطبعة الشعاع الفنية، الاسكندرية، مصر.

15- Guy Rochez, (1968) Introduction à la sociologie générale,Laction sociale, EDHH, FRANCE .

16- Megherbi, Ahmed (1986), Culture et personnaliste algérienne de Massinissa à nos jours, , NAL,OPU, ALGER .

اتفاقية أيفيان بين الجزائريين والفرنسيين 07-1962/03/18م

دراسة نقدية

The Evian Agreement between the Algerians and the French 07-18/03/1962

Critical study

أ/ عامر أقحيز، المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة- (الجزائر)

البريد الالكتروني: amerouhize@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2021-09-20	2021-06-22	2021-05-20

ملخص الدراسة:

عام 1962،حققتا لجزائر استقلالها الذي كان تطمح له والذي لم يتحقق إلا بعد ثورة عظيمة وكفاح طويل من الشعب الجزائري توج بتوقيع معاهدة أيفيان في 1962/03/19 هذه الاتفاقية التي يعتبرها المؤرخون إنهاء لفصل الاستعمار وبداية لفصل الحرية والبناء وتحقيق الآمال للشعب الجزائري الذي عانى الويلات نتيجة الاستعمار، إلا أن الأحداث الأخيرة التي عرفتها الجزائر والأصوات التي رفعت حول ضرورة تعديل اتفاقية أيفيان حيث أصبح يوجه النقد لهذه الاتفاقية من طرف السياسيين وقدماء المجاهدين أصبح ينظر لها على أنها إعادة إحياء الاستعمار الفرنسي بطريقة غير مباشرة.

الكلمات المفتاحية: الاستقلال، الاستفتاء، لوي جوكس، بن خدة، وقف إطلاق النار.

Abstract:

In 1962, Algeria achieved its independence, which it had aspired to, which was not achieved until after a great revolution and a long struggle by the Algerian people, which culminated in the signing of the Evian Treaty on 3/19/1962. The woes because of colonialism, but the recent events that Algeria has known and the voices that have been raised about the need to amend the Evian Agreement, as politicians and the ancient Mujahidin have criticized this agreement, it has become seen as an indirect revival of French colonialism.

Key words :Independence, referendum,Louie Jukes, Ben Khadda، cease-fire

مقدمة:

تعد اتفاقية إيفيان بين الحكومة المؤقتة الجزائرية الممثل الأول للشعب الجزائري و المستعمر الفرنسي سنة 1962م، من المحطات المهمة في تاريخ الجزائر المعاصر لان هذه الاتفاقية جاءا لتطوي صفحة الاستعمار الفرنسي وتفتح صفحة جديدة هي الدولة الجزائرية ، دولة بيان الأول من نوفمبر وميثاق الصومام 1956م، كما يروج الساسة الجزائريون اليوم، والمعلوم أن التاريخ لا يزكي أحدا ولا يرحم أحدا أيضا فاتفاقية إيفيان مثلما كانت مفتاح الاستقلال من جهة إلا أنها أظهرت عيوبا لعل أكبر دلائلها كان أزمة صيف 1962م بين قادة الولايات الثورية والحكومة المؤقتة وهيئة الأركان ، هذا الأمر جعل الكثيرين يطالبون بإعادة قراءة الاتفاقية والأمر الأكثر دهشة أن الطرف الفرنسي اليوم هو الذي يبادر بالفكرة والبدايسة بخطاب الرئيس الفرنسي السابق ساركوزي الذي قال أن أحفاد المستوطنين من حقهم استرجاع أملاك آباءهم وحجتهم في ذلك بنود اتفاقية إيفيان ، كل هذا يحدث في ظل صمت الطرف الجزائري مما يزيد في أهمية الدراسة ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى حققت اتفاقية إيفيان الأهداف المرسومة في مواثيق الثورة التحريرية ؟ وهل يمكن اعتبار اتفاقية إيفيان نهاية الاستعمار التقليدي وفاتحة الاستعمار الجديد في شكله الاقتصادي؟

1-المفاوضات الفرنسية الجزائرية الرسمية:

*** مفاوضات مولان**

بدأت المفاوضات الفرنسية الجزائرية بصفة رسمية من 25 الى 29 جوان 1960م بدينة مولان الفرنسية برئاسة السيد أحمد بومنجل (فركوس، 2002م، ص277) والسيد محمد الصديق بن يحي ووفد الحكومة الفرنسية برئاسة السيد روجي موريس (فركوس، 2002م، ص 278).

انتهت المفاوضات بالفشل نتيجة عدم اعتراف فرنسا بجبهة التحرير الوطني كمفاوض وحيد، بهدف ضرب وحدة الشعب الجزائري ومحاولة خلق فريق ثالث لصالحها قد تحقق أهدافها من خلال استمالته أو تطيل الاستقلال، كما أن الفرنسيين طالبوا بفصل الصحراء عن الجزائر (ديغول، 1971م، ص94).

وعليه تواصلت انتصارات الثورة بأن أفشلت مخطط شال، وفوتت على ديغول مشروعه الجزائر جزائرية، بعد أن استجاب الشعب الجزائري لنداء جبهة التحرير الوطني أثناء زيارة ديغول للجزائر يوم 1960/12/9م، حيث خرج الشعب الجزائري في أبهر صور التضامن والوطنية في مظاهرات 1960/12/11م، عمت هذه المظاهرات مدن العاصمة، وهران، البليدة، بجاية، قسنطينة، وغيرها، كما صعد جيش التحرير من كفاحه (بالحاج، 2008، ص352)

*** مفاوضات لوسارن ونيو شاتل:**

لقد نشطت بعثات جبهة التحرير الوطني على جميع الأصعدة، مما أجبر حكومة ديغول (بالحاج، 2008، ص54)، على العودة الى طاولة المفاوضات وبمساعي سويسرية ممثلة في شخص " أوليفي لانغ" تجددت اللقاءات بين وفدي الحكومة المؤقتة الجزائرية والحكومة الفرنسية في مدينة لوسارن ونيو شاتل، جمعت أحمد بومنجل وأحمد فرنسيس (بالحاج، 2008، ص717)، وسعد دحلب بممثلي الحكومة الفرنسية برا كروك ثم شايي ولاحقا التقى جورج بو مبيدو دولوس بالسيد الطيب بالحروف، في نيو شاتل (بن خدة، 1987م، ص 37)

وأمام النتائج التي أدت إليها مثل تلك السياسية ، تأمل تصريح السيد يزيد " إن أثمن حليف لنا في حرب التحرير الوطني التي نخوضها هو بكل تأكيد، غباوة العدو" (آلي، 2008م، ص 143)، وقد تكررت هذه الاتصالات في فترات متقطعة دون أن تحقق نجاحا يذكر، ومرد ذلك عدم جدية الطرف الفرنسي الذي كان يفضل إدراج الاتصالات ضمن إستراتيجية الأمن العسكري، مما جعلها لا تعدوا أن تكون سوى مناورات سياسية ترمي الى مساومة قادة الثورة وحملهم على القبول بفكرة إيقاف القتال أولا وبعدها إجراء انتخابات ينبثق عنها ممثلون للتفاوض مع فرنسا (بن خدة، 1987م، ص 42).

*** مفاوضات إيفيان الأولى (20 ماي الى 13 جوان 1961م)**

جرت هذه المفاوضات على الحدود السويسرية الفرنسية بين ممثلي الحكومة المؤقتة وممثلي الطرف الفرنسي حيث أنه من المرتقب إجرائها في 1961/04/07م، لكنها تأخرت نتيجة وضع فرنسا السياسي الذي ازداد تأزما بالإضافة إلى رفض جبهة التحرير الوطني فكرة إشراك أطراف أخرى في المفاوضات، وكذلك حادثة اغتيال رئيس بلدية إيفيان تلاه، من أحداث نتيجة الضغط الذي فرضه المستوطنون المتصلبون بموقفهم الرافض للمفاوضات والمتمسك بالجزائر فرنسية، وقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك بأن أسسوا تنظيم إرهابي سمية بمنظمة الجيش السري SAO (بالحاج، 2008، ص37)

كما حاول أنصار الجزائر الفرنسية من الجنرالات المتطرفين من أمثال سالان وجوهواوزيجلر وشال الإطاحة بالرئيس ديغول في 22 أفريل 1961م، مما عرض المفاوضات إلى التأجيل إلى غاية 20 ماي 1961م بمدينة إيفيان أين التقى الوفد الجزائري بالطرف الفرنسي (لونيسي، 2010م، ص42)

ورغم الجلسات المتكررة ما بين 20 ماي و13جوان 1961م لم يحسم في القضايا، إذا اصطدمت مرة أخرى بإصرار الطرف الفرنسي بمناقشة ملف إطلاق النار بمعزل عن بقية الملفات والمساس بالوحدة الترابية للجزائر في إطار سياسة فصل الصحراء ومسألة محاولة فرض الجنسية المزدوجة للفرنسيين الجزائريين (لونيسي، 2010م، ص43).

الطرف الجزائري رفض المساومة على المبادئ الأساسية التي أقرها بيان أول نوفمبر 1954م، الأمر الذي دفع بالسيد لوي جوكس رئيس الوفد الفرنسي تعليق المفاوضات يوم 13 جوان 1961م (لونيسي، 2010م، ص42)

*** مفاوضات لوغران:**

استأنفت المحادثات في لوغران ما بين 20-28جويلية 1961م، لكن بدون جدوى مما جعل المفاوض الجزائري يبادر هذه المرة إلى تعليقها بسبب إصرار الحكومة الفرنسية على التنكر لسيادة الجزائر على صحرائها، مروجة لمغالطة تاريخية مفادها أن الصحراء بحر داخلي تشترك فيه كل البلدان المجاورة ويهدف ضرب الوحدة الوطنية وإضعاف الثورة وتأليب دول الجوار عليها

وبذلك علقت المحادثات نظرا لتباعد وجهات النظر بين الطرفين، لا سيما فيما يخص الوحدة الترابية، ولم تباشر الحكومة المؤقتة الجزائرية اتصالاتها إلا بعد أن تحصلت على اعتراف صريح في خطاب الرئيس الفرنسي شارل ديغول يوم 1961/09/5م، ضمنه اعتراف فرنسا بسيادة الجزائر على صحرائها(لونيسي، 2010م، ص43).

*** مفاوضات بال بسويسرا:**

على إثر ذلك تجددت اللقاءات التحضرية أيام 28-29 أكتوبر 1961م، ثم يوم 1961/11/09م في مدينة بال

السويسرية، جمعت رضا مالك ومحمد الصديق بن يحي، بـ شايي ودولوس عن الطرف الفرنسي وفي 23-1961/12/30م التقى سعد بـ لوي جوكس في مدينة لي روس لدراسة النقاط الأساسية ومناقشة قضايا التعاون، وحفظ النظام أثناء المرحلة الانتقالية ومسألة العفو الشامل (لونيسي، 2010م، ص44)

بعد أن ضمن المفاوض الجزائري تحقيق المبادئ الأساسية والسياسية خلال المفاوضات التي جرت لي روس ما بين 11-19-/1962/02م، ومصادقة المجلس الوطني للثورة الجزائرية على مسودة محادثات لي روس، أبدى استعداده للدخول في مفاوضات المرحلة النهائية (لونيسي، 2010م، ص45)

*** مفاوضات إفيان الثانية: وكانت على مرحلتين:**

المرحلة الأولى: انطلقت من (11فيفري-1962/02/19م) تم فيها دراسة المسودة

المرحلة الثانية: استأنفت هذه المرحلة في 07-18-مارس 1962م، بين بن يوسف بن خدة ممثل الوفد الجزائري ولوي جوكس ممثل الوفد الفرنسي، وكانت هذه الاتفاقية مسك الختام الذي انتهت به الحرب بين الطرفين الجزائري والفرنسي

وقع كريم بلقاسم باسم الوفد الجزائري عشية 18مارس (بالحاج، 2008، ص717)وفي نفس الوقت قام بن يوسف بن خدة عبر أمواج إذاعة تونس بإعلان الخبر قائلا باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وبتفويض من المجلس الوطني للثورة الجزائرية، أعلن وقف إطلاق النار في كافة أنحاء التراب الجزائري ابتداء من يوم الاثنين 19 مارس 1962م، على الساعة الثانية عشر ظهرا، " قائلا: باسم الحكومة المؤقتة أمر جميع القوات المقاتلة لجيش التحرير الوطني بإيقاف جميع العمليات العسكرية داخل التراب الجزائري (بن خدة، 1987م، ص37)

كما وقع أعضاء الوفد الفرنسي الثلاثة وهم لوي جوكس، روبير بيرو وجوان دو بيروغلي، ليضعوا توقيعاتهم بجانب توقيع كريم بقاسم (بالحاج، 2008، ص420)

أعطى الجنرال ديغول بدوره الأوامر للقوات الفرنسية بوقف إطلاق النار والقتال وتم إطلاق سراح الجزائريين الذين كانوا في السجون والمعتقلات وعلى الحدود (بالحاج، 2008، ص421)

2- أهم بنود اتفاقية أيفيان الموقعة بين الوفد الجزائري والوفد الفرنسي:

- ❖ وقف إطلاق النار بكامل التراب الجزائري ابتداء من منتصف نهار 1962/03/19م.
- ❖ إطلاق سراح المساجين السياسيين الجزائريين خلال 20يوم من مدة الاتفاق
- ❖ انسحاب الجيش الفرنسي من كامل التراب الوطني بعد الاستفتاء الخاص بتقرير المصير المقرر في 1962/07/01م.
- ❖ تشرف على إعداد الانتخابات الهيئة التنفيذية المكونة من 9 مسلمين و3 أوربيين وتبقى في السلطة إلى غاية إجراء الاستفتاء.
- ❖ يجري الاستفتاء في كامل التراب الوطني وفي الولايات البالغ عددها 15 ولاية.
- ❖ تشكيل محكمة من قضاة مسلمين وأوربيين لحل النزاعات خلال الفترة الانتقالية.
- ❖ تحل النزاعات بطرق سلمية وإذا لم تحل توجه الى محكمة العدل الدولية.
- ❖ يختار الجزائريون في الاستفتاء تقرير المصير بين الاستقلال التام عن فرنسا أو الاستقلال مع التعاون بين

الجزائر وفرنسا.

- ❖ يحتفظ المعمرون بجنسيتهم الحالية ولكن عليهم الاختيار في الثلاث السنوات القادمة بين الجنسية الفرنسية أو الجزائرية.
- ❖ يحتفظ المعمرون بأملاكهم في الجزائر وإذا تم تأميم هذه الممتلكات تقدم تعويضات لأصحابها.
- ❖ الاعتراف باستقلال الجزائر وسيادتها التامة على أراضيها ووحدة ترابها.
- ❖ تأجير قاعدة المرسى الكبير في وهران للسلطات الفرنسية لمدة 15 سنة وكذلك مطارات، عنابة، بوفريك، بشار، ورقان لمدة خمس سنوات. (بن خدة، 1987م، ص 87-94).
- ❖ ضمان الامتيازات للشركات الفرنسية في استغلال المناجم والمحروقات كما تضمنت الاتفاقية جملة من اتفاقيات التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية السارية المفعول لمدة عشرين سنة (فركوس، 2008م، ص279-280).

3/ دراسة نقدية في اتفاقية إيفيان

تعد اتفاقية إيفيان من أول الوثائق الرسمية التي سطرت الطريق أمام إعادة إحياء الدولة الجزائرية من جديد إلا أن الوثيقة مازال يكتنفها الكثير من الغموض بالإضافة إلى النقائص الكثيرة التي وجدة بها مما جعل بعض المؤرخين والسياسيين يرون يوجد بها نقاط هي محل النقد من الوثيقة والتي تعبر تهديد لمشروع الدولة الجزائرية التي جاءت في مواثيق الثورة التحريرية منها بيان الأول من نوفمبر وميثاق الصومام.

إن طرحنا إلى بعض النقاط أو النقائص لاتفاقية إيفيان لا ينقص من قيمة الوثيقة وتاريخها ومكانتها في تاريخ الجزائر إلا أن الأمانة التاريخية تحتم علينا كمؤرخين إبراز هذه الحقائق والمغالطات التي جاءت في اتفاقية إيفيان ومنها نذكر:

*** من حيث الشكل**

- نجد أن الوثيقة كتبت باللغة الفرنسية فقط دون وجود لنسخة أو نص باللغة العربية وهذا خطأ كبير من أعضاء الوفد الجزائري لأن اللغة العربية هي إحدى مقومات الهوية الوطنية الجزائرية التي دافع عنها الجزائريون وحتى الثورة التحريرية كانت العربية مقوم لها فكيف يغفل عن أمر مهم مثل هذا، وللمثال فقط نجد أن الأمير عبد القادر (بلاح، 2010م، ص213) عندما وقع معاهدة تافنة (العربي، 1982م) مع الجنرال بيجوا، (الغالي، 2007م، ص 69) كتبت نسخة من المعاهدة باللغة العربية ووقع عليها كلا الطرفين لقدسية اللغة العربية

ومن بين الأمثلة ما حدث بين الفرنسيين والفيتناميين بعد نهاية حرب الهند الصينية الأولى سنة 1954م وتوقيع معاهدة الاستقلال كتبت نسخة من الاتفاقية باللغة الفيتنامية ونسخة باللغة الفرنسية وقع كلا الطرفيين على النسختين. (الكيالي، دون سنة، ص 721)

النص الأصلي للوثيقة غير موجود عند الطرف الجزائري وحسب الكثير من المؤرخين فإن النص الأصلي يختلف في البنود عن النص المترجم والمتداول عند الكثير من المراجع اليوم.

النقد من حيث المضمون:

- قضية الفترة الانتقالية:التي استمرت لعدة أشهر تأخير الاستفتاء إلى 1962/07/01م، والتأخر في إعلان الاستقلال

من مارس إلى 1962/07/05م كلها نقاط تحتاج الى الشرح والنقد

- قضية الإبقاء على الجنسية الفرنسية للمعمرين وبقائهم في الجزائر لثلاث سنوات ومن ثم الاختيار بين الجنسيتان الفرنسية أو الفرنسية وهذا الأمر يتناقض مع سيادة الدولة المزعوم الحصول عليها بعد الاستقلال لان الدولة هي التي تمنح الجنسية وأيضا الإبقاء على الجنسية الفرنسية للمستوطنين في الجزائر وكأن الجزائر ولاية فرنسية تابعة لفرنسا ولها حكم ذاتي فقط.(بالحاج، 2008، ص480)

- قضية تعويض الدولة الجزائرية ممتلكات المعمرين في حالة التأميم : هذا تناقض صريح مع أهداف الثورة لان الحرب التي أعلنها الجزائريون على فرنسا لم تكن ضد النظام فقط بل كانت ضد عملاء النظام وأعوانه وفي المرتبة الأولى المستوطنين والحصول على الاستقلال يعني الحصول أيضا على سيادة على الممتلكات وعلى المستوطنين مغادرة الجزائر بمغادرة القوات الفرنسية للجزائر ، فمن أحظرهم إلى الجزائر هم الفرنسيون ولعل من بين الدلائل على اهتمام الفرنسيين بالفئة هو تعطيل ديغول للمفاوضات في الكثير من المرات ودفاعه عن المستوطنين البالغ عددهم 800ألف معمر لأنه يصعب إعادة بعثهم من جديد في المجتمع الفرنسي(بالحاج، 2008، ص480)

قضية احتفاظ الفرنسيين ببعض القواعد العسكرية والعلمية لهم في الجزائر يتنافى نهائيا مع مبدأ وحدة التراب الجزائري والسيادة التي كان يكافح عنها الجزائريون لسنوات (بن خدة، 1987م، ص 88)

- بينت اتفاقية إيفيان أن الفرنسيين استطاعوا انتصار كبير على الطرف الجزائر في جانب المفاوضات حيث أنه حسب المصادر الفرنسية فإن ديغول ما إن جاءه نبأ توقيع الوفد الجزائري على الاتفاقية سرح هذا الأخير قائلا " أمر لا يصدق كيف لشعب سلبنا ارضه وثرواته لسنوات وحاربنا دينه ولغته وجعلناه غريبا في أرضه أن يوقع على مثل هذه الاتفاقية " (بالحاج، 2008، ص481)

- قضية الفترة الانتقالية التي استمرت إلى أربعة أشهر استفاد منها الفرنسيون بحيث تم استمرار تكرير البترول وضخ كميات كبيرة إلى فرنسا لتحريك الألة الصناعية الفرنسية، وضمان عدم اعتداء الجزائريين على المستوطنين أو القواعد الفرنسية وذلك في ضل وجود القوات الفرنسية في الجزائر خلال هذه الفترة الانتقالية (بالحاج، 2008، ص482)

- جسدت الاتفاقية التبعية الاقتصادية لفرنسا لان الجزائريين اليوم ما بعد الاستقلال يعتبرون من أكثر الدول الإفريقية استرادا للمنتجات الفرنسية وأيضا أن الشركات الفرنسية هي التي حظيت بالامتيازات وفي مقدمتها استغلال البترول في الصحراء الجزائرية ولم يقم الجزائريون باسترجاع ثرواتهم الا بعد الانقلاب الذي قام به هواري بومدين في 1965/06/19م، وسمي بالتصحيح الثوري والعودة إلى الأهداف الأولى المتفق عليها في بيان الأول من نوفمبر 1954م، حيث استطاع إرجاع 51% سنة 1970في شهر نوفمبر(كربالي، 2008، ص2) وسميت العملية بتأميم المحروقات، كما أمم المناجم سنة 1966م (كربالي، 2008م، ص2).

بينت اتفاقية إيفيان ضعف الوفد الجزائري المفاوض للطرف الفرنسي في الجوانب الاقتصادية والدليل ما آلت إليه الجزائر ما بعد الاستقلال ومال تم ذكره سابقا وحسب الكثير من المراجع فإن الوفد الجزائري كان قوي الحجة في القضايا السياسية وكان يمر بفترة فراغ إذا تم الحديث عن الجانب الاقتصادي وآلية التعاون الجزائري الفرنسي في ذلك الجانب (بالحاج، 2008، ص482)

اتفاقية إيفيان لم يتم فيها التصريح أو الاعتراف من الطرف الفرنسي بالجرائم التي ارتكبها في حق الشعب الجزائري ولم يتم تقديم تعويضات له، وهذا ما يؤكد أن فرنسا اليوم لا تعترف بالجرائم التي ارتكبتها في الجزائر طيلة فترة الاحتلال 132سنة مما يدعم الدعاية الفرنسية أن ما فعله الاستعمار في إفريقيا ومنها الجزائر هو نشر للحضارة (بن خدة، 1987م، ص90)

جعل اللغة الفرنسية هي اللغة الأولى في الإدارة الجزائرية وهذا يتنافى مع بيان الأول من نوفمبر1954م، حول اللغة العربية التي هي من مقومات الهوية الوطنية ولابد من أن التكون الأولى في التعامل في الإدارة الجزائرية ولكن الجزائريين كمجال للتعاون الثقافي مع الطرف الفرنسي فتحوا الأمور على مصرعيها بحيث جعلوا اللغة الفرنسية اليوم تكاد أن تكون هي الأولى في الجزائر، فمثلا الجامعة الجزائرية تقريبا باللغة الفرنسية وجل وزراء اليوم لا يجيدون تركيب جملة واحدة باللغة العربية.(بن خدة، 1987م، ص90)

- من النقائص التي أظهرت عيوب الاتفاقية عدم وجود أي بند حول الأرشيف الوطني لتاريخ الجزائر فالطرف الجزائري للأسف لم يطالب الفرنسيين بتقديم كل الوثائق الأرشيفية الخاصة بتاريخ الجزائر من جهة ومن جهة أخرى تقديم خرائط بأهم حقول الألغام المزروعة في الجزائر وعلى حدودها

خاتمة

لقد كانت اتفاقيات إيفيان انتصار عظيما، توج بالاستقلال والوحدة الترابية، وإحياء دولة جزائرية ذات سيادة في الداخل والخارج، كما بارك الرأي العالمي الاتفاقية واعتبرها الكثير من زعماء حركات التحرر من أمثال تيتوا وفيدال كاسترو أنها انتصار عظيم واعتبرها شوين لاي الوزير الأولى الصيني أن هذه الاتفاقية كانت إيجابية حيث قال " إن التكتيك الذي اتبعه الجزائريون خلال المفاوضات كان صائب

ومن خلال البحث يمكن عرض الاستنتاجات التالية:

- تمكنت جهة التحرير من تجاوز الحواجز ديبلوماسية الفرنسية التي كانت تتربع على منابر الدولية .
- حققت جهة التحرير الوطني الأهداف الذي نص عليه بيان الأول من نوفمبر والمتمثلة في الاستقلال والسيادة والوحدة الترابية.
- لقد كانت هذه الاتفاقيات نتيجة مفاوضات طويلة وشاقة لقد بذلت الحكومة المؤقتة جميع ما في وسعها لتحقيق الأهداف السياسية التي حددها اعلان الفاتح من نوفمبر 1954م ولإرسائها على مائدة المفاوضات، حتى نتائج إيفيان في نهاية الأمر مساوية لتضحيات الشعب بأكمله.
- جسدت اتفاقية إيفيان الانتصار السياسي للجزائرين والانتصار الاقتصادي للفرنسيين .
- كانت إيفيان فاتحة الاستعمار الجديد الذي خضعت له الجزائر ولا تزال تخضع له اليوم.
- لابد على الساسة الجزائرين إعادة قراءة الاتفاقية من جديد وما علينا كمؤرخين إلى تحليلها وإعطائها حقها حتى وان كان في ذلك نقدا وتشويه لأحد انتصارات الثورة الجزائرية ولكن التاريخ لا يرحم أحدا كما يقول المثل.

قائمة المصادر والمراجع

- بلاح البشير، (2010)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر.
- بلحاج صالح، (2008)، تاريخ الثورة التحريرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر
- بن يوسف بن خدة، (1987)، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، ترجمة لحسن زغدار وآخرون، مراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسيني، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، دط.
- شارل ديغول، (1971)، مذكرات الأمل، ترجمة سموحي فوق العادة، مراجعة أحمد عويدات، منشورات عويدات، لبنان.
- العربي إسماعيل، (1982)، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- الغربي الغالي، (2007) العدوان الفرنسي على الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة الأول من نوفمبر1954م، الجزائر
- فركوس صالح، (2002)، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين، 814ق.م، 1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع الجزائر
- كربالي، (2008) نظرة عامة على التحولات الاقتصادية في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 6، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر
- الكيالي، دون سنة، الموسوعة السياسية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- لونيسي رابح، (2010م)، تاريخ الجزائر المعاصر1830م-1989، ج2، دار المعرفة، الجزائر.

من الشفاهي إلى الكتابي:
سؤال الهوية في السرديات الجزائرية

From oral to written:
The question of identity in Algerian narratives

د. خالد شعيب، جامعة بن خلدون تيارت (الجزائر)

البريد الالكتروني:benchainkhaled616@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2021-09-20	2021-06-25	2021-05-20

ملخص الدراسة:

يسعى هذا المقال إلى البحث والتنقيب في هوية السرد الجزائري المتشكل من تنوع عرقي، وثقافي، وحضاري ولا شك في أن هذا الثراء الحضاري والتنوع الفكري والعرقي قد جعل الجزائري يتميز بثقافة شعبية تبين عن هوية هذا المجتمع وانصهرت في بوتقته ليشكل هذه الهوية المختلفة والمؤتلفة. وقد تمظهر هذا التنوع ظاهرا وخفيا في بنية السرد الجزائري، سواء في جذوره العميقة ما قبل الإسلام أو ما بعده. وهو ما سيحاول هذا المقال الكشف عن بعض تجلياته المضمرة أو المعلنة.

الكلمات المفتاحية: السرد، الهوية، الثقافة.

Abstract:

This article seeks to research and explore the identity of the Algerian narrative consisting of ethnic, cultural, and civilizational diversity. There is no doubt that this cultural richness and intellectual and ethnic diversity have made the Algerian characterized by a popular culture that shows the identity of this society and melted in its crucible to form this different and combined identity. This diversity has manifested itself outwardly and invisibly in the structure of the Algerian narrative, whether in its deep pre-Islamic or post-Islamic roots. This article will attempt to reveal some of its implicit or explicit manifestations.**key words:** Criterion-Referenced-Measurement, mastery learning

Keywords: narrative, identity, culture.

الشفاهية تحديد للهوية الثقافية

يسعى الفكر الإنساني عبر مفاصل المراحل المعرفية لتطور هذا الفكر، أن يصحح نفسه بنفسه من خلال ديالكتيك معرفي يتشابك فيه الحاضر بالماضي، والغيبي باليقيني، والوجود بالعدم ليظل في كل مرحلة من مراحل سعيه الدؤوب نحو نقطة اللانهاية إلى البحث عن العلل والأسباب، لذا يستوقفنا الفكر العربي المعاصر دائما أمام محاولة البحث عن المرجعيات التاريخية الفكرية والدينية والأدبية والفنية من خلال مساءلة الموروث الثقافي، وهذه المساءلة في حقيقة أمرها وجوهرها متعلقة باللغة، «ولما كانت الأساطير قد أمدت الدراسات الإنسانية على اختلاف فروعها بالكثير من الظواهر والعناصر والموارد، فإن الفولكلور ينسحب عنها، عند بعض الدارسين ويعد من هنا مكملا لها، مع أننا رأيناه عند آخرين متصلا بالأنثولوجيا والأساطير تبدو في الحالتين فرعا هاما من الإنسانيات، يرتبط أساسا بعلم اللغة»[(1)].

هذه اللغة التي تحاول أن تحقق تفسيرا للكون وتضع الإجابات المتعلقة بمشكلات الحياة وقضايا الإنسان، ولكي تستمر هذه اللغة في الحياة وتشع بالظلال من سالف العصور لا بد لها من مكون يجعلها ضالة الأنثروبولوجي، وعالم الاجتماع وعالم النفس ودارس الأدب، والمتتبع لتطور العقل في إدراكه وتعامله مع الكون، بل وأصبحت محط اهتمام العالم التجريبي الذي يحاول أن يؤسس لعلم حديث من خلال الوقوف على تاريخه وتطوره أو طريقة تعامل الإنسان القديم مع ما يحيط به من مفاهيم ذلك الملون هو قوة الرمز، «إن الرموز تمثل مبادئ وأفكار، وهي دائما تعني أكثر من شكلها الخارجي وهي تبدو في بعض الأحيان كأشكال مجردة أو مخططات غامضة أو إشارات دينية، لكنها أساسا علامات يمكن التعرف علها وتستخدم كبدائل»[(2)] فعندما نقارب هذه العلامات بما أتيح لنا من أدوات معرفية وطرائق عقلية ومنهجية إنما نحاول أن نحقق مشروعيتها كبديل يتلون أو يتمطط من مجتمع إلى آخر ومن جيل إلى جيل فيصبح هذا الرمز علامة صريحة ليواصل رحلته مرة أخرى إلى بدايته الأولى كرمز ثم علامة صريحة وهكذا دواليك فالغموض والإيحاء هو سحر الرمز ومخزونه الثقافي والروحي، أو كما يسمها (جون ويربري) بالرحلة الرمزية[(3)]، والتي نحصرها في بنود تمثل في الحقيقة مضامين تتمحور حولها هذه الرموز وهي:

1. موضوع المركز ومحور الكون الذي يتلاق عنده عالم الأحياء والأموات.
2. موضوعة الموت أو بدائله.
3. العودة إلى الأصول
4. النزاع الكوني من خلال تصادم قوتين عظيمتين الخير والشر، والنظام والفوضى.
5. التهديد من قبل الجنس الآخر.
6. التأله والتماهي مع العظماء والملوك والأبطال.
7. الزواج المقدس من سلالة سماوية أو ميثولوجية.
8. الولادة من جديد في صورة طفل إلهي أو مسيح منتظر أو مخلص للعالم .
9. قيام مجتمع جديد ذي طابع مقدس أو طوباوي يحقق السلم والعدل.
10. بنية رباعية للكون أو للعالم الجديد الذي يمتد على أربع قارات[(4)].

وهذه البنود هي عبارة عن استقراء للرؤى من خلال رحلة الذات إلى داخلها وهي بذلك ترحل نحو الأزمنة الأولى لنشأة الكون والحضارة البشرية« وبديهي أن هذه البنود العشرة ليست حصرية جمعا أو منعا، فبعض الرؤى قد لا تتضمن سوى سبعة أو ثمانية منها، كما أن بعضها الآخر قد يضم أفكارا محورية أخرى لم يتضمنها جدول بري أو منها مثلا فكرة امتحان القوة والشجاعة، أو فكرة اللغز أو الأحجية أو المتاهة بديلا مرادفا عقليا لامتحان القوة والشجاعة، على نحو ما هو معهود في القصص الميثولوجي والشعبي»[5]

وإذا كانت هذه البنود العشر بمثابة مادة رمزية للرؤى على حد تصور "بري" يضاف إلها مضمون امتحان القوة والشجاعة في القصص الشعبي فإن معايشة الواقع هو الذي يفيء بظلاله في الرؤى والمرويات الشفاهية عند الشعوب «ولما كانت الحكايات الخرافية في الأصل مجموعة من الأخبار تتصل بتجارب الإنسانية منذ قديم فقد حرص الناس على الاحتفاظ بها ونقلها بالرواية غير المدونة عبر الأجيال ومن هنا صارت أهم أنواع التراث الشعبي»[6]، وإذا كان مدلول الخرافة أو الخرافي لا يتحقق إلاّ بمقاربته من الواقعي، فهي في الحقيقة لا تحكي إلا عن التجربة المثلى «التي يخوضها الإنسان مع نفسه في سبيل الوصول إلى حالة الانسجام الكامل مع نفسه من ناحية ومع الكون من ناحية أخرى»[7]

فهي بذلك تحاول أن تتمثل عالما يوازي عالم الناس،ليحقق التوازن من خلال الإسراف في الخيال، باستنطاق ملكة عقلية جُبل علها العقل البشري، وهي القدرة على التخييل، الذي يسمح بتصوير أبطال بلا أبعاد ولا ملامح مميزة لبناء عالم أليف ترتبط أحداثه بالبطل الذي تتعاطف معه الذاكرة الشعبية في مواجهة القوة الغيبية وهو بذلك يرمزإلى التجربة المثلى لأنه«لا يعود فاشلا أبدا، من رحلته ولهذا كان الزواج عنصرا أساسيا فيه، لأنه بمثابة تتويج لنجاحه ورمز لانتصاره على كل المتناقضات الأسرية والاجتماعية والنفسية»[8]، وتحقيق البطولة رغبة إنسانية في الانتصار على البشر أو قهر نوازع النفس، أو تذليل الطبيعة وجعلها طيعة في يد هذا البطل المتخيل، ومن ثم يحقق الانسجام الاجتماعي، ويقضي على التناقضات الأسرية، ويحقق رغبة نفسية دفينة، يعبر عنها أفراد المجتمع أو مجتمع بعينة، وهي مضامين تشترك فيها جميع شعوب العالم على اختلاف لهجاتها وألوانها وتباعد الحدود فيها بينها، وهي قضايا وقف عليها صاحب الغصن الذهبي[9]، مما يؤكد تواضع العقل البشري في مرحلة من مراحل تطوره على إدراك متشابهة للعالم من حوله وللإنسان «ولا يختلف بطل السير الشعبية العربية وأبطال الملامح في شيء، سوى أنه يحقق البطولة في إطار المجتمع الإسلامي»[10].ذلك أنّ المخيال البشري واحد، وإنْ اختلف في التفاصيل.

فعنترة هذا الشاعر والفارس الذي خلد ديوانه اسمه وذاع صيته استمر الأمة العربية تروي قصص بطولاته وقدراته الخارقة بعد الإسلام، فظل المخيال الجمعي يرسم «صورته بشكل جديد بحيث أصبح رمزا للبطولة الإسلامية فإذا كانت القضايا التي كان عنترة يصارع من أجلها ترتبط ومجتمعه الجاهلي القبلي... فإن هذه القضايا تكتسب في السيرة طابع الشمول بحيث يمكن أن تكون قضايا إنسانية عامة يدافع عنها الدين الإسلامي»[11]، وبذلك أدرك عنترة في مفهوم الذاكرة الشعبية أبعاد التحول الاجتماعي وتناقضاته، ويكون بذلك حقق بطولته خارج إطاره الزمني والأبعاد المكانية التي تحقق الإقناع وتوهم المستمع بمطابقة هذه السيرة الشعبية من الواقع وظل بذلك «ممتط على الدوام صهوة جواده السحري، وممسكا على الدوام سيفه السحري، فاستطاع بذلك أن يحارب الأقوام الذي كان يخشى على الدعوة الإسلامية كفرهم وعنادهم»[12].

وتلك المَهمة التي اضطلع بها بطل السيرة الشعبية و التي تتمثل بصورة واضحة في نشر القيم المثلى، وأصبح صاحب «رسالة دائما يصارع الشر فينتصر عليه، وهو المفهوم النقدي المعاصر، البطل الإيجابي الذي يجسد آمال المجتمع وطموحاته في الرقي والتقدم»[13] هذا البطل الذي تصنع منه الذاكرة الشعبية والمخيلة الجماعية صانع تصورها ومبلغ غايتها ومقاصدها، إذ يختفي المبدع الأول للقصة، وتختفي معالمه، وتبقى قصته التي «تتعرض للتطور وزيادة وحذف حسب الرؤى والأغراض التي يستهدفها الرواة الشعبيون المتلاحقون»[14]، بحيث يتسم هذا التطور بالصيغة الانسانية، عبر تعاقبه الأنثروبولوجي من الأساطير الملاحم إلى القصص... هو في حقيقته انتقال أو تطور فرضته طبيعة العقل البشري الذي يسعى الى اكتشاف مغاليق الكون من حوله، والبحث عن أيقونات جديدة يكون مؤشرات على زمور لهذه العوالم الخارقة من جهة، وتحقق نوعا من التصالح بينه وبين ظواهر الخير والشر من جهة ثانية، وبينه وبين هذه القوى من ناحية ثالثة، ومن ثم كان التركيز على «ذلك العالم الذي يتحتم أن يكون مميزا عن عالم الكائنات الأخرى التي تشاركه في الحياة على وجه الأرض، ولقد شغل الإنسان في هذه المرحلة الجديدة أن يؤكد ذاته ويؤكد وجوده»[15].

ويكون هذا التأكيد للذات وللوجود ناتج عن الدياليكتيك الصاعد للحالة الوحدانية التي يتخذ صورة ديالكتيك صاعد للغة في الرمزي من خلال متخيل الوظيفة الرمزية أو الحالة الشعرية التي يتحقق من خلالها استمرار الرمز في الوجود وتعدد أبعاده الإيحائية والمعرفية ذلك أن معنى الكلمات «إنما هو انبعاث الصورة السمعية وتكون اللغة نفسها على هذا النحو (أثر) الإدراك، ولم يكن هذا التصور الطللي نفسه للغة قادرا على أن يقدم حاملا لنشوء متوال للمعنى، وإذا كان صحيحا أن الاستيهام لا يمكنه أن يظهر كل درجاته إلا في عنصر اللغة فإنه ينبغي أيضا أن تكون "الأشياء المسموعة" مميزة عن "الأشياء المرئية" والحال أن "الأشياء المسموعة" هي في أول الأمر أشياء تقال»[16] ولا يمكن أن يقر في الذهن هذا المدرك المرئي ونستطيع ترجمته إلى أشياء تقال إلا عندما تترسخ هذه الأشياء المرئية ذلك أن التفسير لا يبدأ عندما تترسخ تغييرات الحياة[17].

لتصبح بعد ذلك منظمة يمكن أن تترجم في فن من الفنون ليصبح قابلا للتفسير وهو في أظهر صورة متعلق بالأدب ذلك «أن اللغة هي التعبير الوحيد الكامل الوافي والمعقول بصورة موضوعية عن داخلية الإنسان»[18].

ذلك أنّ كل حديث عن منشأ هذه اللغة يظل مغامرة محفوفة بالمخاطر وتجعل الوقوف عندها مجرد ترف فكري لا يقدم للمعرفة الإنسانية شيئا، بل يعقّد الأمر أكثر مما يجعله ميسرا لإدراك ماهية هذه اللغة ويتحقق مشروع هذا البحث ومصداقيته عند الوقوف على فكرة تكون قاعدة أساسية في التعامل مع هذا الإشكال وهو أن اللغة تكاد تكون معاصرة المنشأ الإنسان لأنه خاصية إنسانية.

لا يمكن لأي مجتمع بشري أن يستغني عنها، ومن ثم تصبح اللغة ضرورة اجتماعية أيضا، «وفي الحق أن هذا الجانب من جوانب مبحث اللغة على غاية من الأهمية من حيث أن اللغة من أهم أدوات التكامل الاجتماعي»[19]، يحقق الإنسان من خلالها انسجامه مع الجماعة والتي بدورها تضع الأهداف والغايات أو التصورات لما ترسخ من تغييرات الحياة، لذا فالتعبير القصصي ونظرا لحاجة الإنسان إليه، وبه تتجلى هبة اللغة كان أقدم أنواع التعبير الفني وتبدأ مشروعية الحاجة إلى فن القصص بدء من الأسرة أولا «فقد كان رب الأسرة حين يعود إلى أهله مع المساء يجلس إليهم ليحكي لهم مغامرات اليوم كله بكل ما تحمل من أطرافه وإثارة»[20].

وتتحقق بهذه الطريقة، رغبة الأب في الحكي وحاجة الأسرة إلى الاستمتاع ليتحول الأب إلى رمز من رموز البطولة ويتحقق فعل التوجيه لدى الأبناء فإلى جانب المتعة الفنية تنقل الخبرة ويتحقق فعل التربية والتوجيه «فمن المعروف أن الطفل منذ أن يبدأ يعي عمله القص، وهي غالبا في سن الرابعة أو الخامسة يحب الاستماع إلى نمط قصصي بعينه، بل أنه يلح على من يرعاه أن يحكي له حكاية معينة تكون قد راقته من قبل، إذ في هذه السن يغلب إحساس الطفل على فكره»[(21)] وتتفتق لديه مشاعر حب البطولة وتتأدلج في ذهنه المثل العليا دون وعي أو حرص على تتبع الحس المنطقي «ومن ثم فإنه يحس بما يدور في هذا النمط القصصي من أحداث ويتحرك معه نفسيا دون أن يفكر في منطق الحكاية، وفي هذا يلتقي الطفل وعالم الحكاية الخرافية، «فكلاهما يتحرك في عالم الإحساس لا في عالم المنطق»[(22)].

ولعل الحاجة الماسة إلى فن الحكي هو الذي دفع بالمجتمع العربي إلى تخصيص مجالس المسامرة والمنادمة، وتختلف طقوس هذه الجلسات من بنية اجتماعية إلى أخرى، وقد كان للسلاطين والأمراء دور مهم في المحافظة على هذه المجالس ورعايتها مما ساعد على ازدهار هذه الأنواع من المسامرة والتي لم تكن مخصصة لإنشاد الشعر والمناظرات فقط أو الغناء والمجون بل يرى الباحثون «في أخبار الجلساء مادة سردية غنية بالأحاديث والحوارات بل أن كثيرا منها يتلفع بمتن حكائي»[(23)].

فالأصمعي لو لم يجد عند هارون الرشيد الرعاية والحظوة لما تفنن في سرد النوادر والأخبار، وهو الحال نفسه عند عامة الناس الذين كان يلتقي بهم في مجالسه «ولقد التفت الأصمعي إلى كل أولئك، ولكن لم يفته أعراب البادية يجتمع بهم في المربد والمسجد الجامع، كما يتعقبهم في مناطقهم الأصلية، و كان فطنا فقد حفظ الكثير وأعجب الجميع بحسن إلقائه وأوسعوا صدورهم لتعليقاته»[(24)] لأنها عوضتهم عن الحاجة إلى الاستماع بفن الحكي وقربتهم من الواقع الذي يحاول الراوي في كل قصة أن يوهم سامعيه بواقعية الأحداث لتكون أكثر إقناعا وإثارة، وإذا كان الأصمعي يميل إلى أسلوب الإخبار، فإن الجاحظ الذي كان يحضر مجالس الأصمعي وهو شاب خرج بأسلوبه إلى لون آخر من البيان يحرص على الديباجة اللفظية والتوسع في المعنى بلغة أنيقة فإنه ظل يحافظ على نهج الحكاية ويتصرف فيما يوري له بل ربما ألف الكتاب ونسبه إلى غيره «ولقد ساق الجاحظ الذي طالما حضر وهو ما يزال شابا مجالس الأصمعي كثيرا من نوادره ولهج به وشنع عليه وآثره دونه أبا عبيدة مع أنه عده مثله في النبلاء وتبدو هذه النوادر مثلا واضحا للحمل وللوضع، لأنها في أغلبها تحمل سمات أسلوب الجاحظ ودلائل ارتفاعه عن الأسلوب الإخباري الذي يغلب على صياغة الأصمعي والواقع أن الجاحظ لا يعترف بأنه لم يكن يحترم المرويات دائما بل أكثر من هذا اعترف بأنه ربما ألف الكتاب فترجمه باسم غيره»[(25)].

ومن هنا تكونت النواة الأولى لفنيات سرد عربي أو لنقل بدايات أولى لمقاربة اللغة بطريقة تختلف عما ألفه العقل العربي، وتحولت اللغة الطللية التي طالما تشبت بها العربي في قالب ظل يغالبه على مر العصور للخروج عن تقاليد عموده وتغيرت وظيفة الشعرية في الشعر إلى شعرية الحكي مع التماهي في البداية من لغة أقرب إلى الشعر منها إلى النثر ليحافظ على ما ألفه العقل العربي من تعلقه بالشعر وتقديسه له فكانت بذلك هذه النوادر التي اشتغل بها الأصمعي وافتتن بها الجاحظ البداية لفن جديد وهو فن المقامات، «إنما الشيء الذي ينبغي أن ندل عليه هو أن هذه النوادر قد تكون بداية حقيقية للمقامة التي وجدت أصولها في أحاديث ابن دريد ونقل بعضها في أماليه أبو علي

القالي»[26] وهذا الانتقال من فن الشعر إلى فن المقامة هو في الحقيقة تحول أو ثورة على المضامين الشعرية إلى لا تتسع لمثلهذا الفن الجديد الذي افتتن به العقل العربي، وإن شئن «الدقة قلنا أن نوادر الأصمعي عندما هزت عرش القصة الوعظية التي كانت تشغل مجالس الذكر»[27].

وإذا لم يكن من فضل للأصمعي فيكفيه أنه أرسى دعائم فن من القول وحوّل اللغة العربية عما ألفها الناس في التعاطي الثقافي وأصبحت مجالس المسامرة تميل إلى الاستمتاع بما يروي ليواصل العقل العربي صقل هذه التجربة الجديدة في تعاطيه مع اللغة حيث «أخذ ابن دريد على عاتقه أن "يهذب" النوادر لغويا ليثبتها القالي في كتابه ويأتي بعد ذلك بديع الزمان الذي ولد سنة 358هـ عاش أربعين سنة فقط، ليضع القصص المقامية التي جعلت "الكدية"، موضوعاتها [28].

واستطاع بديع الزمان الهمذاني أن يجعل من عيسى ابن هشام تيمة قصصية دون أن يخرج عن التقاليد التي وضعها الأصمعي وفي مقابل هذه المعاناة مع اللغة باللغة للخروج بها من دهاليز الماضي السحيق إلى أفق جديد يمكن أن يكون بديلا مقنعا للعقل العربي، هذه المعاناة التي عايش صعوبتها كل من الأصمعي والجاحظ وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم ممن تأثر بفنون القول انتقل تأثير الأصمعي إلى الضفة الأخرى والمتمثلة في الثقافة الشعبية فقد «أصبح القصصي العامي، يفضل حكايات الأصمعي شاغله الشاغل وعن لفئة أن تنسج عن المنوال نفسه وتنحل الأصمعي ما تنسجه»[29].

وإذا كانت مهمة الأديب الرسمي أن صحت هذه التسمية يصارع اللغة باللغة وهي لحظة عسيرة شبيهة بلحظة الولادة، لأنه من خلال هذه المحاولة يسلخ لغة من لغة بكل إرثها الحضاري والثقافي، فإن القاص الشعبي وجد نفسه في منأى عن هذه المعاناة إذ فهم بالتجربة المعايشة أن حاجة سامعيه تتطلب مفعول تخديري تضطلع القصة الشعبية بهذه المهمة لتعوض الطبقة العامة وهي سواد المجتمع عن معاناته «ذلك ما يفعله الراوي مع القارئ الشعبي فهو يصف له القصور والكنوز والملبوسات الفاخرة والمأكولات والمشروبات الشهية ويعرض أمامه الجاريات الحسناوات واللقاءات الجنسية المثيرة، فيسكن ويلبس ويأكل ويشرب... ويعوض بذلك عن بعض تشرده وعريه وجوعه وظمأه وكبته الجنسي...»[30].

وهو ما يحققه كتاب ألف ليلة وليلة، والذي يعد بحق تجربة زائدة في الأدب الشعبي العربي ساهم بصورة واضحة في دنو أجل الثقافة الرسمية العربية، التي كانت تصنع في بلاط الملوك والأمراء أو تنقل في وجه من وجه الثقافة المجتمع العربي، وعندئذ دعت الحاجة بكل مستوياتها إلى البحث عن بديل يصلح لاحتواء تناقضات المجتمع الجديد ويعبر عن طموح مجتمع يحاول التعبير عن واقعه من خلال الرجوع إلى ترسباته الاجتماعية والثقافية والحضارية بدءًا من المجتمع الإنساني ووصلا إلى المجتمع الإسلامي العربي الذي ينتمي إليه.

وإذا أردنا أن نقف عند هذا العمل[31] الأدبي الذي يتفق الباحثون على جعله أهم معلم شعبي في التراث العربي بحيث أن نتفق على الوجه الواضح لهذا الأثر والمتمثل في صراع المرأة والتحديات التي كانت تقف عائقا أمامها من أجل فرض ذاتها لما علق بالحضارة العربية بما يعرف بعصر الحريم والذي يبدأ منذ إرساء الدولة الأموية دعائم حكمها بل ويضرب بجذوره في تاريخ البشرية منذ بدء التكوين «لا ريب أن عداء المرأة يضرب جذوره عميقا في التاريخ. وبالتالي في اللاشعور الجمعي وأغلب الظن أن عداء المرأة يعود في الزمن إلى تلك الحقبة التاريخية التي شهدت سقوط

النظام الأموي وقيام النظام الأبوي مع التحول من الحضارة القروية إلى الحضارة المدنية ابتداء من منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وربما أمكن القول أيضا إن عداء المرأة لم يكن إلا تدبيرا دفاعيا ضد الخوف منها، أو بالأحرى ضد الخوف من مبادرتها إلى الانتقام والأخذ بثأرها محوا لعار الهزيمة التاريخية الكبرى التي أنزلت بها، وليس من قبيل الصدفة أن تكون آلهة الانتقام في ميثولوجيا معظم الحضارات المدنية الأبوية من الجنس المؤنث[32].

مما يعطي هذه العلاقة داخل المجتمع الإنساني وطبقة رمزية ودلالة فكرية تبين عن عوالم الإدراك والقول وإدراك الطبيعة ترجم في الفكر الشعبي من خلال هذه الوظيفة الرمزية التي حاولت أن تبين عنها كل الشعوب في مشروعها الميثولوجي هذا الإدراك لا يمكن أن ينجز إلا في فعل القول وهذا القول لابد أن يكون تجسيدا كليا للظاهرة بطريقة حسية وهو المدلول الذي يقدمه ارست كاسير لمفهوم الرمز فهو «يعطي كلية الظاهرات التي تجعل إنجاز معنى في شيء محسوس أمرا جليا بأي شكل من الأشكال وكل السياقات التي يتمثل فيها معطى من المعطيات الحسية أيًا كان نموذج وجودة بوصفه اندماجا خاصا، بوصفه مظهر دلالة وتجسيدا لها»[33].

وهكذا فالمخيال الشعبي بما يقدمه من زخم رمزي عبر الأجيال المتعاقبة ومن خلال مضامين السرد التي قدمها على مر عصوره إنما يحاول بذلك أن يعانق الثقافة أو بمعنى آخر يجد تفسيرا في الثقافة لذا كانت المرأة قرينة الطبيعة حاول من خلالها فهم وجوده وتطبيع علاقته بهذه الطبيعة بصنع ثقافة قهرية تمثل ردة فعل للمجتمع الذكوري وهي القضية التي تشير إليها الباحثة الأنتربولوجية (شيري أو تنز) في مقال لها تحت عنوان «هل الأنثى بالنسبة للذكر كالطبيعة بالنسبة للثقافة منشور ضمن (كتاب المرأة والثقافة

والمجتمع)»[34]، حيث حددت مستويات الفكر الميثولوجي في محاولة قربه من الطبيعة الذي يرى بأنها رديف المرأة إن هذا القرب من الطبيعة يعبر عن نفسه من خلال ثلاث مستويات:

أولا: إن جسد المرأة ووظائفها المنهكة وقتا أكبر في حياة النوع يضعها أقرب إلى الطبيعة، إذا ما قورنا بفيزيولوجيا الرجل الذي تركت له الحرية الكاملة لمعالجة المشاريع الثقافية.

ثانيا: أن جسد المرأة ووظائفه يضعاها في ادوار اجتماعية تعتبر بدورها في مرتبة أدنى من حيث العملية الثقافية مما هو عليه الرجل.

ثالثا:«أن أدوار المرأة الاجتماعية التقليدية التي تفرض عليها جسدها ووظائفه تعطيها بدورها تركيبا نفسيا مختلفا، يعتبر مماثلا لطبيعتها الفيزيولوجية وأدوارها الاجتماعية في قربة من الطبيعة»[35]، وحالة اعتبر المرأة جزء من الطبيعة، فإن الثقافة تعمل من أجل إخضاعها واضطهادها لتعزز بذلك سنن الاختلاف وهي بهذا تعيد صياغة النظام الاجتماعي الذي يجعل الذكر محورا له ومن ثم يدخل المرأة في الأيديولوجية الذكورية المحددة بالدين والقانون[36]، غير أن هذه الأيديولوجية التي تتضافر فيها مجموعة من القيم والأعراف والتقاليد إضافة إلى الدين والقانون والتي يفتقد المجتمع الذكوري لها.

إنه اضطهد المرأة، وحاول أن ينتقم لجنسه هو في الحقيقة انحطاط شأن الرجل وذلك ما يبرز عنه الفكر الميثولوجي لأن «انحطاط شأن المرأة الأثينية كان ينعكس على الرجل

فانخفض شأن الرجال بدورهم حتى غرقوا في الشذوذ الجنسي مدنسين بذلك أنفسهم وآلهتهم على السواء»[37].

وهو المسار نفسه الذي يتبعه القصصي الشعبي المتعلق بموضوع الرغبة الجنسية، حيث تركز على موضوع المرأة ووصفها وصفا حسيا، تكاد تتشابه جميع معالمه في هذا القصص، إذ الجهاز الأساسي الذي تتحرك من خلاله الأحداث هو قيمة الجمال، فهذه المرأة التي تحاط بمجموعة من الأمور والمتعلقة كلها بالتحريم، وفي أغلب الأحيان تلقن هذه التعاليم من الأم، وهي امرأة من نفس جنسها، لكنها وبحكم تجربتها تدرك مغامرة الخروج عن هذه الأوامر التي تحاول أن تجعلها جدارا يحافظ عليها من إيديولوجية المجتمع الذكوري.

لذلك نجد هذه القصص تقرر في البداية المظهر الأنثوي موضوع الرغبة الجنسية بمؤثرات جسدية كما هو مقرر في جميع القصص تقريبا: «الجمال وطول الشعر، تشير إلى أوامر التحريم الصادرة عن الأم، والتي تهدف إلى حماية موضوع القيمة وهو في طور التكوين والنمو، بمجرد البلوغ ومحاولة الانفصال عن الأم يقع خرق التحريم»[38]، هذا الانفصال عن الأم وعدم التقيد بالأوامر هو الذي يجعل الفتاة في مواجهة الأيديولوجية التي ستدفع بها إلى عالم منحط، لتواصل رحلتها في المخيال الشعبي نحو الرذيلة، لكنها ليست بمفردها في هذه الرحلة بل يتدخل جنس آخر وهو جنس الذكر الذي يعتقد أنه استطاع أن يقنع المرأة بأيديولوجيته التي تمثل رواسب جماعية، وهي التي ظلت تدفعه منذ العصر الأمومي وبتحقيق الانتقال إلى العصر الأبوي، الذي يعتقد أنه استطاع أن يحرر نفسه لكنه في حقيقة الأمر زجّ بنفسه ودون علم منه في مرحلة أخرى، فصار هو نفسه ضحية قيمة، في حين كان يعتقد أنه استطاع أن يحقق ذاته، ويرد اعتباره حيث دفع بالمرأة إلى هوة الانحطاط «فتجد الفتاة نفسها مهددة من طرف الذكر الذي يوظف في مختلف الحكايات باعتباره كائنا وحشيا ماكرا (غول)، أو شخصا من المحارم تعميه الشهوة فيتمرد على القيم الاجتماعية ويقرر اغتصاب أخته، ويصور الفعل الجنسي كتهديد بالافتراس أو كفعل تشويه وتقطيع للأعضاء وتغير للصورة البشرية في هيئة حمار أو طائر»[39].

وهذه الرموز صارت مألوفة لأنها تتضمن المواثيق الاجتماعية، فهي وإنْ كانت في ظاهرها تقليدية متداولة، إلا أنها تحمل دلالات جديدة مع كل مجتمع جديد، فرموز «القصص والقصص الخرافية، فأي عمل للترميز لا أثر له فيها، وفي مستوى ثان، نجد الرموز ذات الوظيفة المألوفة، إنها الرموز المستخدمة المفيدة المستعملة، ذات الماضي والحاضر، التي تستخدم، في مرحلة معينة من تاريخ مجتمع، ضمانة للمواثيق الاجتماعية بمجموعها»[40] فهي -إذن- تتسم بالإبداع، أي: إبداع المعنى، الذي يضمن توليد هذا المعنى. فتصبح معاني جديدة تكسبها الثقافة التي حرص المجتمع على تكريسها في حقبة معينة هي الحاملة لدلالات هذه المعاني الجديدة، ومن ثم تبين عن ثقافة أو توجهات هذا المجتمع أو ذاك، فالرمز إذن فعل ثقافي ينبثق من رواسب الماضي لكنه يثقل بحمولة معان جديدة تسعى المجتمعات إلى تكريسها أما عن قصد أو عن غير قصد ومن هنا يفسح المجال للتفكير في محاولة قراءة هذه الرموز لأن آليات تفسير هذا الرمز لا تكتفي، إذ لم يُعمل التفكير الفلسفي الصرف لأنّ التفسير يتعلق بالجانب التجريدي من الرمز أما التفكير فيستدعي الوقوف عند التعبيرات الألسنية والتي لا تظهر في الطقوس والانفعالات فحسب ولكنها تظهر أيضا في كل أنواع السرد المنصب على بداية الشر ونهايته»[41].

والسرد في بداياته الأولى هو منطوق الكلام الذي توارث عبر الأجيال وانتقل من حضارة إلى حضارة يظل مثقلا بمحموله الرمزي الذي هو في جوهره تعبير ألسني «ذو معنى مزدوج يتطلب تفسيرا والتفسير عمل من أعمال الفهم ينشد أن يفك معنى الرمز»[42]، والفهم آليات من آليات التفسير تبحث لها عن مشروعية عقلانية وفق أدوات

منهجية يستنبطها العقل وفق ما يتيح له من هذه الأدوات ويصبح «التفكير علم تفسير، إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنه أن يصبح بها مشخصا ويظل تفكرا، فالسذاجة الثانية ليست السذاجة الأولى إنها بعد نقدية وليست قبل نقدية، إنها سذاجة علمية»[43].

ويبقى هذا التفكير الذي ينجز تفسيرا علميا للتراث الإنساني يفرض التعامل مع كل أشكال التراث من باب الكلام لينتقل بعد ذلك إلى عمل اللغة بكل حمولتها أيضا لأن عنصرا الحكي «مشترك بين كل أنواع الأشكال التراثية فهو عنصر أصيل فيها يعود في أساسه وتكوينه إلى منابع الأدب، الذي أصبح محملا بإيحاءات غنية عبر تاريخه الطويل»[44]، وهذا التاريخ الطويل هو سيرورة الرمز الثقافية التي تحرص كل المجتمعات على تأكيدها في فعل الزمن وحدود المكان لتترجم وعي الإنسان وإدراكه أو بصورة أخرى.

2.سؤال الكتابة: وهاجس التأسيس

ولعل السجال النقدي الذي ظهر في المدونات النقدية للأدب الجزائري حول موضوع رواية (حكاية العشاق) أهم وجه من وجوه هذا العنت فإذا كان محققها يعتبرها رواية شعبية فإنّ رأي الدكتور عمر بن قينة يميل إلى الاعتقاد بأنّ هذا العمل رواية مرة، ومرة قصة طويلة فإن الدكتور محمد بشير بويجرة قد أجزم بأن هذا العمل يعد البداية الحقيقية للرواية الجزائرية[45].

وتحكي "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" قصة شخصيتين اتفقا في صدمة نفسية فأتلافا في التخفيف منها بحالة منها بحالة من التجاذب الذي يحقق الانسجام ويجعل البحث عن السعادة مشقة يتجشمها كل من حاول تحقيق التوازن للهروب من واقع لم يكن له يد فيه وليس له قدرة على تغييره فابن ملك أصابه حزن شديد لفراق والده الملك وبذلك ضاع منه مجد الملك ولم يترك له سوى وصية دعاه فيها إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والابتعاد عن العشق وبين زهرة الأنس ابنة التاجر التي فقدت والدتها ففرضت على نفسها العزلة، وللتخفيف من شدة حزنها جلب لها والدها جواري من أجل تعليمها الشعر والغناء والطرب.

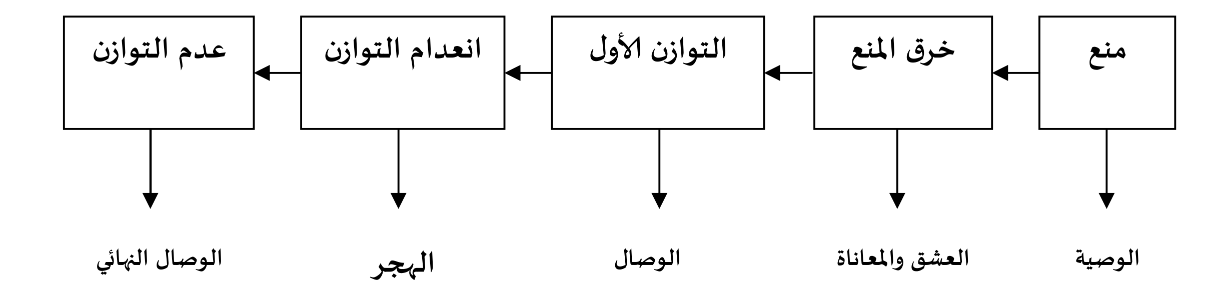
أما ابن الملك فيقترح عليه نديمه حسن الخروج للترويح عن نفسه ويحقق بذلك من وطأة الصدمة.

وبذلك تتهيّأ أسباب اللقاء بين بن ملك وزهرة الأنس حين يسمع طربا قادما من دارها فيسأل العطار المجاور لدارها وبذلك يعرف أنها زهرة الأنس ابنة التاجر فيرغب في وصالها.

أما زهرة الأنس فتغرم بمصطفى الأمير وهي عائدة من نزهة رفقة جواريها إلى درجة أن يغمى عليها من فرط الإعجاب به.

وبذلك تتحقق حاجة كل منهما إلى الآخر فتكرر الزيارات والمراسلات إلى أن تظهر شخصية أخرى وهي شخصية البربري الذي كان يود الزواج من زهرة الأنس قبل وفاة والدتها فتتقلب أيام الصفاء إلى كدر وحسرة ثم تنتهي الأحداث بعودة أيام الود والصفاء برجوع زهرة الأنس إلى الأمير مصطفى[46].

«ويمكننا التمثيل لهذا المسار السردي بالخطاطة التالية[47]:



إنّ القارئ لهذه القصة لأول وهلة يتبادر إليه خط السرد الكلاسيكي الذي قرّ في الثقافة العربية من خلال كتاب ألف ليلة وليلة من خلال توالي المتتاليات السردية «غير أن الذي يشد الانتباه هو الطريقة التي تم بها سرد الحكاية وهي طريقة قد تبدو -بدورها- في الظاهر ذات بناء مألوف إلا أن قراءة تركيبتها الداخلية، وطبيعة اشتغال مكوناتها من سرد ولغة وشخصيات، يجعل هذا النص يخرج وتدريجيا بمرونة عن ثقافة البناء المعتاد في المنظومة السردية العربية، ويجرب الحكي في بناء يختبر إمكانياته دون أن يتخلى عن منطق البناء التقليدي، لذلك فالذي يشكل نميز نص "حكاية العشاق" هو منطق التحولات الذي يصنع من مادة الحكاية نصا سرديا يقترب بدرجة من الدرجات من جنس الرواية»[48].

ولعل المتتبع لأحداث هذه الرواية يقتفي أثر الصنعة الروائية ويتلمس رواسب الحكي الذي ألفته الأذن العربية واستساغه الذوق العربي من خلال ما توارثه من أخبار ونوادر وقصص شعبي بداية من بلاط الملوك ومرورا بقصص الوعظ وانتهاء لما هذبه الأصمعي والجاحظ، ويرى ظلال ألف ليلة وليلة التي عوضت المحرومين ونفست عن كبتهم وحرمانهم[49]. فإن كان راوي "الحب والاشتياق" حريص على أن يفهمنا بأنّ ما وقع من أحداث إنما هي أحداث وقعت فعلا حتى يجعل القارئ والمستمع يعجب بهذا وينفس عن حرمانه وكبته في ظل مجتمع يعيش قهر الاستعمار «وحتى الآن مازال عامة مواطنينا يفضلون القصص والتمثيلات التي يظنونها وقعت فعلا، هذا مقياس يقيسون به أهمية القصة أو التمثيلية يفوق في قوته أي مقياس نقدي أدبي»[50]، ذلك لأنها تجسد طبيعة الحياة الطبيعية وتبين عما تستره جدران القصور من انغماس في المجون واستهتار بالقيم حتى يخيل إليك أن هذا محض خيال ثم يعاودك الإحساس بواقعية هذه الأحداث نظرا للوظيفة التوكيدة التي يركز عليها المؤلف فقد عكست هذه القصة الطويلة «أشياء كثيرة... من بينها الهزة التي شرعت تتعرض لها بنية المجتمع الجزائري... والتصدع الذي أصاب كثيرا من الأسر...والشرخ الذي بدأ يمتد في عادات وتقاليد المجتمع...»[51].

وإذا كان اتفاق رعيل من النقاد الجزائريين الأكاديميين على اعتبار هذا العمل الفني[52]، يحمل معالم القصة فإنّ القصة بمفهوم عام فن له أصوله في الأدب العربي القديم «لقد اقتضت هندسة القصة في الأدب العربي القديم بما وطنت عليه نفسها من دفع مزاعم واحد من أكبر ممثلي التيار الوضعي الاجتماعي في فرنسا إلى تقديم تمهيد يتعهد المشكلة المثارة من زوايا عدة يعرض فيها الآراء التي حاولت تأكيد المزاعم أو نفيها، لكنه تمهيدا يسجل موقفه من أول مجلة القصة في العربية قديمة قدم هذه اللغة»[53].

وإذا كان الدكتور عبد الملك مرتاض يريد من خلال هذا الحكم تجاوز المعايير الفنية والخصائص البنائية للقصة بمفهوم عام مؤكدا على الحد الأدنى، حيث اعتبر أن القصة البسيطة هي التي تبني على الواقع طورا وعلى

الخيال أو هما معا وأعتقد أن خلو العمل القصصي من هذه المحايثة بين الواقعي والخيالي هو جوهر وليس عرض وهو ما يظهر بيّن في رواية "حكاية العشاق" هذا الامتزاج بين واقع الطبقة الاجتماعية ومخيال الراوي أو المؤلف هو الذي بوء لهذا العمل أن يكون عملا رائدا بامتياز[54]، إذا كان بعض الباحثين قد اعتبره مجرد مفارقة تاريخية[55]، وبالتالي يمكن اعتبارها طفرة تسجل لا تحسب، لكنها بداية تبين عن نضج التجربة مما يعني أن جيل الكاتب متمرّس على فن الاستماع إلى الحكي إنه على اطلاع، بهذا الفن من خلال القراءات التراكمية للتراث العربي، سواء المكتوب باللغة أو المتوارث بالتواتر، ذلك أن منطلق الفعل يفرض بأن «الشكل الذي يعمد إليه الفنان لا يجد تبريره في مقتضيات النسق الفني، بقدر ما يجد علته في السياق، وكل فصل تعسفي بينهما إنما يعد فتقا لوحدة شديدة الالتحام، وهل يجوز الآن محاسبة الفنان على كونه في ذلك إلا بان واقعيا أو يجب محاسبة الظروف التاريخية والالتفات باللائمة إليه»[56].

فالسياق هنا له ظروفه التاريخية ومبرراته الثقافية من خلال واقع المجتمع الجزائري في تلك الحقبة التاريخية على ما فيها من علة النسق الفني لا يخرج عن ما هو عام، أو ما هو متعارف عليه في ظل مجتمع ينتمي إلى ثقافة واحدة وأصول تاريخية موغلة في القدم وإلا كان الإقدام على تجربة أدبية كهذا درب من الجنون أو كما يقال كحاطب ليل، لكني اعتقد بان المؤلف لم يكن حاطب ليل، لأن إقدامه على هذه التجربة الفنية لم تكن من عدم، إذ لكل نهاية بداية وما من شك في أن البداية التي أثثت مخيال الكاتب هو اطلاعه على هذا الفن من التأليف في تراثه الأدبي.

وأن لكل عمل غاية أو قصد وإلا كان مجرد عبث لا يرقى إلى مستوى الإنتاج الفكري، وانطلاقا من هذا ومن خلال جدلية السياق بالنسق الفني والذي لا يمكن أن ينفصل أحد هما عن الآخر كان النص على مستوى اللغة مزيج من الفصيح والعامي وهذه القصة في حد ذاتها سمة تبين عن هذا الترابط الشديد بين السياق والنسق الفني «وأحسب أن أول قضية يجب التطرق إليها في الإشكالية اللغوية لنص "حكاية العشاق"، هي المقصدية في اختيار لغة روائية تناسب الهدف من الحكي وتحترم بناءات النص وغاياته بالقدر نفسه الذي تقف فيه عند حدود الإمكانيات اللغوية للكاتب وعند الحدود الفنية للمرحلة الزمنية وذلك كله بغية توسيع مساحة التلقي والتأسيس لمسوغاته لدى أكبر فئة ممكنة من القراء»[57]، لأن الكاتب عندما يكتب يضع في توقعه قارئ افتراضي، هذا القارئ يعلم مسبقا من يتوجه إليه بالخطاب عارفا بقدراته وفهمه وإمكانياته ليصل بذلك إلى أفق التوقع وهذا الأفق هو ما يحققه النص من مقروئية ولا يخرج كليهما عن السياق التاريخي والثقافي للعصر الذي ينجز فيه النص كما لا يجب أن يخرج هذا الأخير عن التنسيق الفني المتعارف عليه، وبالتالي فإن المقصدية هي التي تحقق هذا التوافق وهي التي يراها (باختين) ضرورية لإضفاء الشرعية القصصية على النص وإن يتعمد الكاتب المزج بين العامية والفصحى هو أفق التوقع الذي كان يطمح إليه المؤلف حتى لا يظهر العمل غريبا عن زمنه بعيدا عن قارئه وهو بذلك محاولة مهمة في التقريب بين وعيين لغويين قد ألف القارئ التعامل معهما من خلال موروثه الثقافي ففي «مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، أو التقاء وعيين لغويين منفصلين بحقبة زمنية وبفارق اجتماعي أو بهما معا داخل ساحة ذلك الملفوظ»[58]، الذي يعبر حتما عن استعمال ارث اجتماعي وتاريخي يمثل جملة من المرجعيات التي تقتضي «حضورا داخل الرواية لا خارجها؛ ليشكل هذا المرجعي نسيج الخطاب أثر ذلك»[59]، حيث أن الاهتمام بالجانب التقني للعمل الروائي جعل المهتمين في

كثير من الأحيان يهملون المرجعيات التي تؤسس لأي عمل فني وهو الحال مع نص حكاية العشاق «وإن النقد باقتصاره على الأداء التقني يهمل المرجعية التي بالعلاقة معها، وبالنقاد إلى الجوهر سؤالها المطروح في جدل التفاوتات والتناقضات ببني المعنى العميق للأدب»[60].

وهذه المرجعيات تحكمها شبكة من العلاقات تسمى واقعا، إذ توفرت الشروط التي تبني هذه الشبكة، وتتحكم في قيمة الإيحائي في الواقع فهذا التجاذب والحراك هو الذي يشعرنا بالحياة والاستمرار في الزمن والفعل والمكان ويتجسد هذا من خلال فعل الكتابة حيث تتحول الكتابة إلى منشط للذاكرة التي تملك قدرة الاختزان والاختزال ليعيد المثقف قراءة هذا المخزون وفق أبعاد جديدة مغايرة لما هو واقع، بحت كما تكون أيضا قوة للنسيان.

ولا شك في أن هذا الثراء الحضاري والتنوع الفكري والعرقي قد جعل الجزائري يتميز بثقافة شعبية تبين عن هوية هذا المجتمع وانصهرت في بوتقته لتكون معلما مميزا لهذه الفترة الزمنية، كما حافظت على استمرار هذه الهوية في الأزمنة اللاحقة يضاف إلى هذه الثقافة الخصبة ما ورثه هذا المجتمع من إرث ثقافي أدبي ضارب في القدم موغلا في التاريخ باعتبار أن الثقافة العالمية هي التي مهدت الطريق لهذا المجتمع وبعثت فيه الحياة من جديد «ومع ذلك وجدنا في العهد العثماني تراثا أدبيا وفنيا وعلميا في مستوى طيب استحق منا العناية والدرس ولكن يجب ان نلاحظ من الآن ان هذا الإنتاج بأنواعه كان خارج نطاق الحكم»[61].

وقد كان لسابق هذا العهد فضل في إثراء الثقافة العالمة، وضمان بقائها واستمرارها ذلك لأن المغرب الأوسط (الجزائر) كان «يتمتع منذ العهود الرستمية والأغلبية والزيرية والحمادية والحفصيةوالزيانية، بمراكز تشع منها الثقافة والعلم والفكر»[62]، وظل جسر التواصل دائما بعيدا عن السلطة أو خارج نطاق الحكم نظرا لعائق اللغة لجهل أغلب الباشورات والبابات الأتراك بهذه اللغة وبل حتى مستواهم الثقافي في اللغة التركية لم يكن ذا بال، ومن ثم بقيت اللغة العربية الفصحى تصارع من أجل بقائها في ظل تعدد الثقافات وتنوع اللهجات ذلك أن العثمانيين أنفسهم «يفتقرون إلى أشياء أساسية لكي يشجعوا الأدب والعلم والفن في الجزائر وأول ذلك اللغة، ولقد كانت لغة الوجق العامة هي التركية، وهي لغة للحديث أكثر منها للكتابة، لم تكن هناك أعمال أدبية هامة أنتجت بهذه اللغة إلى ذلك الحين»[63].

ورغم هذا الوضع المتردي خاصة على مستوى اللغة، وفقنا مع نص "حكاية العشاق" مع تجربة رائدة سجلت طفرة مهمة في التأريخ لفن الرواية في الأدب العربي فقد كان من الطبيعي أن يدفعه الحكي إلى استلهام الموروث العربي والتراثي منه ليعينه على بناء بنية تركيبية قصصة فإن وضعنا هذا النص في سباقه الثقافي والتاريخي «وجدناه يتقاطع بشكل جلي مع فضاءات قصص ألف "ليلة وليلة" بالدرجة الأولى خاصة منها تلك التي تدور إحداثها في قصور الملوك والأمراء، ودور التجار والأثرياء فمصطلح المقصورة الذي يتردد مرارا في نص حكاية العشاق إلى جانب الوصف المتكرر لاقداح الخمر وإطباق الطعام وألوان الطيب والعطور، مع أدوات العزف والطرب تنطق كلها بمواصفات المستوى الاجتماعي الثري الذي يحيل عليه فضاء الحكاية من جهة، كما تشير من ناحية أخرى إلى ظاهرة انتشار مجالس اللهو والمجون في دور الأمراء والأثرياء في حقب معروفة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية[64].

ومما لا شك فيه أن سلطة إرث عظيم كظل يفيء بظلاله على الإبداع العربي إلى يومنا هذا[65]، وأن الغرائبية والعجائبية سمة خطابية بارزة في نص ألف ليلة وليلة يضطلع بها السارد، وهي كذلك في نص حكاية العشاق مع

اختلاف الأدوار وتغير جنس السارد، وبالتالي فإن: «العجائبي ظاهرة نصية، متعلقة بالخطاب ليست خارج نصية فنحن متعلقون بشفاه الراوي بكلمات الخطاب هي وحدها الجحيم وهي وحدها الخلاص»[66]، وهذه الظاهرة النصية هي ما نتلقاه من الأصوات الساردة، إما عن طريق أشخاص أو عن طريق صوت الراوي، مما يجعله يندرج ضمن مفهوم شعرية الحكي، فتطور الخبر «يجعله يتحول من شكله البسيط إلى شكل مركب أكثر تعقيدا وتفصيلا يفقده نسبيا خصوصياته النوعية، ويدفعه بالضرورة إلى الاندماج في نوع آخر قد يكون قصة أو حكاية»[67]، وهي طبيعة يفرضها قانون التطور وذلك أن الأجناس على حد تعبير برونتير[68]، ليست مجرد كلمات بل نجدها في الطبيعة وفي التاريخ ولن يتحقق مبدأ التثبيت، fixation، إلا في مرحلة النضج[69].

غير أنّه بات من المؤكد بعد التطور الحاصل في المجال البحثي بان السرد يمثل هوية إنسانية وضرورة حضارية بها نُبين عن الحياة الثقافية والوجود فهو جوهر الطبيعة الإنسانية وبتعبير بارت «يوجد السرد بأشكاله اللانهائية –تقريبا- في كل الأزمنة والأمكنة والمجتمعات إنه يبدأ من تاريخ البشرية ذاتها، فلا يوجد شعب –تماما- بدون سرد، كل الطبقات والجماعات الإنسانية تمتلك محكيات»[70].

لذلك اعتبر أرسطو أن القصة (تكشف عن جوانب شمولية في الوضع الإنساني)[71]، قد يكون هذا الوضع أما واقعيا ونعود إليه من خلال السرد، لأننا نتعامل مع الزمن من خلال أحداث واقعية وإما يكون متخيلا ومن ثم فنحن نتعامل مع أحداث متخيلة وما يقدمه مصطفى بن إبراهيم، في خطاب حكاية العشاق من خلال التأكيد على زمن التأليف من أجل أن يوهم المتلقي بأن هذه الأحداث قد وقعت فعلا، وبالتالي فهو سرد لأحداث واقعية، أو أن هذه الأحداث متخيلة وعمد إلى ربطها بتاريخ معين تماشيا مع ثقافة المجتمع في تعامله مع المحكي، وهي تقنية يعتمد عليها الراوي الشعبي من أجل التأثير على المتلقي وجعله يتابع الأحداث يتشوق إلى المواقف من خلال العرض المشهدي، ومن هنا يصبح (السرد شكل للكلام كلي، مثل اللغة ذاتها، وصيغة للتمثيل اللفظي) [72]، في عملية إنتاج الخطاب الأدبي الذي يعتبر لعبة يتواطأ فيها القارئ مع السارد أوراقها الكلمات وبالتالي فإن الأوراق هي التي تتكلم وليس المؤلف[73]، وهو في هذه المجازفة لا يمكنه الخروج باللغة عن الزمانية، فالسردية بحسب قراءة هايدن وايت هي (البنية اللغوية التي تشكل الزمانية مرجعها الأخير)[74].

وأعتقد أن زمن مصطفى بن ابراهيم من خلال نص حكاية العشاق تعامل مع اللغة بهذه المقصدية أي بزخمها الزماني وبمعطيات فرضها وضع ثقافي معين وإلا صار هذا النص غريبا أخرص لأنه يخاطب أهل الزمان بما ليس من زمانهم ويخل بقواعد اللعبة التي تفرض أن يتواطأ فيها القارئ مع السارد، « ولأن الجمهور يتجاوب مع هذه اللغة المهجّنة باعتبارها النمط السائد في التعامل اللغوي داخل الأوساط الاجتماعية التي ينتمي إليها الكاتب في إطار سياق ثقافي مهيمن في فترة زمنية محددة»[75]، كما اعتقد أن العنوان مهم جدا في إثبات مشروع بداية الفن الروائي في الأدب الجزائري ومن البدايات الأولى للاستعمار الفرنسي حيث لفظ حكاية المصاحب للعنوان، بعد مؤشر جنسيا indication génériqueيعتمد على تحديد جنس العمل وذلك، بإسقاط واستبعاد كل الأجناس الأخرى.[76]

العنوان هو عتبة النص لأنه سيمة نصية ناطقة ومعبرة ويعلن عن نفسه بصفته نصا مصغرا، ومن خلاله يطمئن القارئ إلى إقامة علاقة حوارية معه أو يرفضها، وبالتالي يخلق عند القارئ ألفة يستأنس لها أو له، فيبدأ رحلة استكشاف النص[77]، واعتقد بأن مقصدية الحكي في نص "حكاية العشاق" ظاهرة من العنوان والتأصيل

لهذه الظاهرة هو هدف الكاتب، إذ كان بإمكانه أن ينقل لنا هذا عن طريق الرواية الشفاهية لكنه عمد إلى تدوين هذه الأحداث بلغة تتداخل فيها حقب زمانية، وأجناس أدبية فعلى الورق فقط، يمكن أن تحقق كل الأحلام والرغبات fantasmes ليفتح للروائي كما للقارئ فضاء من الحرية[78]، ومن هنا تظهر قيمة الكتابة آنئذ وأنها ضرورة تاريخية للتأسيس لهذا الفن، وأبعاده عما تعارف عليه من ولع بالشفاهي ومحاولة دمج الشعر مع المروي في النص الحكي، والنص الديني في خطاب موحد يجمع هذه الثقافة التي كرسها المجتمع الجزائري وأن تكون هذه التجربة ممكن غير مستحيلة بفضل اللغة فاللغة وحدها هي التي يمكن أن تجعل المختلف مؤتلفا والمستحيل ممكن التحقق فكان نص حكاية العشاق بحق نص يؤسس تجربة رائدة في فن الكتابة الروائية .

[1] - أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1979 ص:45 .

[2] - نيرس دي: كتاب الأحلام تفسيرها ودلالاتها .. كيف تفهم، تعريب وتعليق وإضافة الدكتورمحمد منير مرسي، الناشر، عالم الكتب،2004م،ص: 114.

[3] - العنوان الذي تُرجم به الكتاب إلى الفرنسية، *John Weir Perry* :Le voyage symbolique - un regard nouveau sur les hallucinations et les délires des schizophrènes édition Aubier mon Tougne paris 1976

[4] - ينظر: جورج طرابيشي: الروائي وبطله، مقاربة اللاشعور في الرواية العربية، دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى، 1995 ص: 200.

[5] - المرجع نفسه، ص: 200.

[6] - أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقاربة ص: 63.

[7] - نبيلة إبراهيم سالم: البطولة في القصص الشعبي، التراث الشعبي، عرض طلال سالم الحديثي: ، وزارة الثقافة الإعلام، دار الحافظ، ع 9، السنة العاشرة 1979، ص: 224.

[8] - المرجع نفسه ص: 224.

[9] -ينظركتاب سير جيمس جورج فرايزر: الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ترجمة محمد زياد كبة، مراجعة سعيد البازعي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط، 1، 1432هـ، 2011م.

[10] - نبيلة إبراهيم سالم: البطولة في القصص الشعبي، التراث الشعبي عرض، طلال سالم الحديثي ، ص: 122.

[11] - المرجع نفسه ص: 122.

[12] - المرجع نفسه ص: 122.

[13] - محمد مرزوقة، أثر التراث الشعبي في بناء الرواية الجزائرية رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة عين شمس القاهرة مصر 1989، ص: 34. نقلا عن سعيد سلام: التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010 ص:32.

[14] - عمر بن قينة: الريف والثورة في الرواية الجزائرية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1988 ص: 11.

[15] - نبيلة إبراهيم سالم: البطولة في القصص الشعبي، التراث الشعبي عرض، طلال سالم الحديثي ، ص: 221.

[16] - بول ريكور : في التفسير محاولة في فرويد، ترجمة وجيه أسعد، أطلس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ط01، 2003م، ص: 451.

[17] - ديلته: في نشوء علم التفسير في الأعمال الكاملة المجلد 7، ص: 319، نقلا عن بول ريكور في التفسير محاولة في فرويد، ص: 452.

[18] -ديلته: في نشوء علم التفسير في الأعمال الكاملة المجلد 7، ص: 319، نقلا عن بول ريكور في التفسير محاولة في فرويد،ص: 452.

[19]- مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع في الشعر خاصة، دار المعارف، ط4، ص: 326 .

[20]- عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة القاهرة الطبعة 4، ص: 199.

[21]- نبيلة إبراهيم سالم: البطولة في القصص الشعبي، التراث الشعبي عرض، طلال سالم الحديثي ، ص: 225.

[22]- المرجع نفسه، ص: 225.

[23]- عبد الله أبو هيف: النقد العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات اتحاد الكتاب، العرب 2000م، ص:68.

[24]- أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ص: 150.

[25]- أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة: 186.

[26]- أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ص: 177.

[27]- المرجع نفسه، ص: 177.

[28]- المرجع نفسه، ص: 178.

[29]- المرجع نفسه، ص: 178.

[30]- بوعلي ياسين :حكايات شهرزاد : الواقعية والغرائبية، والوظيفة الاجتماعية، مجلة دراسات عربية، العدد :5، السنة: 17 آذار مارس 1981، ص: 81.

[31]- بوعلي ياسين :حكايات شهرزاد : الواقعية والغرائبية، والوظيفة الاجتماعية، مجلة دراسات عربية، العدد :5، السنة: 17 آذار مارس 1981، ص: 69.

[32]- جورج طرابيشي: الروائي وبطله، مقاربة اللاشعور في الرواية العربية، ص: 205.

[33]- ارنست كاسيرر، فلسفة الأشكال الرمزية، ص: 109، مذكور في هامبورغ، الرمز والواقع، بجهوق 1956 ص: 59، نقلا عن: بول ريكور: في التفسير محاولة في فرويد، ص: .19

[34]- ميشيل روز الدوولويز لا معير المرأة الثقافة، المجتمع ترجمة، هيفاء هاشم، وزارة الثقافة، دمشق 1976 ص: 109، 139، نقلا عن: بد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشعبي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 108.

[35]- تركي علي الربيعون، العنف والمقدس في الميثولوجيا الإسلامية المركز الثقافي الغربي بيروت، 1994، ص: 146، نقلا عن: عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشعبي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية، الأداء، الشكل الدلالة، ص: 108.

[36]- عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشعبي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية، الأداء، الشكل الدلالة، ص: ص: 152

[37]- غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية، دار الشروق،الطبعة الاولى، 1991، ص: 111.

[38]-بريمسلمحمادي،أثرالتراثالشعبيفيالروايةالعراقيةالحديثةالمؤسسةالعربيةللدراساتوالنشروالتوزيع،بيروتلبنان، 1980،ص: 12. نقلا عن عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص: 149.

[39]- المرجعنفسه، ص: 149

[40]- بول ريكور : في التفسير محاولة في فرويد، ص: 419.

[41]- المرجع نفسه، ص: 42.

[42]- بول ريكور : في التفسير محاولة في فرويد،، ص: 18.

[43]- المرجع نفسه، ص: 413.

[44]- بري مسلم حمادي، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1980، ص: 12.نقلا عنسعيد سلام: التناص: التراثي الرواية الجزائرية نموذجا، عالم الكتب الحديثة، اربد، الأردن، 2010، ص:29.

[45]- بشير بوجرة: الرواية الجزائرية بين التأسيس أو التأصيل مقاربة ابستمولوجية، لخطاب حكاية العشاق، دراسات جزائرية، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة وهران، العدد 01، جوان 1997، ص: 142.

[46]- بن إبراهيم محمد، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط02، 1983م.

[47]- رشيد بن يمينة، بواكير الرواية الجزائرية-دراسة تحليلية لبنية السرد في خطاب "حكاية العشاق"، دار تفتيلت، 2013م، ص: 35.

[48]- زهور كرم، حكاية العشاق الجزائرية، ذاكرة الرواية وسيرة العشق الأدب المغاربي اليوم- قراءات مغربية مجموعة من الباحثين، منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2006م، ص: 155.

[49]- ينظر: شرشار عبد القادر، بواكير الرواية العربية في التراث المغاربي، مقاربة حول الإرهاصات الأولى للكتابة السردية في الجزائر، دراسات جزائرية، جامعة وهران، مجلة دراسات جزائرية، العدد 02، مارس 2005م، ص: 66.

[50]- بو علي ياسين : صورة المرأة في حكايات شهرزاد، مجلة دراسات عربية، العدد 7، السنة : 18، أيارمايو،1982م، بيروت، لبنان، ص: 78.

[51]- عمر بن قينة، الريف والثورة في الرواية الجزائرية، ص:: 10.

[52]- محمد بن إبراهيم، "حكاية العشاق في الحب والاشتياق"، تحقيق: الدكتور أبو القاسم سعد الله، ط02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

[53]- عبد الملك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، دار مكتبة الشركة الجزائرية، ط01، 1968م، ص: 19. نقلا عنحبيب مونسي، فعل القراءة –النشأة والتحول، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة، عبر أعمال عبد الملك مرتاض منشورات، دار الغرب 2001، /2002، ص:81.

[54]- ينظر: حبيب مونسي، فعل القراءة –النشأة والتحول، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة، ص: 81.

[55]- ينظر: شرشار عبد القادر، بواكير الرواية العربية في التراث المغاربي، ص: 118.

[56]- حبيب مونسي: فعل القراءة النشأة والتحول، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص:10

[57]- محمد بشير بويجرة: الرواية الجزائرية بين التأسيس والتأصيل، مقاربة ابستمولوجية لخطاب حكاية العشاق في الحبوالاشتياق، مجلة دراسات .جزائرية، منشورات مخبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، العدد.01 . ص: 139

[58]- ميخائيل باختين الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1987، ص: 28- نقلا عن بشير بويجرة محمد: الرواية الجزائرية بين التأسيس أو التأصيل مقاربة ابستمولوجية، لخطاب حكاية العشاق، ص: 140،139

[59]- فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن 2010، ص: 19

[60]- يمني العيد، فن الرواية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الأدب بيروت، الطبعة الأولى 1998، ص: 33 نقلا عن بشير بويجرة محمد: الرواية الجزائرية بين التأسيس أو التأصيل مقاربة ابستمولوجية، لخطاب حكاية العشاق ص: 19.

[61]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، 1500، 1830 عالم المعرفة، الجزائر طبعة خاصة 2011، ص:195 .

[62]- عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ من العصر القديمة وحتى سنة 1954، شركة دار الأمة الجزائر 2012، ص: 425.

[63] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول، ص: 194.

[64] - رشيد بن يمينة : بواكير الرواية الجزائرية، دراسة تحليلية لبنية السرد في خطاب، حكاية العشاق، ص:74.

[65] - ينظر: سعيد سلام: التناص: التراثي في الرواية الجزائرية نموذجا،إربد (الأردن) : عالمالكتبالحديث، 2010 ص: 29، و أيضا: عبد الحميد بورايو: منطق السرد دراسات القصة الجزائرية الحديثة ديوان المطبوعات 1994، ص: 101

[66] - حسين علام: العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط، 1، 2009 ص: 43.

[67] -سعيد جبار، الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء ط1، 2004، ص:95. نقلا عن: عبد القادر عميش، شعرية الخطاب السردي الخبر-سردية الخبر- 2012، ص: 22.

[68] - فردينانديرونتير: تطور الأجناس في تاريخ الأدب. نقلا عن : أحمد اليبوري: دينامية النص: الروائي منشورات اتحاد كتاب المغرب، الطبعة الأولى 1993، ص: 13.

[69] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 2.

[70] - Roland Barth, l'aventure sémiologique, Paris, Edition du seuil, 1985, p 167 محمد بوعزة، هيرمنيوطيقا المحكي-النسق والكاوس في الرواية العربية، الانتشار العربي، ط01، 2007، بيروت- لبنان، ص: 39.

[71] - المرجع السابق، ص: 134

[72] - المرجع السابق، ص: 22.

[73] - ينظر: حسين علام : العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، ص: 42 .

[74] - نقلا عن:محمد بوعزة، هيرمينوطيقا المحكي، النسق الكاوس في الرواية العربية ،ص:40.

[75] - رشيد بن يمينة، بواكير الرواية الجزائرية، ص: 134.

[76] - ينظر: عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جنيت من النص: إلى المناص: ص: 89. نقلا عن حسينة فلاح الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي منشورات تحليل الخطاب الأمل، 2012، ص: 67.

[77] - ينظر: عبد المالك أشهبون: العنوان في الرواية العربية، محاكاة للنشر والتوزيع سوريا، الطبعة الأولى 2011، ص: 15،14

[78] - نقلا عن آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف،دارا لأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006 ص: 31.

تراسل الشّعريّ والصوفيّ
في التجربة الشعرية المعاصرة

Poetic and mystical correspondence
In the contemporary poetic experience

أ.د. أحمد بوزيان، جامعة بن خلدون تيارت (الجزائر)

البريد الالكتروني: bouziane14000@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2021-09-20	2021-06-25	2021-05-24

ملخص الدراسة:

تتغيّر هذه المقاربة البحث في الجذور العميقة بين الشعر والتصوف،حيث يتقاطع كل منها خلف المدركات الحسّية ويتضافر فيهما المعنى العميق خلف الرؤية الظاهرية، إلى الرؤيا حيث تضيق العبارة، ليبقى كلّ منهما على درجة من التداخل يؤطّره الإشكال المعرفي والجمالي والكتابي، الذي يلامس تخوم حقول كتابية تتلاقى عندها أجناس كتابية تعيد تعريفنا من جديد بما لم نكن نعرف، أو تُعيد تعريف بما كنّا نعرف. ولذا سعي كلّ منهما إلى رفض مقياس العقل، إذ لا يمكن أن يقاس الثابت بالمتحول.

الكلمات المفتاحية: الشعر، التصوف، التراسل الشعري، التجربة المعاصرة.

Abstract:

This approach changes the search for the deep roots between poetry and mysticism, where each of them intersects behind sensory perceptions, and the deep meaning behind the apparent vision, to the vision where the phrase narrows, so that each of them remains on a degree of overlap framed by the cognitive, aesthetic and written problem, which touches At the edges of Biblical fields where Biblical genres converge, redefining us anew what we did not know, or redefining what we knew. Therefore, both of them sought to reject the standard of reason, as the constant cannot be measured by the variable.

key words: Poetry, mysticism, poetry, contemporary experience.

سيظل الشعر متأبيا عن التعريف، مهما يُقال في شأنه من محاولات تتغيّا تحديده، وهذا الشأن هو حال التصوّف، الذي كلّما اجتهد المحاولون في حدّه وتقييده بتعريف، إلا أنه ظل ينعتق من تلك التحديدات التي تبتغي محاصرته. لأنّ كلاّ من الشعر والتصوّف حالة من الكشف تظلّ أبدا في حاجة إلى كشف لا ينتهي، ومن هنا "يمكن أن نفهم من هذا المنطلق سرّ العلاقة بين الشعر والتصوّف، وهو ما يتبدّى هنا في مفهوم الكشف، من حيث هو حركة متجددة وفاعلية تُثبت ذاتها في تجاوز مدركاتها"([1]). وهو ما يجعل هاته الصلة تتأكد على أكثر من صعيد.

يتقاطع كل من الشعر والتصوّف خلف المدركات الحسّية، ويتضافر فيهما المعنى العميق خلف الرؤية الظاهرية، إلى الرؤيا حيث تضيق العبارة، وحيث تتزامل المتناقضات، وتتضايف المتضادات، في برزخ تتماهى فيه الأشياء، وتتآخى على نحو من التداخل في مفاعلة من التوتّر، تتأبى عن فهم العقل والمعقول، ليبقى الشعريّ والصوفيّ على درجة من التداخل يؤطّره الإشكال المعرفي والجمالي والكتابي، الذي يلامس تخوم حقول كتابية تتلاقى عندها أجناس كتابية، تعيد تعريفنا من جديد بما لم نكن نعرف، أو تُعيد تعريف بما كنّا نعرف.

يمارس كل من الشاعر والصوفيّ خروقات هائلة في بِنية اللغة ليُقدّم كلّ منهما شكلا من الكتابة في لغة صارمة خارقة، لتضع المتلقي في دائرة الاستنفار والاستفزاز ، وتُعيد العلاقة التراتبية بين الدال والمدلول، بل تظل هذه العلاقة متوترة غير قارة. لتخرج من مدار الألفة إلى مدار الاختلاف، من حقل التدجين إلى حقل التوتر، ومن الهامش إلى المركز، من خطاب الواحد إلى خطاب المتعدد، وبذلك تتناسل الدلالات، وتتوالى القراءات والتأويلات.

فالشّعر والتّصوف يختلفان من حيث الوسيلة، و الغاية، و الوظيفة عن الفلسفة، كونها نتاجًا عقليا صرفا، حيث ينتفي- فيها- مبدأ التناقض، في حين إن الشعر والتصوف، يلغيان منطق العقل. لأن المعرفة التي يتوصل إليها كل من الصوفي والشاعر، يتزامل فيها الشيء ونقيضه، وتتصالح فيها الأضداد، فتبدو الأشياء على غير ما هي عليه.

فالإدراك الحسّي بأدواته يخدع الإنسان، ويوصله إلى معرفة مشوهة، إن لم نقل معرفة كاذبة من حيث هي معرفة ظاهرية، لا تنفذ إلى الجوهري في الأشياء لا تتجاوز ما كائن بالفعل، لتبقى عند حدود الشكل. ولذا رفض المتصوفة على اختلاف ثقافتهم الإدراك الحسّي، واختاروا بدله "الحدس العقلي أي: معرفة تركيبية، شاملة، ومباشرة وملموسة، أي: رؤيا قلبية"[(2)]، حتى وإن أرسل المتصوفة لفظ العقل على وسيلة الادراك ،فإنما يراد منه القلب أو الحاسة السادسة. فهذا "الحسّ السادس يُعبر عنه إما بالعقل أو النور، أو القلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وهيهات. فالبصيرة الباطنية أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدْرَكة بالعقل أعظم من جمال الصورة الظاهرة للأبصار"[(3)].

فالقلب عند الصوفية هو عرش الرحمان. فالدنيا لا تَسَعُ الله تعالى، ولكن يسعه قلب المؤمن. ومن ثمة أجمع الصوفية على إلغاء العقل كمنهج موصل إلى الحقائق النورانية. فحتى وإن أُرسل لفظ العقل عند الصوفية فلا يُقصد به العقل المنطقي الاستدلالي، بل يراد منه القلب. يقول الغزالي في تبيين ذلك "ولِنُسَمِّ تلك الغَريزة عقلا، بشرط ألا يفهم منه لفظ العقل ما يدرك به عن طريق المجادلة، والمناظرة، فقد اشتهر اسم العقل بهذا. ولهذا ذمّهُ بعض الصوفية "[(4)].

لقد صرّح المتصوفة "في مناسبات كثيرة بعدم جدوى العقل في قطع الطريق إلى الله. ومن هنا كان التصوف عاطفة وكانت المذاهب الصوفية من باب الإحساس لا من باب التفكير"[5] فالمعارف الإلهية، لا تحصل بالجهد العقلي . مهما تكن حدة ذكاء العارف . لأن القلب، عند الصوفية "محل الكشف، والإلهام، وأداة المعرفة، والمرآة التي تتجلى على صفحاتها معاني الغيب"[6]، وفيه حواس داخلية تُدرك ما لا يمكن للعقل إدراكه ولهذا "قيل القلب يسمع ويرى، ويتذوق ويخفق، وإن له حاسة شم"[7].

فالمعارف الروحانية لا يمكن للعقل المنطقي أن يسلّم بها. ذلك أن جدلية الحضور والغياب قائمة بين ما هو عقلي وما هو قلبي، فكلما حضر القلب برؤاه، غاب العقل بمنطقه، ولا يمكن لهما أن يكونا في لحظة واحدة فالعارف "يتخذ من المحسوس سبيلا إلى اللامحسوس. أو قل انه يضايف بين المرئي والمجرد في صرامته وخلوه من الأشكال والمجسم وتلبسه بالصور والمظاهر، والمحدود والمتناهي واللامحدود واللامتناهي، والداثر الفاني، والأبدي الباقي في وحدة تركيبية تنتظم الأضداد"[8].

هذه المتناقضات لا يمكن للعقل أن يدركها، أو يعاينها في اللحظة الواحدة ،حيث يظهر الشيء ونقيضه، ولهذا كان اعتماد الصوفية على الرؤيا، ولغة الحلم كونها "اللغة الفطرية للطبيعة، وهي لغة الإنسان الفطري في عصره الأول الذهبي"[9] إذ فيها تتزامل الأضداد والمتناقضات، وبدونها لا يمكن فَهْم المتصوفة، ويتجلى ذلك في قصة "منطق الطير" في المحاورة التي دارت بين الهدهد باعتباره عارفا، والطيور رمز المريدين السَائرين في الطريق، للوصول إلى "السِيمرغ" رمز الذات الإلهية. يقول الهدهد بلغة الحال: "لا طريق إليه، ولو كثر المشتاقون من الخلق إليه، وإذا كان وصفه بعيدًا عن فعل الروح الظاهرة لنفسها، فليس للعقل قدرة على إدراكه فلا جرم أن يحار العقل"[10].

إن الطريق إلى الذات الإلهية لا سَبيل إلى السير في مدارجها، إلاّ على هدى نور القلب، ووَهج إشراقته. ولهذا يعتمد الصوفي على فلسفة عرفانية للحصول على المعارف الذوقية المتأبية على صرامة المنطق، كونه تغييبا للحقيقة المستترة وراء الشكل والظاهر، في حين أن لحظة الانخطاف، والنشوة (الذوقية) لا تكون إلاّ في عالم القلب. ورفض منطق العقل كونه عاطلا ومُعطلا عن الإدراك. ففي الوجود والقلب من الحقائق الروحية ما لا يمكن أن يُعرف عقليا، وإنما يكون ذلك عن طريق التماهي مع القلب و تفاني صاحب (الحال) في المطلق فيصير هو من حيث يتكلم باسمه أو باسم الذات الإلهية و لذا قال الحلاج "أنا الحق"، و لا يكون ذلك إلاّ عن طريق الذوق القلبي.

فالوجود الإنساني "ممتلئ بأسرار ورموز وعلى العقل الإنساني أن يسعى لاكتشافها وحلّها. غير أن العقل يعجز . بسبب قصوره . عن حلّ رموز الكون"[11] من حيث أن الصّور الظاهرية تتبطن فيها صور أخرى لا مرئية، تظل مغمورة لا تدرك إلاّ بالبصيرة "عين القلب" أو الرؤيا. فالإدراك حَيرة وتشوّق إلى الجوهر "في حين لا يعترف العقل بأن الحَيرة معرفة"[12] فالشك . إذن . طريق اليقين، فكلما كانت هناك حيرة كان هناك أمل في امتلاك المعرفة سلبا أو إيجابا. فالحيرة والقلق دليل وجود الإنسان كونه منطلقًا دومًا إلى ما لا ينتهي (المطلق)، وصولا إلى رحم الأشياء ومعاينتها ولا يتأتى ذلك إلاّ بتجاوز حدود العقل، بحكم أن العقلانية "الخالصة تنحط بالحكم إلى مستوى تجريدي جامد لا حياة فيه والتفكير التكنوقراطي يحّول الإنسان إلى مجرد آلة "[13] تلتقط مكتفية بالظاهر، والتفاعل الحسّي الشكلي.

فالحكمة . كونها تتجاوز الظاهري . عند الصوفي . تنبع من القلب في حالة الصفاء الروحي، والتجرد المادي، تتجاوز الراهن، الراكد، إلى المطلق وتتخطى الشكل إلى الماهية، أي رَوْحَنة الوجود بالكشف باعتباره عند المتصوفة " علم القلب الصادق، وحدسه الصائب، ويقظة الذات الأمينة وشهادتها العادلة . وبهذا بحكاية القلب للواقع. حكاية المرآة للوجه . كانت الذات هي الواقع وكان الواقع هو الذات"[14] في حالة الفناء وتماهي الذات في الوجود وغياب الثنائية والانفصال : الذات . الواقع.

لقد أجمع المتصوفة . على اختلاف أجناسهم، ومذاهبهم . على قصور العقل، لأنه يمثل قراءة حسية ظاهرية شكلية للوجود في حين أن إلغاؤه يعكس قراءة متفجرة، متجددة، فهناك قراءتان إذن:

-1) **قراءة العقل (الرؤية)** ⟵ تحصيل حاصل، أي: قراءة ما هو موجود بالفعل .

-2) **قراءة القلب (الرؤيا)** ⟵ تأويل ما هو حاصل، أي: قراءة ما يجب أن يكون.

فما هو رؤيوي مفارق و مناقض . بالضرورة . لما هو عقلي. إذ الرؤيا " تكشف عن علاقات بين الأشياء تبدو للعقل أنها متناقضة، ولا يربط فيما بينها شكل من أشكال التقارب، وهكذا تبدو الرؤيا في منظار العقل، متضاربة وغير منطقية، وربما بَدَتْ نوعًا من الجنون "[15] ولهذا رُمِي بعض المتصوفة بالمروق عن الدين والزندقة والكفر. لأن قراءة القلب بالعقل قراءة مفارقة لطبيعة الرؤيا ،مما يكشف عجز اللغة الموضوعية عن ترجمة الواقع اللامدرك. ومن هنا "يرفض الرائي[*] عالم المنطق والعقل فالرؤيا لا تجيئ وفقًا لمقولة السبب والنتيجة وإنما تجيئ بلا سبب، في شكل خاطف مفاجئ أو تجيئ إشراقا"[16].

فالصوفي حينما يرد عليه الوارد يكون في حالة من الانتشاء والانخطاف، فيكون وعاءً لتلقي الخواطر والمعاني واللطائف، فيشعر كأنما تمُلى عليه المعارف إملاءً، حيث يتحول إلى وسيط وتشل إرادته في غياب العقل، فتصدر عنه كلمات غير متجانسة، بينها فجوات، تخترق نظام المعرفة المعهود والعرف السائد.

وبناء على هذا فأغلب المتصوفة كتبوا كتاباتهم تحت تأثير الإلهام، لا وفق منطق العقل[17]، فالمعرفة التي يتوصل إليها الصوفي معرفة لدنية لا تحصل بالفكر و إعماله بل بالكشف والمشاهدة"[18].

هذه المشاهدة لا يمكن مَنْطقَتها[**]، ولا يمكن. عقلنتها لأنها خارجة عن هذه الحدود. كونها تجربة داخلية. تحدث في شكل خاطف، حالة ما يضيق الوعي، فيكون الانخطاف وتُشَلّ إرادة الصوفي، وتتماهى الموجودات، وتمّحى الفوارق بين الظاهر والباطن والجوهري العرضي، فغياب العقل حضور للكشف الرؤياوي، على اعتبار أنه "لائح يرد من الجانب الأقدس وينطفئ سَريعا"[19].

لقد أجمع رجالات التصوف على هذه الحقائق و لا يمكن نكرانها بأية حال من الأحوال من عدة أوجه:

-1) لا يمكن لهؤلاء أن يتواطؤوا على الكذب، وهم رجال تقوى وصلاح.

-2) لقد وافقهم فيما ذهبوا إليه كبار الدارسين، والباحثين والمبدعين والفنانين.

-3) إن عدم معاينة الظاهرة لا يعني عدم و جودها في الواقع.

ومن ثمة لقد أجمع المتصوفة على اختلاف مشاربهم وتباين عقائدهم، على أن العقل قاصر عَنْ إدراك الحقائق الذوقية فتبنّوا فلسفة عرفانية، وتشربوا الأسرار الغنوصية التي يتعطل فيها الإدراك الخارجي القائم على الحسّ وأدواته، وبذلك فالمتصوفة أول من طرح معادلة العقل والقلب.

إن الشّعر العربي المعاصر. من حيث هو تجربة داخلية . في علاقته، وتعامله مع ثنائية العقل والقلب. يتماس مع الصوفي، في هذه الثنائية نفيًا أو إثباتا. ولهذا كان الشعر –بمفهومه الواسع- سواء أكان موزونا أم منثورا أقرب نمط تعبيري للمتصوف، وهو ما يبرر التلازم بين التصوف والشعر، مما أثار انتباه الباحثين قديما وحديثا، من لسان "الدين بن الخطيب" إلى "كولن ولسن" إلى "أمين الريحاني" إلى "جبران خليل جبران" إلى "زكي نجيب محمود"، على سبيل الشاهد والتمثيل لا على سبيل الحصر. وهو ما تواطأت عليه مشارب مختلفة وثقافات متباينة، في أزمنة متفارقة، وأمكنة متباعدة. مما يؤكد صحة هذا التلازم، أن قرائن تكاد تكون جازمة في أن الصوفي يقدم أحواله وأذواقه في نص شعري- شعرا كان أم نثرا- تتفجر شعريته، وإنه لا يمكنه أن يكتب- إن كتب- بلغة غير شعرية، بل إن معارفه لا تنكتب، بل تتأبى عن الكتابة ما لم يقدمها في لغة شعرية.

هذا التعامل توَلّدَ عن تأثر الفكر العربي، بالاتجاه الأوروبي . في بداية النهضة . الذي تطرف في عقلانية . إلى حدّ المغالاة . ورفض كل بعد روحاني، أو تطلع ميتافيزيقي فكان التطرف العقلاني الأوروبي نتيجة ظروف وإحباطات كرستها الكنيسة، واستغلالها الدّين للمتاجرة، والمنفعة المادية، فكانت الرّدة العقلانية، واللائكية، في رفْض الدين كحتمية ونتيجة طبيعية لردة فعل هي الاخرى متطرفة. فبدا للعقلانيين "في فترة ما أن العقل قادر على حلّ هذه المشاكل"[(20)] المطروحة على الإنسان وعلى العصر بإلحاح.

لقد سَوّغت المقولة الديكارتية (أنا أفكر إذن أنا موجود). لأصحاب العقل، والماديين مهاجمة الدين وكل ما هو روحي في الإنسان. والقضاء . دون هوادة . على الإنسان في بعده الباطني.

وبعد الحرب العالمية الثانية سرعان ما ظهرت آثار العقل، ونتائجه على العالم كله في حضارة العقل شوّهت الإنسان وقزَّمته من حيث أرادت إسعاده، وحولته إلى مجرد آلة خالية من كل المعاني الروحية أو الدفق الشعوري. وكنتيجة لذلك نشأت فلسفة ترفض العقل وحضارته وتبحث عن الخلاص في اللاعقل كونه طريق اليقين. وأصبح التشاؤم سيّد الموقف، وسَادت الرؤيا السوداوية والعبثية المجتمع الأوروبي، مما دفع مثقفيه إلى اللامعقول في الأدب والفلسفة، والبحث عن بدائل أخرى، فضاؤها الذات، والتصوف، والميتافيزيقية.

هذه التجارب الأوروبية ليست بعيدة عن عالمنا العربي،لا يمكن إقصاؤها و نفيها بوصْفِها تجارب أجنبية لا تمت بصلة إلى واقعنا الفكري و الديني. فلقد كان لها التأثير الكبير في تشكيل الفكر العربي "بوصفها تجارب إنسانية عامة،

لها ما يمثلها في بيئتنا وثقافتنا وذات أثر مباشر في عقول مفكرينا و شعرائنا"[21] لوجود همّ مشترك غداة تأثر المغلوب بالغالب.

ولم يكن الشعر بمنأى عن هذه التأثيرات،ذلك أن الشعراء المعاصرين . عَربًا كانوا أم أوروبيين . عانوا أزمات فكرية ووجودية، وروحية، فلم يجدوا خلاصا من هذا القلق المتفاقم إلاّ في التصوف ورموزه، كملجأ يتدثرون به "ويمكن القول بأن هذا الاتجاه الصوفي بمعناه الإنساني العام في التفكير الأوروبي فقد تأكد بصورة مباشرة بسبب النظرة التشاؤمية إلى الحضارة التي أحدثت في الإنسان تأكلا روحيا"[22].

لقد تأثر الشعر العربي بهذه الرؤيا عن طريق التفاعل الثقافي بين الشرق والغرب، ومن باب المغلوب مولع بتقليد الغالب من جهة ثانية، وما غذّى هذا الاتجاه في العالم العربي اصطدام الشاعر بالواقع المادي وتكسّر أحلامه، في ظل المدينة الحديثة ذات النمط الغربي وفي ظل حضارة براغماتية، لا تقول إلاّ بالربح المادي على حساب القيم الروحية. ودواوين الشعراء المعاصرين تطفح بالقرف المادي و ضياع الروح الإنسانية. فكان الهروب من العالم الوقائعي إلى الميتافيزيقي، حيث يمكن تحسّسّ " الأشياء إحساسا كثيفا، وفقا لجوهرها وصميمها اللذين لا يدركهما العقل والمنطق، بل الخيال والحلم"[23].

وفي ظل حضارة مادية لا تقول إلا بالعقل، وَجَد الشعراء العرب في انتصار القلب على العقل مجالا خصبا يتفق مع ما عُرفَ عن الشرق من روحانية يمكن أن يصارع بها مادية الغرب (...) و قد أقبلوا على التصوف يستمدون منه أفكاره ومصطلحاته، ويحاولون الوصول إلى حلّ ترضى عنه نفسهم في هذا الصراع بين العقل والقلب"[24].

لذلك كان الهروب من صرامة العقل، إلى رحابة القلب، نتيجة التأثر بالحضارة الغربية الوافدة التي تذمرتْ من نتاج العقل، وعلى هذا قامت الرومانسية في نشأتها، وانعتاقها من رقابة العقل كونها ردة فعل على للتطرف العقلاني. لقد كانت الكلاسيكية غارقة في تقديس كل ما هو عقلاني. والتي جعلت الأدب قوالب جاهزة، والغت مبدأ الفعالية بمقولتها الناشزة "ليس في الامكان ابدع مما كان" في حين إن الرومانسية دعوة إلى الانعتاق، برفضها النمطية، والنموذج المكرر والمستهلك . باعتبار أن الفرد كائن متفرد بذاتيته . من خلال دعوتها إلى الأنا الفردي وإلغاء الأنا الجماعي. والاستمداد من ينابيع القلب الرؤى في حالة العزلة والتوحّد.

في هذا الظرف الذي كان الشاعر الغربي (الأوروبي) يبحث عن بديل، متذمرًا من حضارة العقل. كان العالم العربي يعيش بؤسا، وشقاء على جميع الأصعدة لما أفرزته سلبيات الحضارة الغربية وانعكاساتها على المدينة، وانكسار الحلم الذي كان يحمله الإنسان العربي . على غرار الأوروبي . فكانت هذه الروافد الأوروبية قد زرعت خيبة الأمل، فراح الشعراء يبحثون عن عالم آخر مثالي ينأى عن الواقع، ليجدوا فيه الخلاص من خلال رفض العقل وصرامته، والارتماء في أحضان الخيال ورحابته والباطن وفضاءاته. وبذلك يمكن للشاعر أن يتوحد وَالوجود، بإلغاء الفوارق بينهما، ويصبح الشاعر هو والطبيعة واحدًا، من حيث هو هي، أو هي هو مثلما يتوحد الصوفي بالذات الإلهية. ولا يمكنه ذلك إلاّ إذا تجاوز نطاق العقل، وحدوده ومقولاته. وفي هذا الصدد يقول ألفريد دي موسيه " أول مسألة لي هي ألا أُلقي بالا إلى العقل "[25] كون القلب تتجلى فيه الحقيقة المطلقة.

وللرومانسيين وقفات طويلة من العقل، فهم أقرب إلى الصوفي في تأملاتهم، ومعايشتهم للحلم، والعزلة والتفرد، والنفور من الناس، والهروب من الواقع المادي الذي يسيطر فيه العقل، والتقاليد البالية. فالرومانسي . في إرتقائه الروحاني . يسعى إلى الكمال الإنساني والتجرد من أعْبَاء المادة، ومن ثمة فهو في صراع دائم بين ثنائية : العقل . القلب. الواقع والمثال، الروح والجسد، العهر والطُهر، الخير والشر، النور والظلام، صراع بين ما هو كائن بالفعل، وما يجب أن يكون. وبذلك فالرومانسية . بهذا المنظور . هي رؤيا صوفية أو هي "بمثابة نظرة جديدة للأفلاطونية حيث ألغت العقل وقدّست القلب"[26] يقول ألفريد دي موسيه مقدسًا القلب باعتباره مجلى الحقيقة :"إقرعْ باب القلب ففيه وحدَه العبقرية، وفيه الرحمة والعذاب"[27] فإذا كان الله يتجلى في قلب المؤمن . عند الصوفي . فإن الحياة بكل تناقضاتها عند الرومانسي . تتجلى في القلب "وحدَه" دون سواه باعتباره منبع الإشراق الروحي والإيحائي.

وهذا ما تجلى في كتابات الرومانسيين العرب أمثال فوزي معلوف ومطران خليل مطران وإليا أبي ماضي وغيرهم يقول جبران خليل جبران: "الإيمان واحة مخضلة الجوانب في صحراء القلب لا تبلغ إليها قوافل الفكر"[28] فالمعرفة التي يتوصل إليها الرومانسي لا يستوعبها منطق العقل من حيث هي معرفة حدسية، إذ " تُستَبدلُ بالعقل الذي يُحلل ويُمنطِقُ الحدسُ الذي يرى المستقبل مختوما كتفاحة الزمن المعتم. الحلم نفسه يتحقق. ويصبح كل شيء ممكنا"[29].

فالرومانسية ظهرت كردة فعل للمادية الغربية ،التي طغى فيها الجانب اللاإنساني، وألغت البعد الروحي في الإنسان، ولذا تمّ قَرْن "القلب بقوة الروح عند الرومانسيين ليقفوا ضد تيار المادية بعد الانقلاب الصناعي في أوروبا ... وانتشار المخترعات الحديثة القائمة على العلم. وهو وليد العقل والتجربة"[30].

على الرغم من أن الرومانسية كانت الملاذ الذي يلوذ به الشعراء الغربيين، وكذا الشعراء العرب من سيطرة الكلاسيكية على الإبداع بتقديسها العقل، فالرومانسية الغَربية التي شكلت الذات العربية في فترة من فتراتها الإبداعية، وجد فيها الشعراء العرب . ما يتناسب مع ما عُرف عنهم من حساسية . متنفسًا روحّيا. ومهما يكن من أمر الرومانسية فإنها لم تلب نَهَم الشعراء في تقصي المجهول، و إن ارتبطت بألوان من التصوف[31] في بحثها عن الجانب المظلم في الإنسان، وبالرّغم من أنها "أطلقت عنان النفس فقد بقى العقل يترصد في قاعها المظلم، و يمنع الخيال الرائي من الحلول فيها، والاتحاد بها"[32] فالرومانسية لم تكن إلاّ جسرًا نحو ما هو أعلى منها في إشباع نَهَم الذات وإلغاء العقل.

فالرومانسية على الرغم من اعتدادها بالحلم، إلاّ أنها لم تتخلص من العقل، إذ بقى يراقب الشاعر في كلّ حالاته، وبالتالي لجأ الشعراء إلى الرمزية، من حيث هي حركة أدبية سَعَتْ إلى تغيير المألوف، فهي غير "موقوفة على الرمز بشيء إلى شيء آخر. ولكنها . فوق هذا . استنباط ما وراء الحس من المحسوس، وإبراز المُضْمَر وتدوين اللوامع والبواده، بإهمال العالم المتناسق المتواضع عليه "[33].

وهكذا تستغني الرمزية عن العالم الظاهر للغوص في باطنيته، وإقامة هذا البديل عن طريق الرمز، من حيث هو المعادل الموضوعي للتجربة الباطنية. ومن ثمة فهو يتميز بالقوة والحيوية والإيماء، والإيحاء، والتعقيد. فيقوم بوظيفة

عضوية داخل العمل الأدبي، وإلاّ تحوّل إلى مجرد زخرف شكلي ناتئ يُتَوخَى منه الاستعراض الثقافي. فالرمز . إذن . يستعان به للتعبير عن حالات تعجز عنها اللغة التقريرية.

وترى الرمزية أن العالم (الظاهر) ما هو إلاّ تعبير مجسد لعالم مجرد أمثل، لم نصل إلى كنهه بعد، وهكذا صارت الرمزية أدبا يقارب الروحي ويتماس مع المثالي في الهروب من الواقع وصرامته، إلى المجهول وضبابيته. من الوضوح إلى الغموض، من الوعي إلى اللاوعي، من الظاهر إلى الباطن، من التقرير إلى الرمز، للكشف عن الحياة الداخلية، بالصور والأساطير. فالرمزية تجمع بين الفنية والروحية إلى درجة التصوف، لاغية بذلك صلة الدال بالمدلول. أي إفراغ، الدال من حمولته التواضعية وشحنه بدلالات وفق المنظور الباطني.

فعند تعطيل حواس العقل ينفتح باب الرؤيا، على مسرح الخيال لإدراك ما لا يدركه العقل. وهكذا صار الشعر نوعًا "من السحر لأنه يهدف إلى أن يُدْرِك ما لا يُدْركه العقل"[34] وبهذا يتجول الرائي "في أقاليم الغيب من أجل اتحاد بين الإنسان والوجود أعمق وأغنى"[35].

لقد وجد الشاعر المعاصر في تبني الرمزية فسحة يطل من خلالها على عالم أرحب، واستكناه فلسفة عرفانية، وهذا ما دفع أحد الباحثين إلى القول: "عن الحركة الرمزية ذاتها، هي في أساسها حركة صوفية، أنكرت العقل واعتمدت النشوة الصوفية مصدرا للإلهام، واستهدفت بناء عالم جديد معتقدة أن هذا العالم يكمن في باطن الإنسان"[36] لكن حتى الرمزية ذاتها لم تلب الجموح والتطرف اللاعقلي، ولم تشبع النهَم الميتافيزيقي فلجأ الشعراء إلى السوريالية كونها إنفلاتا من كل ما هو عقلاني، وتغييبا لكل مقولات المنطق، بإطلاق العنان اللاّوعي، سَبْرًا لأغوار الذات، والارتماء في أحضان الحلم والجنون، للكشف عن الجزء الغامض القاتم المفقود في الإنسان، بإعتبار أن الظاهر زائل، زائف. فالكتابة السوريالية تصدر عن حالة تغييب العقل و الوعي، فتظهر الكتابة بطابعها الغامض المتناقض، حيث يأتلف فيها مالا يأتلف، متجاوزة الظاهر، و نسفه الراكد، إلى الباطن، لقول مالا يمكن أن يقال، عن طريق تفتيت بنية الكلمة، و شحنها بالدهشة، ليمكنها أن تتلمس أعماق النفس في غموضها. إذ أن هناك مناطق خفية في الإنسان لا يصل إليها العقل.

لقد سَعَى السورياليون إلى قتل العقل، وإلغائه من العملية الشعرية، حتى لا يكون له سلطان على الذات الشاعرة، وأحلوا محله الحدس، للتسامي على الواقع والإبحار في "عالم التجريد وتفكيكه لإعادة بنائه لا وفق خطة مألوفة أو معروفة سابقا، وإنما طبقا لما يمليه الحدس الداخلي للفنان"[37] بحثا عن فضاءات أرحب ولا يتأتى ذلك إلاّ حين يُقْصَى العقل، وإطلاق العنان لمنطق الرؤيا، حيث تتلاقى فيها المتناقضات وبتقاطع فيها . حالة غياب العقل . الجنون والغموض، السحر والدهشة، الشعر والنبوءة، الباطن والميتافيزيقا، الواقع والحلم.

لقد ألحّ السورياليون على تغييب العقل تغييب من حيث هو حائل أمام بلوغ الحقيقة المطلقة. ولذا ارتبط أدبهم بظاهرة الغموض. ولم يكتفوا بهذا بل راحوا "يبحثون عن الوسائل المصطنعة التي تمكنهم من تحقيق هذه الرغبة فكانوا يبيحون لأنفسهم استخدام المخدرات للحد من رقابة العقل أثناء التجربة"[38].

حتى في القديم قدّس الشعراء الخمرة الحسية والمعنوية، فكانوا يسْتعينون "بأنواع من الأشربة الأسطورية المسكرة التي أسقطت عليها الشعوب القديمة طابعا قدْسيا، فكانوا يتعاطونها في مناسبات خاصة بوصفها من الشعائر المرتبطة بالعبادة"[39] وهكذا كان يفعل شعراء الجاهلية إستحثاثا لقرائحهم الشعرية واستحضارا لشياطين الشعر[40].

فالخمرة لم تكن إلاّ أداة خارجية يتمّ بواسطتها تعطيل حاسة العقل، والحدّ من صرامته، لإتاحة المجال الرحب للرؤيا، حيث يتلاشى التناسب العقلي بين الأشياء.

لكنّ إقصاء العقل عند الصوفية يتم "بالرياضة، فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا بإماتة جميع القُوى البدنية، ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس"[41] فالسكر الصوفي سكر روحي تتجلى من خلا له رؤى خَفِية لا تتجلى في حضور العقل.

إذا كان السورياليون يعتمدون في إلغاء العقل من الخارج بمادة تقتل العقل، و الجملة العصبية بما لا يتفق والعالم المبحوث عنه (عالم المطلق)، عن طريق التماهي مع المجهول، فإن الصوفيين يلغون العقل عن طريق أذكار، وأوراد، ورياضة روحية صارمة لا ينكرها الشرع، للسمو بالروح إلى مدارج أعلى، بحثا عن النشوة الروحية، ولذة الانفصال عن العالم (الظاهر) ولاتصال بالذات الإلهية فالغاية مرتبطة بالوسيلة، ومن ثمة كان "انبثاق السّكر الروحي من الداخل، إذ تتولد حالة الوجد في الأغوار البعيدة من النفس عندما تستخلص نشوتها وتعتصر انبساطها وبهجتها في شعورها العميق بالدهشة والحيرة في مشاهدتها الجمال الإلهي"[42].

إن غاية الصوفي بعيدة في مجالها وأرحب، تتجلى في مشاهدة الحضرة الإلهية بينما عند الشاعر غير ذلك، وإن كان الطريق واحدًا. فكل منها يسعى إلى القضاء على فكرة التضاد والصراع بين المتناقضات، والبحث عن عالم وراء العقل حيث تتزامل المتناقضات وتتماهى الأضداد وتتضايف المتنافرات.

وهكذا تتقاطع السوريالية مع الصوفية. حيث كان الشعر السوريالي "سعيًا لاهثا وراء العالم المجهول. عبر الخيال والحلم ،وسيطرة المبدأ السري على هذا الشعر وتاريخه من بذوره الأولى في العهد الرومانسي المبكر إلى اليوم ،إلاّ أنه لا يظهر دائما مثلما يكون مع التصوف، والإشراقي ولا نجده طاغيا سوى عند السورياليين"[43].

إن هناك . إذن . تقاربًا بين السوريالية كحركة أدبية فنية، والصوفية كمذهب إشراقي، وهذا ما دفع بأدونيس إلى الاعتراف بهذا التشابه، بل تعدى ذلك إلى إلغاء الفوارق بينها وسَمَّى الصوفية "السوريالية قبل السوريالية"[44] ذلك أن أدونيس عرف السوريالية كممارسة وواقع في بيئته المتفتحة على السرية، والعالم الخفي، المتمثلة في البيئة الشيعية ،إذ يرى جابر عصفور أنه "كي نفهم أدونيس، ومع استبعادنا لثقافته الغربية ينبغي أن نأخذ فكرة عن نظرته إلى العالم فهو محسوب على فرق الشيعة. ويؤمن هذا الفريق بالباطنية (...) والصلة وثيقة بين الباطنية والفكر الصوفي"[45] لقد عرف أدونيس السوريالية قبل أن يعرفها تنظيرا ومن ثمة تم اكتشاف" سريالية أخرى قبل السريالية الأوروبية المعاصرة، وهي الشعر الصوفي والفارسي (...) وقد درس أدونيس تاريخ ولغة التصوف الإسلامي عندما كان

طالبا"[46]. فهذا التقارب بين الصوفية والسوريالية لم يولد قَسْريا بل بعد استقرار التراث الصوفي وهذا ما دفع بأدونيس إلى الحكم أن السوريالية "موجودة بشكل طبيعي في التصوف الإسلامي"[47].

لكن الحركة السوريالية كتنظير لم تظهر إلاّ لاحقا "فما وصل إليه الغَربي السوريالي بالاكتشاف عرفه الصوفي وعايشه بالفطرة. هكذا يمكن للشاعر اليوم، أن يأخذ من الصوفية إرادة الكشف المستمرة، أي النضال ضد المنطقية والعقلانية"[48] وهكذا يربط أدونيس في غير ما مرة بإلحاح بين الصوفية والسوريالية. حتى توج ذلك التصور في كتابه (الصوفية و السوريالية)، وهو الذي وُلع بالتراث الصوفي بحكم الحداثة الشعرية التي دفعته إلى هذا الربط وبحكم بيئته الباطنية من جهة أخرى بحثا عن "عالم رحب لا يعرف أي نوع من القيود، أو الحدود، لا تخضع فيه الأشياء إلى منطق يؤلف فيما بينها وينظمها ،كما أنه لا توجد حدود زمانية أو مكانية تنظَم الأشياء وفقها"[49].

من ثمة يظهر أن العقل لا دور له في العملية الشعرية، و هذا ما دفع الشاعر العربي المعاصر إلى أن يلجأ إلى السوريالية كصوفية فنية، اكتشف فيها ما لم يجده في غيرها من فسحة الرؤيا والأحلام، باحثا عن مناخ ثرٍ، للتعبير عن نفسه، يحقق فيه جنونه، أو بعضا من حاجات الروح والانعتاق من راهن العصر.

وفي ضوء هذا الوعي يقرر أدونيس زعيم الحداثة الأكبر علاقة الشعر بالتصوف بل يذهب إلى أن "التصوف حدس شعري ومعظم نصوصه نصوص شعرية"[50] من أن حيث التصوف كما تمت الإشارة حضور للقلب، وتغييب للعقل. ومن ثمة وجد الشاعر المعاصر في الصوفية، منحاها الرؤياوي وإرادة الكشف، والانفلات من رقابة العقل الصارمة لاستشراف ما هو غيبي ومجهول، ولاستحضار الصور المتناقضة ذاتها، وهذا مالا يمكن عقليا. فما يبدو غامضا متناقضا، فهو عند الصوفي أو السوريالي انسجام غير مألوف.

إن هذا التقارب لا يعني أنه ليس هناك فوارق بينهما، أو في ذلك إيحاء إن السوريالية تولدة عن الصوفية، فليست المسألة . إذن . علاقة تأثر وتأثير، وإنما هما رؤيتان متولدتَان من حالة اعراض عن الوجود الظاهري للغوص في الباطن، والمطلق الغائر، ولإبحار في مناطقه لملغّمة، والتفاني عن الوجود الظاهري. وعليه يمكن القول إن السوريالية هي صوفية مجردة من بعدها الديني. والصوفية هي سوريالية متدينة، في تجاوز العقل، والإيغال في عالم الباطن، واعتماد لغة رمزية مكثفة، غامضة تنأى عن مدلولها الظاهري، لخلق عوالم لا مرئية لا تصل إليها اللغة المعيارية وفي ذلك يقول ابن عربي:

كلُ ما أذكره مِـمّـضا جَرَى — ذِكْره أو مثله أن تفهما

صـفـة قـدسـيـة عـلـويـة — أعْلَمَتْ أن لصديقي قَدَما

فأصرف الخاطر عن ظاهرها — وأطلب الباطن حتى تعّلما[51]

فالظاهر منته بإنهاء لغته المعيارية. أما الباطن فيتجدد عن طريق تقويض ما هو مؤسس بالفعل والتطلع إلى ما لا يرى، واستكشاف المجهول الغامض والذي لا يتشكل إلاّ بتجاوز مقولات العقل. إذن فبين الصوفية والسوريالية تقاطع لا يمكن نكرانه على الرّغم من اختلافها.

فيمكن أن نخلص إلى أن "هذه النزعة الصوفية الباطنية أصبحت من سمات الشعر العربي المعاصر [لأن الشاعر المعاصر] يريد أن يجعل من قصيدته تجربة باطنية كاملة، وهو يهز اللغة هزًا عنيفا في سبيل الوصول إلى مدلولات أبعد بكثير عن ظواهر الألفاظ"[52].

تأسيًسا على ذلك يعيش الصوفي اللغة، ليس من حيث تواضع واصطلاح، وإنما يعيشها معاناة، مغالبة وصراعا ومكابدة ما دام" المعنى" الصوفي ليس له وجود متعين وبذلك فان الخلق اللغوي عند الصوفي لا حد له، وسيظل مستمرا ولذلك" لم يزل مئات من المفكرين الجادين يوجهون الإخفاق في محاولة تعريف الجمال، ومن ثم ففي أي تحليل يهدف إلى" شرح" الجمال في الشعر، فإننا-إلى حد ما- نحاول شرح ما لا يمكن شرحه"

ومن ثمة أصبحت السوريالية . في رأي شعراء الحداثة . صوفية معاصرة، فما يصل إليه الصوفي بالوجد والفطرة عن طريق المعرفة الحدسية والذوق . بفعل إلغاء العقل . يصل إليه الشاعر السوريالي أو الرمزي أو الرومانسي بالخيال الشعري. لأن المعرفة التي يتوصلان إليها ليست استدلالية أو بحثية. ولذا أكّدَ كل منهما على إلغاء العقل وتخطي الراهن إلى الآفاق الباطنية، والتحرر من كلّ رقابة خارجية، والرفض القاطع للقوالب الجاهزة.

وعلى الرّغم من ذلك فهناك من الدارسين من راح يقسم الصوفية إلى صوفية سوريالية وأخرى وجودية وثالثة ثورية[*]وإن كان هذا التقسيم لا غبار عليه من الناحية التنظيرية أو النظرية، ولكن يمكن القول إن النزعة الصوفية قد تكون أقوى في مذهب منها في مذهب آخر، بل إن النزعة الصوفية نزعة روحية تنبثق من داخل الإنسان متى تهيأت لها مثيراتها، وتوفرت لها أسبابها، من حيث هي تجربة باطنية تمارس فعلها، وتختلف حدّتها حسب نفسية الإنسان وقابليته لها ولكن تبقى السوريالية أقرب المذاهب إلى الصوفية فمن " يختار السوريالية مذهبا ربما لم يجد بدًا من الانتهاء إلى التصوف في شكل من أشكاله"[53].

ومن هنا يمكن أن نقول إن الشعر العربي المعاصر انسلخ من واقعيته، ليرتمي في أحضان التصوف والميتافيزيقا، بحثا عن الذات في بدائيتها، وبراءتها الأولى، في صميم الباطن الذي لا يتشكل إلاّ في لغة الحلم. كون التجربة داخلية "في عالم ما وراء الحسّ، والتي تحاول أن تصل بالمشاعر إلى مالا يتسَنّى للعقل والحواس أن يصلا إليه"[54].

وما دامت هذه اللغة المنطقية العقلية قاصرة، فإن الشاعر لجأ إلى الرمز، الذي هو طريق إيحاء بواسطة اللغة، ذلك أن الشعر لا ينأى عن الموضوعية، والتقريرية والمباشرة، بل يعتمد على ما هو في باطن الإنسان. إذ يقترب من الحلم، والخيال، لاغيا بذلك العلاقات المنطقية الجامدة التي هي من لغة الرياضيات والعلم عمومًا.

ومما أذكى روح التصوف في الشعر العربي المعاصر أزمة الهوية التي عاناها الإنسان العربي عمومًا، والشاعر خصوصا، مما حدا به إلى البحث عن عالم آخر، غير واقعي أي تخطي الواقع، وتجاوز الظاهر. بل أصبح الشاعر

يلهث وراء التصوف. وأضْحت الشعرية العَربية ما هي إلاّ وجهًا آخر للشعرية الغَربية، في تصورها للشعر، والوجود والغيب، والتطرف الميتافيزيقي، والقلق، والاضطراب، والغربة، والاغتراب، إلى الضبابية، والفوضوية.

وعلى هذا أصبح الشعر رفضا للواقع، وتأسيسا بالرؤيا، ومعرفة حدسية لان الشاعر لحظتئذ "يسير تحت تأثير اللاوعي تواجهه قوة تُشلُّ معها إرادته وتفكيره. فهو غائب عن ذاته وعن وعيه بحيث تحرره من رقابة العقل ولم يعد للأشياء منطق ينظمها"[(55)] لأن المعرفة التي يستقي منها الصوفي أو الشاعر. في لحظة الإبداع ولحظة الإشراق . لم تكن أبدًا معرفة منطقية. فهي "غير نظرية بل مباشرة وقائمة على العاطفة الملتهبة في حالة تُغلب النفس على أمرها"[(56)] حيث تتجلى من الصور ما لا يحتمله العقل.

وبناء على هذا رفض الشعراء مقياس العقل، إذ لا يمكن أن يقاس الثابت بالمتحول، ومن ثمة تخطى الشاعر العقل، وتجاوز مقولاته . في حالة الإبداع . إلى الرؤيا التي تتصالح فيها الأضداد وتتزامل فيها المتناقضات، وعلى هذا صار الشعر المعاصر شعر رؤيا، بل صار كشفا سيظل يحتاج إلى كشف لا ينتهي أبدا .

الإحالات والهوامش:

([1]) - وفيق سليطين: الشعر والتصوف، الهيئة العامة، سوريا للكتاب- دمشق، سوريا، دط، دت، ص03.

([2]) روجيه غارودي : وعود الإسلام - تعريب مهدي زغيب – بيروت - الدار للطباعة والنشر - ط.1-1986.. ص 165 .

([3]) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . بيروت . دار المعرفة . د.ط . د.ت . ج.4 . ص : 297 .

([4]) المصدر نفسه . ص : 308 .

([5]) عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري – القاهرة - مكتبة لأنجلو المصرية - مطبعة الرسالة - د.ط - 1954.. ص : 19 .

([6]) محي الدين بن عربي : فصوص الحكم . علق عليه بو العلا عفيفي، بيروت - دار الكتاب العربي - ط.2 - 1980.. ج.2 . ص :4.

([7]) ماري مادلين داقي : معرفة الذات - ترجمة نسيم نصار – بيروت - منشورات دار عويدات - د.ط - د.ت-ص:53.

([8]) د. عاطف جودة نصر : الرمز الشعري عند الصوفية – بيروت - دار الأندلس - ط.3-1983، ص : 176،177.

([9]) د. محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية . بيروت . دار الثقافة . د.ط. 1973 . ص : 16.

([10]) د. بديع جمعة : دراسات في الأدب المقارن . بيروت . دار النهضة العربية . ط.2 . 1980 . ص : 21.

([11])محمد مصطفي هدارة : النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث . فصول – مجلة – مصر - ع.4 -م.1-1981.. ص: 110.

([12]) د. عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ص : 49 .

([13])رينيه دوبو: إنسانية الإنسان . نقد علمي للحضارة المادية - تعريب د. نبيل الصبحي الطويل – بيروت - مؤسسة الرسالة - ط.1- 1984.ص : 61 .

([14])محمد جواد مغنية : معالم الفلسفية الإسلامية، نظرات التصوف والكرامات- بيروت، مكتبة الهلال، ط.2- 1982،ص 263.

([15]) أدونيس: الثابت والمتحول، صدمة الحداثة، بيروت، دار العودة، ج .3، ط.4، د.ت، ص167.

(*) أي صاحب الرؤيا.

([16]) المرجع نفسه . ص : 167 .

([17]) أبو العلا عفيفي : مقدمة فصوص الحكم . جـ1 . ص : 10.

([18]) محي الدين بن عربي: ترجمان الأشواق و ذخائر الأعلاق . بيروت . دار بيروت للطباعة . د.ط . 1981 . الهامش- ص:104.

(**) من المنطق أي : جعلها قابلة للفهم و التحليل المنطقي.

([19]) عبد الكريم القاشاني : اصطلاحات الصوفية . تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر . مصر . مركز تحيق الذات . الهيئة المصرية العامة للكتاب . د.ط . 1981 . ص : 35 .

([20]) محمد مصطفى هدّارة : النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث . ص : 112 .

([21]) المرجع نفسه . ص : 112.

([22]) المرجع نفسه . ص : 112 .

([23]) أدونيس : زمن الشعر . بيروت . دار العودة . ط.2 . 1978 . ص 10 .

([24])محمد مصطفى هدّارة : النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث . ص : 108 .

([25]) نقلا عن : د. محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية . ص : 16.

([26]) د. علي عبد المعطي محمد:فلسفة الفن، رؤية جديدة،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،د.ط 1985،ص29 .

([27]) د. محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية .. ص : 16.

(28) جُبران خليل جبران : جبران خليل جبران : رمل و زبد . عربه الأرشمنديت أنطونيوس بشر-بيروت-دار الأندلس،د.ط-د.ت،ص:45.

([29]) أدونيس : مقدمة للشعر العربي . بيروت . دار العودة . ط.2 . 1979 . ص : 86.

([30]) د. محمد مصطفي هدارة : النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث . ص : 108.

([31]) ينظر: د. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية . ص : 153.

([32]) إيليا الحاوي: في النقد و الأدب . بيروت . دار الكتاب اللبناني ط.2 . 1986 . ج.5 . ص : 50.

([33]) نقلا عن: يوسف الشاروني : : اللامعقول في الأدب المعاصر - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر-دار الكتاب العربي - د.ط - 1969. ص : 24.

([34]) أدونيس : مقدمة للشعر العربي . ص : 126.

([35]) المرجع نفسه . ص : 139.

([36]) آمنة بلعلي : الرمز عند رواد الشعر العربي الحديث: السياب، عبد الصبور، خليل حاوي أدونيس - مخطوط رسالة ماجستير - جامعة الجزائر – 1988، 1989. ص : 07.

([37]) د. سليمان داود الواسطي : حول الحداثة و حوار الأشكال الشعرية الجديدة. مقال ضمن كتاب حول الشعر و متغيرات المرحلة . بغداد . وزارة الثقافة و الإعلام دار الشؤون الثقافية العامة . د.ط . 1986. ص : 50 .

([38]) د. علي عبد المعطي محمد : فلسفة الفن . ص : 112.

([39]) د. عاطف جودة نصر : الرمز الشعري عند الصوفية . مرجع سابق . ص : 352،353 .

([40])جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . بيروت . دار مكتبة الحياة . د.ط . 1983 . م.1 . ج.1. ص : 302،303.

([41]) عبد الرحمن بن خلدون المقدمة . كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – بيروت - دار الكتاب اللبناني، المكتبة المدرسية - د.ط-1981. ص : 190.

(42) د. عاطف جودة نصر : الرمز الشعري عند الصوفية . ص : 354.

(43) إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث - الجزائر - ديوان المطبوعات الجزائرية - د.ط - 1979.. ص : 21.

(44) نقلا عن : برند مانوئيل : فَايشر : الشرق في مرآة الغرب - الجزائر، تونس - ديوان المطبوعات الجامعية، دار سراس - د.ط - 1983.. ص 104.

(45) نقلا عن : د. عبد العزيز المقالح : الشعر بين الرؤيا والتشكيل – دمشق - دار طلاس - ط.2-1983 ص : 183.

(46)برند مانوئيل : فَايشر : الشرق في مرآة الغرب . ص : 104.

(47) أدونيس : فاتحة النهايات . بيروت . دار العودة . ط.1 . 1980 . ص : 267.

(48) نقلا برند مانوئيل : فَايشر : الشرق في مرآة الغرب- ص : 105.

(49) د. علي عبد المعطي محمد : فلسفة الفن . ص : 113.

(50) أدونيس : مقدمة للشعر العربي . ص : 130،131 .

(51) محي الدين بن عربي : ترجمان الأشواق و ذخائر الأعلاق . مرجع سابق . ص : 5.

(52) د. محمد مصطفى هدارة : النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث . مرجع سابق . ص : 121.

(52) - مارجورى بولتون: محاولة اقتراب من الشعر، مقال ضمن كتاب، اللغة الفنية، تعريب وتقديم د محمد حسن عبد الله- دار المعارف-مصر-د.ط-د.ت-ص:31.

(*) ينظر : د. عبد القادر فيدوح: الرؤيا و التأويل . مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية . الجزائر . دار الوصال، ديوان المطبوعات الجامعية . ط.1 . 1994 . ص : 55 و ما بعدها.

(53) د. إحسان عباس :: اتجاهات الشعر العربي المعاصر- سلسلة عالم المعرفة – الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب - د.ط - 1978. ص : 211.

(54) د. السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية – بيروت -دار النهضة العربية - ط.3-1984.. ص : 138.

(55) د. عبد الله ركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث- سلسلة الدراسات الكبرى - الجزائر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ديوان المطبوعات الجامعية - ط.1-1981.. ص : 253.

(56) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، او عصر النهضة . تعريب محمد عبد الهادي أبوريدة . بيروت . دار الكتاب العربي . د.ط . د.ت . ج.2 . ص : 20.

الخبرة القضائية والعلوم الاجتماعية: قراءة سوسيولوجية

مساهمة في محو الحدود بين العلم والقانون

Judicial experience and the social sciences: a sociological reading

Contribution to erasing the boundaries between science and law

نورالدين لشكر، مختبر دراسات في الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع

جامعة بن طفيل، القنيطرة، المغرب

البريد الالكتروني: Noureddine.lachgar@Gmail.com

تاريخ التلقي Submission date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ النشر Publication date
2021-05-15	2021-06-20	2021-09-20

ملخص الدراسة:

سيحاول هذا المقال أن يسير في اتجاهين من خلال تناول الخبرة القضائية عبر مطلبين أساسيين،مطلب يسعى إلى تحديد أهمية الانفتاح بين العلوم القانونية والعلوم الاجتماعية ومن بينها علم الاجتماع تحديدا، والنظر في درس الخبرة القضائية لتلك العلوم، مع ما تستلزم ضرورات الانفتاح من احتياطات منهجية. فالخبرة القضائية كحاجة ملحة، تقدم مساعدة بدون تفويض في السلطة تتسم بالدقة والوضوح والحياد والموضوعية. وأما المطلب الثاني لهذا المقال سينحو في اتجاه الكشف عن العلاقة بين الخبرة القضائية والقانون من خلال العلم ومساهمة هاته العلاقة التفاعلية في تحديث المؤسسات والمجتمعات. مما يعزز الفاعلية في تنسيب القوانين، فهذا الأخير لا يمكن أن يكون حديثا إلا بالقدر الذي ينفتح على العلم عبر الخبرة.

الكلمات المفتاحية: الخبرة،الخبير، المؤسسات.

Abstract:

This article will attempt to go in two directions by addressing the judicial experience through two basic demands, one that seeks to determine the importance of openness between the legal sciences and the social sciences, including sociology in particular, and to consider the study of the judicial experience of those sciences, with the necessities of openness necessitating methodological precautions, Judicial expertise, as an urgent need, provides assistance without delegation of authority that is accurate, clear, impartial and objective. As for the second requirement of this article, it will move towards revealing the relationship between judicial experience and the law through science and the contribution of this interactive relationship to the modernization of institutions and societies. Which enhances the effectiveness in the placement of laws, as the latter cannot be modern except to the extent that it opens up to science through experience.

Keywords: experience, expert, institutions.

تقديم:

تتموقع الخبرة كمفهوم بين المعرفة العلمية والتقنية[1]، ذلك أنها تمارس في مجلات متعددة، ومن أهمها مجال التقاضي بين المتخاصمين، وتتصدى لهانخبة اجتمعت فيها خصائص معينة، وحيث أن الحاجة إليها أضحت ملحة في المجتمعات الحديثة، فليس غريبا إذن أن يتم تحيين ومراجعة المادة القانونية المنظمة لتلك الفعالية باعتبارها مساهما أساسيا في ضبط العلاقات الإجتماعية عموما. فحيثما هناك نشاط إنساني فهناك إطار قانوني، وتبدو مهمة القانون ضبط "العلاقات العادلة التي يكتشفها العلم داخل النسيج الاجتماعي"[2]. على أن المراجعة والتحيين في الغالب تتم من قبل فقهاء ومشرعين، بيد أن هناك حاجة أخرى دفع إليها تطور الأبحاث العلمية وهي ضرورة الانفتاح على حقول معرفية أخرى، قد تكون مغذية للحقل القانوني، ولم لا، ضخ الاجتهادات القانونية في حقول علمية أخرى كعلم الاجتماع، الذي يهتم هو أيضا بالخبرة بشكل عام، باعتبارها مفهوما من مفاهيم الدولة الحديثة[3]، وبالتالي تتحدد مطالب هذا المقال كمساهمة في تناول وفق مقاربة سوسيولوجية الإطار القانوني المنظم لعمل الخبرة القضائية. ثممدى إمكانيةتجاوز القراءات التقليدية للمفهوم وفق هذه المقاربة. وأخيرا مدى مساهمة كل من العلوم القانونية وعلم الإجتماع في تغذية بعضهما البعض عن طريق هذا المفهوم.

الخبرة القضائية والعلوم الاجتماعية

أولا: ضرورة الانفتاح وحدوده

يكثر الحديث عن الانفتاح بين الحقول المعرفية، سواء في العلوم الطبيعية أو الإنسانية أو الاجتماعية، فالطفرة التي عرفتها الفيزياء مثلا في بداية القرن العشرين، كانت نتيجة التطور الذي حصل في الرياضيات، والإحصاء الذي يعتبر فرعا عن هذا الرياضيات انعكس على الكيمياء، بل وانعكس أيضا على العلوم الإنسانية والاجتماعية وتحديدا علمي الاجتماع والاقتصاد، ولا يخفى أن هناك علاقة وثيقة بين الأنثروبولوجيا والتاريخ، إلخ. من هنا، فالانفتاح بين حقلي السوسيولوجيا والقانون هو شكل من أشكال إعادة النظر في مفهوم الخبرة الذي نحن بصدده. إلا أنه وبالرغم من هذا الانفتاح لابد أيضا من التأكيد على احترام الحدود المعرفية والمنهجية لهذا الموضوع، الذي ستتم مقاربته من زاوية سوسيولوجية بالرغم من أن مادته قانونية، وعليه، فإن هناك احتياط منهجي لابد منه، كي لا يتم الانجرار وراء تحليل سوسيولوجي فارغ من مادته الأساسية، أو قراءة قانونية جامدة يغيب فيها البعد النقدي. إن هذا الاحتياط المنهجي سببه هو ذلك الكم الهائل من المراجع والدراسات والأبحاث والمقالات حول موضوع الخبرة القضائية، بحيث يمكن القول إن الباحث يستعصي عليه حصر هذه الإنتاجات، ناهيك عن الإلمام بها درسا وتحليلا ومناقشة، فكم هي القضايا التي تم تناولها ضمن مجال الخبرة القضائية؟ وكم من الدراسات في كل قضية على حدة؟ من الخبرة في قانون المسطرة المدنية إلى الخبرة الجنائية، بالمقابل ذلك الخصاص الكبير إن لم نقل الفراغ من حيث الدراسات والأبحاث حول مفهوم الخبرة من زاوية سوسيولوجية وطنيا وعربيا، مع أن المفهوم تم تناوله في الدول الغربية مبكرا وبعدد وافر من الكتابات والإنتاجات العلمية[4].

إن انفتاح السوسيولوجيا على الخبرة القضائية من أهدافه النظر كيف تم تطوير المفهوم وضبطه، وكذا كيف تم ترسيم حدوده من جهة الاستقلالية والموضوعية والنزاهة، حيث لا وجود لروابط مادية أو مصالح عاطفية مع أحد أطراف النزاع، علاوة على ذلك يمكن الطعن في الخبراء لنفس الأسباب عند القضاة. وبالتالي يبدو من الضروري المساهمة في الكشف بشكل واضح عن نموذج الخبرة القضائية، وما إذا كان ممكنا الاستلهام منها لتنظيم الخبرة في العلوم الاجتماعية. ولتحقيق هذه الغاية، لابد من التأكيد على أنه وبالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت الخبرة في القضاء إلا هذا المقال سيعتمد على مرجعين أساسين[5]، نظرا لأهميتهما القصوى، فالمرجع الأول يوفر المادة القانونية التي يمكن اعتمادها للتحليل، والمرجع الثاني هو اجتهاد لخبير دولي[6] ساهم إلى حد بعيد في تعميق النقاش حول الموضوع والرفع من سقفه.

ثانيا: الخبرة القضائية بالمغرب كحاجة ملحة ومساعدة بحيادية

يمكن اعتبار الحقل القانوني والمنظومة القضائية مجالا واسعا تناول هذا المفهوم بحرفية ودقة كبيرة تستدعي التوقف معها قدر الإمكان، بقراءة فاحصة لمجموعة أحكام قضائية أونصوص قانونية، والنظر كيف نظمت هذه الأخيرة عمل الخبرة وكيف وضعت حدودا للخبير، فهذا الإحتكاك بتلك النصوص والأحكام القضائية قد يساهم بشكل كبير في ضبط المفهوم سوسيولوجيا ومن المحتمل أن تتحقق تغذية راجعة بين الحقلين معا من خلال المفهوم ذاته، فكيف تم تحديد الخبرة في القانون المغربي؟ وما هي وضعية الخبير المفوض لدى المحاكم المغربية؟

أ- الخبير والقاضي: مساعدة بدون تفويض في السلطة

يمكن اعتبار الخبرة من أهم الإجراءات المساعدة للقضاء والتي يأمر بها القاضي في ظروف خاصة وشروط معينة قصد إجراء تحقيق في مسائل فنية، فلا يمكن للمحكمة أن تبث في النزاع المعروض عليها دون توضيح لتلك المسائل من الأشخاص ذوي المعارف الخاصة كي تستطيع الحكم فيها بارتياح، "فلا يمكن أن تقوم العدالة بدون خبراء"[7]. وقد عرف بعض الفقهاء القانونيين الخبرة القضائية بأنها "إجراء للتحقيق يعهد به القاضي إلى شخص مختص ينعت بالخبير، ليقوم بمهمة محددة تتعلق بواقعة أو وقائع مادية يستلزم بحثها أو تقديرها أو على العموم إبداء رأي يتعلق بها علما أو فنا لا يتوفر في الشخص العادي، ليقدم له بيانا أو رأيا فنيا لا يستطيع القاضي الوصول إليه وحده"[8]. لذلك فالخبير في القضاء لا يعتمد فقط على المعرفة النظرية، بل يجب أن تتوفر لديه "القدرة على تطبيق القواعد أو المعرفة النظرية على الحالات الواقعية"[9].

وإذا تم استحضار أن **العلم والتقنية يتطوران**، سينتج عن هذا الوضع شرط آخر، وهو وجود مختصين كما يحدد ذلك التعريف، لكنهم ملزمين بمواكبة المستجدات العلمية والتقنية، وهذه المواكبة هي لاستجلاء اللبس والغموض المحيط بالمسائل التقنية والفنية في موضوع الخبرة،وهي أيضا ما يجعل القاضي يبث انطلاقا مما هو ثابت علميا ليريح ضميره ويحقق العدالة المرجوة. وقد اهتم المشرع المغربي بالخبرة القضائية شأنه في ذلك شأن باقي التشريعات المعاصرة، وأفرد لها نصوصا خاصة "من المادة 59 إلى المادة 66 من قانون المسطرة المدنية المعدلة بمقتضى قانون 00 – 85 والمواد من 194 إلى المادة 209 من قانون المادة الجنائية"[10]، كما توجد قواعد أخرى أساسية

تنظمها في فروع قانونية كثيرة، كالقانون المدني والتجاري، أو قانون الجنسية والقانون الجنائي، والمؤكد هو أن من سمات الخبرة أنها وسيلة من وسائل الإثبات ذات الطابع العلمي التي لا يمكن للمحكمة الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.

إن أنماط العيش وأساليب الحياة تتطور وتتشعب، الشيء الذي أفرز تخصصات متعددة وكثيرة جدا وفي مجالات متنوعة كالطب والبيولوجيا والمحاسبة والطبوغرافيا والهندسة المعمارية، إلخ، وهو ما يجعل القاضي -الذي في الأساس تكوينه قانوني-مهما بلغ تكوينه العلمي والمعرفي غير قادر على مواكبة هذا التطور في كل هذه المسائل التقنية والفنية. ولهذا فالخبرة إجراء للتحقيق يتميز عن باقي إجراءات التحقيقات القضائية، كالأبحاث التمهيدية واليمين وشهادة الشهود والقرائن، إلخ، ولذلك فأطراف النزاع عبر موكليهم يلجؤون للخبرة كوسيلة للدفاع عن ادعاءاتهم، ويلجأ إليها القاضي من أجل استجلاء الصورة وجمع كافة العناصر والأدلة والبراهين التي يستعين بها، من أجل الفصل في النزاع المعروض عليه. وهو ما خوله المشرع المغربي للقاضي ضمن سلطته التقديرية إما تلقائيا او باقتراح من طرف من أطراف النزاع أو كلاهما معا، **غير أن المشرع المغربي لا يجيز أن تتحول الخبرة إلى حائط قصير يلجأ إليه القاضي ليلقي من خلاله مهامه على غيره وهو ما سيعتبر تفويضا من السلطة القضائية للخبراء.** في هذا الإطار عبر المجلس الأعلى للقضاء بالقول أن: "مهمة الخبير الذي تعينه المحكمة تنحصر في جلاء أمر تقني يرى القاضي الإطلاع عليه ضروريا للفصل في النزاع المعروض عليه، أما الإجراءات التي تتعلق بالقانون كمعرفة الأرض المتنازع عليها، هل هي من الأملاك الخاصة أو من أملاك الدولة أو الجماعات، وهل المدعوون يتصرفون في الأرض عن طريق المنفعة والاستغلال فقط أو عن طريق التملك، فهذه كلها إجراءات قانونية من صميم أعمال القاضي الذي لا يجوز أن يتنازل عنها للغير أو يفوض النظر فيها إليه"[11].

ب- تنظيم الخبرة: بين الحاجة الملحة والبطء في الإجراء

هذا وقد نظم المشرع المغربي عمل هذه المهنة واعتبرها حرة، لكنها تشارك في خدمة عمومية وتنير القضاء، حيث تم تعريف الخبير بكونه "المختص الذي يتولى بتكليف من المحكمة التحقيق في نقط تقنية وفنية"[12]. غير أن النظر إلى موضوع الخبرة يفرز بعض الملاحظات الأساسية، وأهمها تلك التي تؤكد على أهميتها ودورها الكبير في استجلاء الحقيقة بالنسبة للقاضي وهو ما سبق بيانه، لكنها تسجل بطء إجراءاتها المعقدة، بل وتضيف نفقات إضافية ومرهقة للمتنازعين البسطاء، فهناك قضايا يتم تأجيلها لأشهر وربما لسنوات لحين حصول المحكمة على تقرير الخبير والذي قد لا تعتمده في آخر المطاف، بسبب أن رأي ودور الخبير مجرد دور استشاري وليس تقريري، فهو رأي للاستئناس وغير ملزم، و"المحكمة ليست ملزمة بالأخذ بما توصل إليه الخبير"[13]. ومهما يكن القول، فإن هذا التوتر بين الحاجة للخبرة والبطء في عملياتها أو كلفتها، **لا يدفع باتجاه تجاهلها بل التفكير في آليات تطوير عملها.** فدواعي الاستعانة بالخبراء لا يمكن حصرها، فهي في تزايد مستمر، بل إن دورها يتعاظم وما هو إلا نتيجة للتطور الذي سبق الحديث عنه في شتى المجالات الاقتصادية والتقنية والعقارية والصناعية، حيث أصبح من المتعذر على القاضي مسايرة هذه التطورات بمفرده دون الاستعانة بذوي الاختصاص.

ثالثا: الخبرة بلغة المشرع، بين مطلب التعليل والدقة والوضوح

لقد تم ضبط مفهوم الخبرة من طرف المشرع وتقنينه[14] حتى لا يتم التلاعب به، لما يملكه من حجية وتنوير لإحدى السلط الثلاث. لذا فالمشرع المغربي يحدد الغاية من حضور الخبرة في القضاء، حيث يروم نحو تحقيق المحاكمة العادلة، إذ المتتبع للعمل القضائي يستنتج هذا الحرص على تحقيق هاته الغاية، وعليه فقد تم نقض أحكام استئنافية كثيرة قضت بها محاكم استئناف مغربية لدى محكمة النقض، أو نقض جزئي، مع الإحالة على نفس الهيئة من أجل إعادة المحاكمة، والسبب الرئيس كان في نظر محكمة النقض هو عدم الاحترام الكلي أو الجزئي للمساطر المدنية أو الجنائية في موضوع الخبرة.

لقد سبق القول أن الخبرة كإجراء إنما يدخل ضمن السلطة التقديرية للقاضي نظرا لاستحالة إلمامه بكل التطورات التي تعرفها أنماط العيش والحياة، اقتصاديا واجتماعيا وفنيا، إلخ، وهي ليست مجرد وسيلة علمية رهن إشارة القاضي، بل هي "من وسائل الإثبات المنصوص عليها في القانون"[15]، وكثيرا ما تلجأ المحكمة إلى خبراء في موضوع بعيد كل البعد عن القانون وينتمي إلى حقل علمي آخر كالخبرة النفسية مثلا، وحيث أن الخبرة بشكل عام غير ملزمة للقاضي، بل على سبيل الإستئناس، فيمكن للمحكمة أن تأخذ ما تطمئن إليه وتطرح ما عداه، وهنا تكمن إشكالية أجاب عنها المشرع بذكاء، حيث أن القاضي قد يطرح أشياء وهي ليست من فنه أو اختصاصه، وقد يبدو هذا استعمال سيئا لسلطته التقديرية، من هذا المنطلق ألزم المشرع على المحكمة "إبراز الأسس التي اعتمدتها"[16] حين أخذت ما يعزز اطمئنانها وطرحت ما عداه،إنها دعوة لتبرير القرار.

وإذا كانتإحدى غايات هذا المقال هي استلهام الريادة القضائية والقانونية في موضوع الخبرة، وضخها في العلوم الاجتماعية الأخرى وعلى رأسها علم الاجتماع، فإن الأسطر الأخيرة تدفع للتساؤل بقوة، هل تبرر الجهات الراعية التي تمول عددا من الدراسات والخبرات[17] الأسس التي جعلتها تأخذ خبرة ما أو سبب رفضها؟

أ- حدود الخبير: الحياد والموضوعية وعدم التفويض

وضع المشرع حدودا للخبير واضحة حتى لا يتم تجاوز المهمات والنقط والحدود المرسومة له، فهناك ضوابط قانونية من بينها أنه عند مباشرة عملية إنجاز الخبرة، فإن عليه أن يتحلى "الإلتزام بالموضوعية وتحديد بدقة الأسس والمعايير المعتمدة"[18]. ناهيك عن مواصفات أخرى تم استخلاصها من القوانين المنظمة لعمل الخبير كالحياد ومراعاة المقتضيات القانونية والمرجعية لموضوع الخبرة، ومن حق الخبير أيضا أن يلجأ إلى جميع الوسائل التقنية المعمول بها نظرا للتطور الذي تعرفه الحياة كما سبقت الإشارة إلى ذلك في شتى المجالات.

ووجب أيضا هنا التذكير أن الدراسات السوسيولوجية تحدثت عن الخبرة كاختصاص وكفاءة[19]، وفي هذا الباب يلاحظ دقة المشرع المغربي في التمييز بين الخبير والمختص، حيث أن الخبير المسجل لدى هيئة المحكمة ضمن اختصاص محدد قد تلجأ إليه المحكمة في قضية لا تدخل اختصاصه، فيلجأ بدوره إلى الاستعانة بمختص في المجال المتنازع حوله كالمسح العقاري مثلا، هنا تعتبر محكمة النقض أن الحكم الذي بني على هذه الوضعية من طرف إحدى

محاكم الإستئناف المغربية منقوض حيث أنه "يستعان في المسائل الفنية بأهلها، وأن تعليل المحكمة لحكمها المبني على الخبرة، بأن الخبير استعان بذوي الاختصاص تعليل فاسد وهو بمثابة انعدامه مما يعرضه للنقض"[20].

إن من أهم الدروس التي يستفاد منها مرة أخرى من خلال هذا النص، أن التفويض في المهام يهدم الخبرة من أساسها، الشيء الذي يفرض مجموعة تساؤلات حول مصداقية الخبرات في العلوم الإجتماعية التي تنجز لصالح مؤسسات وطنية أو دولية، ذلك أن العديد من الخبراء سواء كانوا سوسيولوجيين أو إحصائيين أو اقتصاديين يفوضون لمحققين ميدانيين إجراء بحوث وتحقيقات عبر مقابلات فردية مثلا أو بؤرية، وقد يكون لذلك أسبابا عديدة من بينها، صعوبات ميدانية، إذ أن الميدان المبحوث قد يكون موزعا في نقط جغرافية متعددة، وبسبب المدة الزمنية المحددة سلفا لعملية إجراء الخبرة يضطر معها الخبير أو مكتب الدراسات الإستعانة بطلبة وباحثين يفوض لهم الإجراءات الميدانية، غير أن هذا التكليف أو التفويض قد لا يفي بالهدف الذي جاءت من أجله الخبرة، خاصة وأن بعض المحققين لم تحصل لهم درجة التشبع المعرفي والمنهجي لإجراء الأبحاث الميدانية أو المقابلات. وإذن، فما استقرت عليه اجتهادات محكمة النقض يبدو صوابا لأنه يتوافق تماما مع النصوص التشريعية لكن الإكراهات التي تعترض الدراسات الإجتماعية تجعلها هي أيضا تلجأ إلى تلك الحلول التي سبق الحديث عنها والتي يمليها على الخبير ميدان البحث والدراسة.

ب- المنازعة في الخبرة: المطالبة بالتعليل

إن الحكم في القضايا يأتي بناء على اقتناع هيئة المحكمة، وقد تحتاج هذه القناعة كي تتشكل إلى إجراء خبرة ثانية، لكن إجراءها "لا يعني عدم اقتناع بالخبرة الأولى"[21]، بل هو زيادة في الإطمئنان وتدخل ضمن السلطة التقديرية للقاضي، غير أن محكمة الموضوع مطالبة مرة أخرى "بتعليل قرارها"[22]. فالخبرة مجرد وسيلة يستعين بها القاضي وتدخل ضمن اختصاصه، غير أنها ليست حجة قاطعة، بل تخضع للتمحيص ويمكن التنازع فيها، انطلاقا من التنازع في المعطيات والبيانات التي يقدمها الخبير، ولذلك فالمشرع المغربي يعتبر أن "اكتفاء المحكمة بما أثبته الخبير في تقريره وعدم البحث في صحته رغم المنازعة فيه يجعل قرارها ناقص التعليل الموازي لانعدامه"[23]. إذ أن هناك من قد يطعن في الخبرة أو يثير سؤالا حول مدى اختصاص صاحبها\الخبير، لذا اعتبر المشرع أن: "مناقشة اختصاص الخبير هي من قبيل التجريح فيه"[24]. هنا وضح رجال القانون أن العبرة بخبرة ثانية وما قد ينتج عنها من تفاوت هو ليس في نتائجها، بل في الأسس المعتمدة في تقدير الخبراء وإلا فإن الغموض يكتنف الخبرة وتعتبر غامضة وغير مقبولة.

هذا وقد يتطور الأمر بين المتنازعين فيلجأ أحد الطرفين إلى إجراء خبرة خارج التراب المغربي كتقرير "خبرة جينية" مثلا، فالقانون المغربي يعتبره "دليلا قويا"[25]، يفرض على المحكمة أن تجيب على مقدم تلك الخبرة مالم تجر خبرة جينية في الموضوع، وهي بالتالي إن لم تفعل ذلك، يصبح قضاؤها مبني على غير أساس. بل إن المشرع زاد من تسييج الخبير في موضوع الخبرة الأولى والخبرة الثانية، حين اعتبر أن وجود فوارق بينة بينهما يفرض على الخبير الثاني أن يضمن خبرته عناصر المقارنة وما لم يفعل ذلك فـ"تقرير الخبير مطعون فيه"[26]. بل إن المشرع وبالرغم من أن الخبرة لا تمثل إلا رأيا للإستئناس عند القاضي لكنها ستصبح ملزمة له، خاصة عند عدم اقتناعه برأي الخبير الأول، إذ

يوجب رفضه للخبرة الأولى الاستناد إلى عناصر موضوعية، أما إذا انتفت هذه العناصر الموضوعية ولم يحصل الاقتناع برأي الخبير فإنه يصبح لزاما عليه الاحتكام إلى خبرة أخرى.

ج-آجال الطعون: أهمية زمن الخبرة

ومن أهم الدروس المستخلصة في إطار الخبرة القضائية، مسألة آجال الطعون في الخبرة الأولى، ذلك أن المشرع يعتبر حضور الأطراف أثناء إجراءات الخبرة والإدلاء بالمستجدات يعد دليلا على عدم تجريح الخبير، "وعلى من يريد القيام بالتجريح أن يقدم الطلب داخل أجل خمسة أيام من تاريخ التوصل"[27].

هنا تبدو قضية آجال الطعن أو التجريح في الخبرة لها أهميتها القصوى داخل المنظومة القضائية، ولربما للتغيرات التي قد تمس المعطيات خاصة إذا تعلق الأمر بملف طبي مثلا، وقد تبدو مسألة الأجل ليسلها نفس الأهمية في الحقول المعرفية الأخرى، ذلك أن التغيرات في المجال الإجتماعي مثلا، قد لا تسير بنفس السرعة التي تكون بها في موضوعات فنية ضيقة المجال كما هو الحال في الجانب الصحي أو المقاولاتي أو المالي، لكن الثابت هو أن التغير هو أحد المبادئ التي تقوم عليها العلوم الاجتماعية، فإنجاز تقرير خبرة عن"الهدر المدرسي" أو إفلاس مؤسسة تعليمية او مقاولة خاصة زمن جائحة كورونا (Covid-19) مثلا، ليس هو قبلها، وقس على ذلك "عمل الخادمات في البيوت"، و"الأطفال المتخلى عنهم"، إلخ. هنا تنبغي الإشارة إلى أن العديد من الدراسات وتقارير الخبرة تنجز بطلب من مؤسسات عمومية وطنية وأخرى دولية، لكن يتم الاحتفاظ بها ولا يتم نشرها، بل وحتى إذا نشرت فبعد أن تتقادم وتبتعد المعطيات المقدمة فيها عن الزمن الذي جمعت فيه، مما يصعب معه إجراء خبرة أخرى للتحقق من تلك المعطيات ومدى صحتها، وهنا يمكن الإشارة إلى الدراسة التي قامت بها وزارة الوظيفة العمومية حول "الساعة الإضافية" لكنها اكتفت بوعد المواطنين أنها ستنشرها لاحقا ولم تحدد وقتا لذلك[28].

ما ينبغي التأكيد عليه مرة أخرى أنه رغم أن أهمية زمن الخبرة متفاوتة بين القضاء والعلوم الاجتماعية، نظرا للاعتبارات السابقة.

د- نصوص قانونية للإستئناس

عند القراءات المتأنية لُلغة التي كتب بها المشرع النصوص المتعلقة بعمل الخبرة، يمكن استخلاص أن هاته اللغة هي نتاج لتراكم قضائي وتقني يعبر عن احتكاك عميق بالمفهوم،نتج عنه خبرة قانونية به، وتعبر "اجتهادات محكمة النقض"[29]حول الخبرة والخبراء، متنا رصينا يمكن أن يكون أرضية لقراءات نقدية فاحصة تعود بالفائدة على المجال ذاته أو مجالات العلوم الاجتماعية عموما. وفي هذا السياق تسحتضر مجموعة نصوص لتحقيق هذه الغاية.

- النص الأول[30]: "لما اعتمدت المحكمة مضمون الخبرة في تحديد التعويض المستحق للضحية واقتصرت في تعليلها على أنها منطقية وموضوعية دون الأخذ بالاعتبار الدفع الذي أثارته الطاعنة، تكون قد عللت قرارها تعليلا فاسدا يوازي انعدامه".

إن هذا الاجتهاد يعتبر أن ادعاء المنطقية والموضوعية التي تنبني عليها بعض الخبرات لا يعتبر كافيا لتكون القرارات سليمة، ما لم تأخذ بعين الاعتبار الطعون الموجهة للخبرة الأولى، وبناء عليه، يلاحظ المشتغل داخل حقل

علم الاجتماع مثلا، أن بعض تقارير الخبرة التي تقوم بها مؤسسات وطنية أو دولية في قضايا اجتماعية لا يلتفت فيها للنقد الموجه لها، وهو ما يعبر عن غياب أي حوار علمي أو أكاديمي حول طبيعة تلك الخبرات\الدراسات[31]. إن عدم استحضار النقد والنقد المزدوج يضرب في مبدأ المنطقية والموضوعية التي يفترض أنها أساس لأي عمل يدعي العلمية. ذلك أن الاستفراد بنتائج الخبرة وعدم نشرها أو عرضها للفحص الأكاديمي سيجعل القول الذي يعتبرها مجرد خبرة تحت الطلب قول راجح.

- النص الثاني: "تقارير الخبراء لا تأخذ حكم الحجة القاطعة التي لا يمكن الطعن فيها إلا بالزور".

ما يستغرب له في هذا الإطار، كيف أن الخبرة القضائية تبنى أحيانا على تقرير تقني أو علمي أو فني يكون هامش الخطأ فيه ضئيلا نظرا للمقاربة التي تنتمي للعلوم الدقيقة، لكن بالمقابل وفي ميدان الخبرات الاجتماعية، يتم الدفاع عن اختيارات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية استنادا إلى خبرات تم إنجازها من قبل مكاتب دراسات، ويصرح كم من مسؤول للدفاع عن تلك الاختيارات أنها بنيت على خبرة/دراسة معينة، وكأن الخبرة حجة قاطعة لا تقبل الطعن! بالرغم من أن العلوم الإنسانية والاجتماعية عموما تتسم بطابع النسبية فكيف بمكاتب دراسات تفتقر أحيانا لشرط العلمية ويضعف حضور البعد النقدي فيها.

- النص الثالث: "اعتماد الخبير المنجز للخبرة على مجرد تصريحات المطلوب يجعل المحكمة تستبعد ما أسفرت عنه الخبرة".

إن القضاء كي تستقر قناعته بالمحاكمة العادلة لا يسلم بمجرد تصريحات شفهية، بل على الخبير أن يعاين الوقائع بنفسه دون وساطة، الشيء الذي ينتفي في كثير من الخبرات التي تنجزها بعض مكاتب الدراسات باسم العلوم الاجتماعية،فغالبا ما تنجز "خبرات" بناء على تصريحات شفهية تعبأ في استمارات ومقابلات بأسئلة مبنية وموجهة، فقد يقوم الخبير أو المحقق الميدان بطرح أسئلة على المستجوب حول طبيعة ملكيته أو عدد رؤوس ماشيته دون أن يكلف نفسه عناء التحقق من الإجابة في الحقل أو في الإسطبل، وهنا يكمن أحد أبرز الإشكالات في العلوم الاجتماعية وتحديدا علم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

- النص الرابع: "ما انتهت إليه الخبرة مثبت للعلاقة الجنسية ولا يعتبر دليلا أو حجة على استعمال العنف".

يلاحظ هنا كيف الخبير حين أثبت واقعة ما \ (العلاقة الجنسية)، فلا يعني ذلك البناء عليها للخروج بأحكام أخرى كاستعمال العنف أثناء تلك العلاقة المثبتة من جهة الخبير، الشيء الذي يلاحظ في بعض الدراسات الاجتماعية، فقد يتم إجراء خبرة ضمن نطاق محدد، لكن قد يتم توظيف نتائجها بشكل عام على قضايا أخرى أو الخروج بخلاصات واستنتاجات تبدو في ظاهرها منطقية لكنها مجرد تأويل وظن قد يكون مجرد وهم.

- النص الخامس: "إذا تنوزع في استنتاجات تقرير تحليل عينات البضاعة وطلب المتهم من المحكمة إجراء خبرة جديدة فعلى المحكمة عندما تأمر بخبرة جديدة أن تلجأ إلى المختبرات المبينة في القائمة المنصوص عليها لا أن تعهد بها إلى جهة أخرى".

بغض النظر عما يمكن اعتباره "أزمة الخبراء في ظل القانون المغربي"[32]،والتي من المحتمل أن تكون ناتجة عن خلل في المساطر القانونية، يمكن التساؤل عن لوائح الخبراء المعتمدين في مجالات تخصصاتهم والذين تلجأ إليهم

المؤسسات الدولية والوطنية، أم أن مجمل الدراسات تلجأ إلى "خبراء" في إطار شبكة العلاقات بين هؤلاء ورؤساء تلك المؤسسات، بل قد تستحدث مكاتب الدراسات تبعا للحاجة الملحة التي تفرضها تلك العلاقات بين أكاديميين ومستشارين في الوزارات أو المؤسسات الوطنية والدولية.

وأخيرا، إن الخبرة في القانون المغربي تعرف ضبطا من الناحية التشريعية، وبالرغم من الإختلالات التي يمكن أن يعرفها التنزيل على أرض الواقع نظرا لتباين وضعيات الخبراء وإكراهات الواقع، هذا وللخبير الحق في التعبير عن رأيه الشخصي دون أن يتعرض للتهميش، ولو كان رأيه معزولا عن رأي جماعة من الخبراء، غير أن الخبير عليه التوفيق بين التزامه وحيطته في التعامل مع المعطيات السرية، وبين حفاظه على استقلاليته.

علم اجتماع الخبرة بين تنسيب القوانين وتطويرها

أولا: الخبرة والقضاء: العلم مساعد للعدالة

ليس للخبير في القضاء أي إمكانية لإصدار حكم قانوني، لكنه يقدم خبرته ومعرفته للقاضي في قضايا ملموسة، أو ذات طابع تقني مستحضرا ضميره الأخلاقي وموضوعيته وتجرده. وكما سبق في تحديد الدلالة الاشتقاقية للخبير[33]، فقد تمت الإشارة إلى أنه يقدم "حقيقة" تفسر الواقع استنادا إلى خبرته المتصلة بذلك الواقع، غير أن هذه الحقيقة تستخرج مسبقا خارج القانون، من هنا تشكلت علاقة فريدة بين المجالين، بين القانون والخبرة، بين القاضي وخبرائه، وأضحت موضوعا لدراسات متعددة[34]، وأنتجت معرفة ساهمت بشكل كبير في ضبط المفهوم، نظرا للحاجة الملحة إليه، إذ أن الأمر يتعلق بالنزاعات اليومية بين الأفراد كأفراد، وبينهم وبين المؤسسات، أو بين هذه الأخيرة بعضها مع بعض. إن الخبير يراقب الوجود المادي للوقائع، و"إثبات الطابع المادي لحقيقة الأشياء"[35]. هذا الإثبات يحتاج إلى المعرفة العلمية بمستجداتها للكشف عن خبايا الواقعة التي طلبت من أجلها الخبرة، حيث يصبح العلم مساعدا للعدالة، بل يمكن للخبرة المؤسسة على العلم أن تلغي تصورات القاضي السابقة وتحل محلها، ذلك أن هذا الأخير تستعصي عليه الخبرة العلمية كحقيقة عقلانية وموضوعية وتقنية، وهنا يرى "إريك جسبير" أن الحقيقة العلمية التي توجد خارج القانون تحل محل الحقيقة القانونية ذاتها[36]، بل إن بعض الباحثين سيذهب إلى أبعد مدى في هذا الموضوع، إذ يعتبر أن الخبرة وبالرغم من أنها توجد خارج فضاء المحاكم، ورغم أنها لا تقرر نيابة عن القاضي بشكل مباشر، لكنها **قد تقرر بطريقة غير مباشرة قبله وهي من تبني قراره**، "إن العلوم المختصة، بامتلاكها لفضاء اللاقانون (l'espace de non droit) تقدم الخبراء لدى المحاكم، وبالتالي تقرر قبلهم، وبالنيابة عنهم"[37].

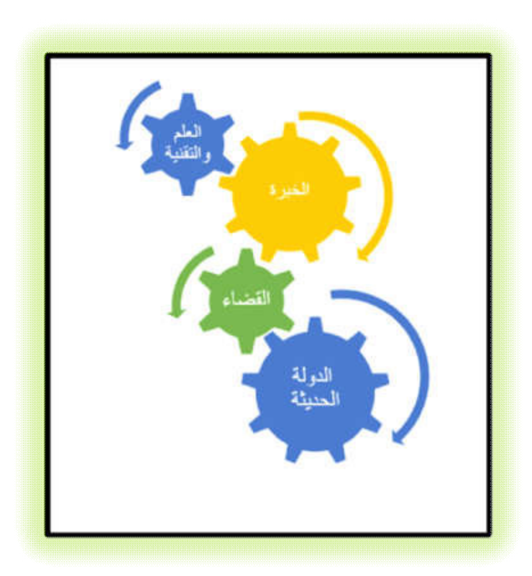
ثانيا: معيار حداثة المؤسسات: خبرة تمحو الحدود بين العلم والقانون

إذا تقرر أن الحدود بين المعرفة والخبرة تبدو ضبابية، إذ أن المفهومين يستقي بعضهما من بعض في وضعيات متعددة، فإن الحدود الفاصلة بين العلم والقانون ليست ضبابية فحسب بل تبدو وهمية. ذلك أن القانون ينفتح على العلم من خلال وسيط رئيسي هو الخبرة، وحيث أن معيار حداثة المؤسسات وعلى رأسها الدولة يكمن في قدرة السيطرة على المخاطر التي تهدد المجتمع، فإنه يصبح من الواجب أن تكون العقلانية العلمية من خلال الخبرة هي عماد البرامج والتدخلات، فحداثة الدولة تقف ضد المصادفة في البرامج والتدخلات، وتقف ضد أي لبس أو شك في

القرارات المصاحبة لها، وهو مطلب لحقيقة أكثر ثباتا، حيث أنها ستقف على آخر تطورات العلم، فالقانون إذن سينفتح على العلم من خلال مفهوم وسيط وهو الخبرة. من هنا سيصبح القانون مفتوحا على الوقائع التي تعيد تجديده بشكل دائم. وسيكون المشرع والقاضي منفتحا أكثر على كل المستجدات، فتطفو على السطح وبطريقة غير مباشرة معرفة علمية مفيدة قانونيا وتشارك في بناء المجتمع الحديث. وهكذا إذن يمكن الحديث عن "محو الحدود بين الميدان القانوني والميدان العلمي"[38]. والشكل التالي يبرز تلك السيرورة التفاعلية التي تنطلق من الواقع بمستجداته فتساهم في تطور العلم والتقنية، اللذان بدورهما يطفوان على سطح القضاء والقانون من خلال مفهوم الخبرة، الشيء الذي يساهم في تطور مفهوم الدولة والمجتمع الحديث.



الشكل 1: سيرورة التفاعل بين مفاهيم (العلم والتقنية، الخبرة، القضاء، الدولة الحديثة، ...).



إن من أكبر الأسئلة الإبستمولوجية التي تطرح هنا، هي ذلك التجاذب الذي يعرفه مفهوم الخبرة بين ما هو تقني وما هو علمي من جهة وبين ما هو قانوني ومؤسساتي من جهة أخرى. **فالخبرة تمثل تلك الثغرة التي ينفذ من خلالها العلم بعقلانيته الخاصة داخل القانون** وداخل أجهزة الدولة والمؤسسات والمنظمات وكل الأشكال التي ابتكرها الإنسان لتنظيم اجتماعه البشري. فالخبرة ليست نشاطا علميا بحثا، لكنها تدمج العلم في القانون ومن ثم تتوقع المخاطر بشكل استباقي وتقرر في خيارات مجتمعية ويصبح حديث السياسي رهين بمستجدات العلم. ويمكن **من خلال هذا النقاش تصور هذه العلاقة التفاعلية بين المعرفة العلمية والقانون والخبرة.** لذلك يجب بكل بساطة تحليل أنماط التفكير الواقعية التي يستخدمها القانونيون كما يطالب بذلك ميشيل تروبير[39].

ثالثا: الخبرة والخيال القانوني

إن الحديث عن المعرفة العلمية في علاقتها بالخبرة، هو حديث أيضا عن آراء بعض الرواد المعاصرين من سوسيولوجيين وفلاسفة وقانونيين ممن يؤسسون هذه العلاقة على الإبداع والابتكار، وعلى قاعدة أفقها رسم مجتمعات تريدها الجهات الراعية، وتجاوز تلك العملية التي تسعى إلى مجرد اكتشاف الظواهر وقوانينها. ومن تم كان الحديث عن خبراء قادرون على إبداع لا واقع اجتماعي افتراضي وجعله واقعيا. في هذا الإطار، ولتطوير هذه الفكرة،

يعتبر البعض أنه في "دولة ما بعد الحداثة" لا ينبغي للقانون أن يكون مجرد صورة عن الواقع[40]، لقد أصبح هناك حديث عن "الخيال القانوني"[41]، وهنا تصبح الخبرة هي الوسيط مرة أخرى لاستنبات عقلانية قانونية مستمدة من عقلانية علمية داخل المجال العام. إن هذا الإنقلاب في الأسس التي يقوم عليها القانون كمنظم للعلاقات الإجتماعية من الواقع إلى الخيال، هو ما سيسهم بحدة حسب إريك جسبير "في وضعية المساءلة العلمية والشك والإتهام للقانون بدل وضعية التبجيل والمعيارية التي يحظى بها"[42]. وهنا لا يمكن تجاوز الجهد الكبير الذي بذله الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني يورغن هابرماس الذي أعاد بناء المبادئ العامة للأخلاق، واعتبر أن تشريع القوانين يكون انطلاقا من تلك الصلة بين العلم والسلطة، وهو ما ينفي عن القانون خاصية التعالي ويجعله خاضعا للتفاعلات داخل المجتمع:"سياسة تداولية، ومفهوم إجرائي ديمقراطي"[43]. هذه السياسة التداولية والإجرائية لا تتم إلا من خلال مجتمع توغلت فيه الخبرة المسلحة بالعلم والتي هي بمثابة الثغرة التي سبق الحديث عنها بين المعرفة العلمية من جهة، وبين التقنية والقانون من جهة أخرى، ومن تم فالمشرع يعكس تلك التفاعلات القائمة داخل المجتمع بين هذه العناصر، والتي حرص يورغن هابرماس على إخراجها إلى واضحة النهار، خاصة في مؤلفه "المعرفة والمصلحة"[44]. ففي المجتمعات الديمقراطية الحديثة أصبح لزاما على المشرع الذي يريد مواجهه وضع المخاطر أن يبدع ويوظف شيئا من الخيال ويدرك جيدا ما يقع في الحياة العامة من تطورات متسارعة، حيث تطرح التساؤلات الحارقة إبان الوضعيات المفاجئة للمجتمعات، كوباء كورونا (كوفيد-19) والإستنساخ، والتعديلات الجينية، والشكوك المرتبطة بالحقول الكهرومغناطيسية الناتجة عن محطات البث اللاسلكي وسط الأحياء السكنية، والألعاب الإلكترونية المدمرة للطفولة وللذاكرة، والتغيرات المناخية، إلخ. وإذا ما تم توسيع دائرة النقاش حول علاقة الخبرة بالمعرفة العلمية، وتحديدا في البعد الفينومينولوجي، يمكن القول بهذا المعنى أن الخبرة العلمية مثلا في القانون المعاصر تنحو إلى بعد ظاهراتي أيضا وتنتج حقيقة عن الواقع.

إن الحياة تزداد تعقيدا ودقة وتنوعا، ومن تم تفرض القراءة القانونية على صاحبها أن يكون متيقظا يراعي الحدود بين العلم والقانون، وهناك سعي حثيث من المختبرات العلمية لتقديم الأدلة، ليس فقط للقانون والقضاء، بل للبحث العلمي، لكن أيضا، لتبرير شرعية خيار مجتمعي، وجعل بعض المخاطر مقبولة اجتماعيا. لقد خلخلت جائحة كورونا (كوفيد-19) مثلا، كل التصورات والسياسات الاجتماعية والإقتصادية، ودفعت بقوة نحو التفكير في تغيير مجموعة من البرامج والاستراتيجيات، وقد لوحظ كيف تم التوجه نحو (التعليم عن بعد) مثلا، والذي رغم مخاطره حسب بعض التربويين خاصة بالنسبة للتعليم الأولي والإبتدائي، إلا أن هناك سعي نحو جعله تعليما مقبولا اجتماعيا، وهو ما تختص به اليوم المواد التقنية، والتشريعات القانونية والمذكرات والبلاغات المنظمة لعمل القطاعات الوزارية، وهنا يمكن القول "إن وظيفة البينة القانونية هي العمل على إثبات حقيقة ما اجتماعيا"[45]. هذا البعد الظاهراتي للمعرفة العلمية والتقنية هو ما عبر عنه الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل بقوله إن "كل معرفة تبدأ مع الخبرة لكنها لا تنشأ عنها"[46] وهي عبارة ذات دلالة عميقة في إطار بناء معرفة اجتماعية وخيار مجتمعي يبدأ من الخبرة بالظواهر وجعلها مقبولة اجتماعيا ومبررة شرعيا وقانونيا.

رابعا: تنسيب ومعيارية القوانين بالعلم

تصبح الحاجة ماسة إذن لخبراء ممسكين بالعلم وقادرين على جعله جاهزا وقابلا للاستعمال، مع النظر إليه بشكل استباقي كمجال يتداخل فيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكذا الأخلاقي. ثم إن الوعي بهذا المفهوم يجعل أصحاب القرار يدمجون العلم من خلال الخبرة في الفضاء العام. هذه النظرة الإلزامية للعلم في المجتمع تجعل الفاعلين من الخبير إلى المقرر المؤسساتي، يعون جيدا معنى حداثة القانون. فالمعرفة العلمية في لحظة معينة تصبح معيارا حديثا للقانون الذي يحرص على ضبط العلاقات داخل المجتمع، وهذا الأخير يسيطر فيه التقنو–علم، ومن ثمة، فإن القانون يصدر حكمه مستمدا جذوره من العلم، من خلال تحديده لإطار الخبرة العلمية الجيدة، وتوقعاتها، وحتى غاياتها، وهذا لا يتحقق إلا في سياق عام يطبع الشك في الفرضيات والنتائج ناهيك عن الأحكام المسبقة. **فقد ولى العصر الذي كان فيه القانون يتأسس على مبدأ لا يتغير**، إذ يمكن الإستنتاج أن هناك محاولات لنزع صفة الشرعية عن الحقيقة القضائية التي يكون القاضي سيدا لها، أو على الأقل تنسيبها، **إن نزع الشرعية أو تنسيبها يكون بالخبرة وهي أساسية هنا لتقارب "حقيقتان". "الحقيقة العلمية" و"الحقيقة القانونية"**[47]. فإذا كانت الحقائق العلمية مؤشر عليها بطابع النسبية فإن "الحقيقة القانونية" المستمدة من العلم والتي تتدخل الخبرة في عملية بنائها أحق بهذا التنسيب أيضا. ويتأكد هذا مع استحضار مساهمات مفكرين[48]وخبراء قانونيين الذين يعتبرون أن القانون لا ينبغي أن يكون جامدا، بل متحركا ومتغيرا، ونسبيا تبعا للقواعد الأخلاقية والثقافية والإقتصادية للمجتمع التي هي متغيرة وتعرف التحول.

خلاصة:

حاول هذا المقال أن يجيب على مطلبين، مطلب يبرز أهمية الإنفتاح على العلوم القانونية ومدى ما تكشفه عن علاقة بين الخبير والقاضي، فهذا الأخير لا يمكنه اعتبار الخبرة حائطا قصيرا يمكنه من تفويض المهام، كما أن تنظيم عمل الخبرة يعكس ذلك التراكم الذي أثله القضاء في الموضوع، وهو ما يستشف أيضا في لغة المشرع المتسمة بالدقة والوضوح، ثم ذلك الدرس العميق الذي يمكن استخلاصه من الخبرة القضائية وضخه في العلوم الاجتماعية، من خلال بعض النصوص الصادرة عن أعلى سلطة قضائية. وأما المطلب الثاني فهو لإبراز فاعلية الخبرة في تنسيب القوانين، وكيف يمكن اعتبار المفهوم معيارا لحداثة المؤسسات من خلال محو الحدود بين العلم والقانون،**فهذا الأخير لايمكن أن يكون حديثا إلا بالقدر الذي ينفتح على العلم عبر الخبرة.**

---

[1] هي إحدى خلاصات الفصلين الأول والثاني من بحث الدكتوراه الموسوم ب:"سوسيولوجيا الخبرة في المؤسسات الدولية، بين المعرفة النظرية والأبحاث الميدانية: قراءة في بعض دراسات الخبرة للبنك الدولي بالمغرب"

[2] ميشيل تروبير، فلسفة القانون، ترجمة جورج سعد، دار الأنوار، بيروت، ص: 16.

[3] من أبرز من اعتبر أن الخبرة من مفاهيم الدولة الحديثة هناك "كورين دلماس" أنظر:

- Corinne Delmas, Sociologie politique de l'expertise, La Découverte, 9 bis, rue Abel-Hovelacque, 75013, Paris.

[4] يمكن هنا الحديث عن عدد من المراجع الأساسية في الموضوع، من بينها:

- Dubet François, Sociologie de l'expérience, Revue française de sociologie, Année 1996.
- Frédéric Graber, Figures historiques de l'expertise, Tracés, Revue de sciences humaines, N°16/2009.
- Jean-Yves Trepos, la sociologie de l'expertise, 1996, PUF, Paris.
- Rafael Encinas de Munagorri,Quel statut pour l'expert ?, Revue française d'administration publique 2OO2/3(n 103).

[5] الحديث هنا عن المرجعين التاليين:

- الخبرة والخبراء من خلال اجتهادات محكمة النقض، سلسلة إصدارات المكتب الفني، مطبعة الأمنية، الرباط، 2017.
- Eric Naim Gesbert, Droit expertise et société du risque, Revue du droit public et de la science politique en France et à l'étranger, ISSN 0035-2578, N° 1, 2007.

[6] "إريك جسبير" (Eric NaimGesbert)، خبير لدى الأمم المتحدة، وأستاذ محاضر بجامعة لارينيون.

[7] عبد الكريم حمود الرويلي، الخبرة في المواد المدنية والتجارية، منشورات دار زكريت، الدوحة، قطر، 2020، ص: 131.

[8] خالد الشرقاوي السموني "الخبرة القضائية في ضوء قانون المسطرة المدنية والإجتهاد القضائي"، دار النشر المغربية، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة" مؤلفات وأعمال جامعية"، العدد: 7\1998.

[9] آمال عثمان، الخبرة في المسائل الجنائية، دار النهضة العربية، مصر، 1964، ص: 200.

[10] ن. م. س.

[11] لحسن هوايدة، أهم قرارات المجلس الأعلى في نقصان وانعدام التعليل الجزء الأول المادة الجنائية، دار القلم، 2002، ص 171، القرار صادر بتاريخ 30 ماي 1982.

[12] خالد الشرقاوي السموني، الخبرة القضائية في ضوء قانون المسطرة المدنية والاجتهاد القضائي، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة" مؤلفات وأعمال جامعية"، العدد 7، دار النشر المغربية، سنة 1998، القانون رقم 00 – 45 المتعلق بالخبراء القضائيين.

[13] الخبرة والخبراء من خلال اجتهادات محكمة النقض، سلسلة إصدارات المكتب الفني، مطبعة الأمنية، الرباط، 2017، ص 49

[14] "عملية التقنين في عمومها هي عملية تقنية مصاحبة لعملية التشريع"، من محاضرة ل: إدريس الفاسي الفهري، نائب رئيس جامعة القرويين، بفاس. المصدر:

- ادريس الفاسي الفهري، محاضرة، دورة "الثوابت الدينية والهوية المغربية"، مركز روافد للدراسات والابحاث وجامعة ابن طفيل، الإثنين 09 نونبر 2020.

[15] الخبرة والخبراء من خلال اجتهادات محكمة النقض، مرجع سابق، ص: 81

[16] المرجع نفسه، ص: 241

[17] قد تكون هاته الجهات الراعية مؤسسات وطنية من وزارات ومندوبيات ومكاتب عمومية، أو جهات دولية كالبنك الدولي مثلا.

[18] المرجع نفسه، ص: 172

[19] نورالدين لشكر، الباحث والخبير، مقال، العلوم الاجتماعية والتحولات المجتمعية، كتاب جماعي، تنسيق عبد الرحيم العطري، الناشر: مؤسسة مقاربات، مطبعة بلال، فاس، المغرب، 2021.

[20] الخبرة والخبراء من خلال اجتهادات محكمة النقض، مرجع سابق، ص: 29.

[21] المرجع نفسه، ص: 56.

[22] المرجع نفسه، ص: 17

[23] المرجع نفسه، ص: 67.

[24] المرجع نفسه، ص: 81

[25] المرجع نفسه، ص: 130

[26] المرجع نفسه، ص: 255

[27] المرجع نفسه، ص: 325

[28] صرح رئيس الحكومة المغربية أن الدراسة التي أنجزت هي السبب وراء قرار إبقاء الساعة الصيفية، وعندما سأله الصحفي: هل ستنشرون الدراسة؟ أجابه بنعم، فأعاد عليه السؤال مرتين: متى ستنشرونها؟ فرفض رئيس الحكومة إعطاء أي وقت محدد، ولم يقدم أي تفسير لذلك. وقد تم نشر الدراسة على جزأين بعد مدة ليست بالقصيرة، مما صعب عملية التفاعل العمومي مع موضوع كان ساخنا في حينه، فاقتضت السياسة أن تنشر الدراسة بعد فتور في المتابعة أو انشغال المواطنين بقضايا مجتمعية أخرى. المرجع: سعد الدين العثماني، حوار تلفزي، القناة الأولى، يوم الخميس 1 نونبر 2018.

[29] هذه الإجتهادات أخذت من نفس المرجع السابق، الصفحات التالية: 429-442-484-493-491

[30] المرجع السابق.

[31] تحتفظ كل المؤسسات الوطنية والدولية بنتائج خبرتها ولا تنشر منها إلا ما تراه موافقا لسياستها في النشر، بل ويمنع على كل الباحثين الذين ساهموا في تلك الخبرات نشر أي معلومة تتعلق بها.

[32] صرح وزير العدل المغربي محمد أوجار أن وزارة العدل تضع اللمسات الأخيرة على مشروع قانون لتنظيم مهنة الخبرة القضائية. واعتبر أن الوزارة تعمل حاليا على إنهاء هذا المشروع، وأنه من أهم ما سيأتي به هو إحداث هيئة وطنية للخبراء القضائيين، تجمع شتاتهم وتوحد صفوفهم، وأن صياغته تمت بشكل توافقي معهم الخبراء، وسينظم كل جوانب ممارسة المهنة والجهات المكلفة بمراقبة الخبراء. المصدر: محمد أوجار، تصريح بالبرلمان، القناة الأولى المغربية، بتاريخ: 13 ماي 2019.

[33] الفصل الأول من بحث الدكتوراه تم تخصيصه لدلالات الخبير وسياق تشكل مفهوم الخبرة.

[34] من أبرز الكتابات العلمية في الموضوع، المقال الذي أنجزه الخبير لدى الأمم المتحدة، "إريك جسبير" (Eric NaimGesbert)، سبق تعريفه، أنظر:

- Eric Naim Gesbert, Droit expertise et société du risque, O. p, p : 33-50

[35] J.M. Auby et R. Drago, Traité de contentieux administratif, tome II, Paris, LGDJ, (42) 1975, p. 390.

[36] إريك نيم جيسبير، القانون، الخبرة ومجتمع المخاطر، مجلة القانون العام وعلم السياسة، السنة 2007، العدد 1، ترجمة: محمد عرب صاصيلا ووسيم منصوري، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ودار الأمان، الرباط، المغرب.

[37] Serres, Michel, Le contrat naturel, Editions Champs essais, Flammarion, Paris, pp : 58- 59

[38] Eric Naim Gesbert, Droit expertise et société du risque, o. p, p : 33-50.

[39] ميشيل تروبير، فلسفة القانون، ترجمة جورج سعد، دار الأنوار، بيروت، ص: 16.

[40] يستحضر هنا أيضا رواد المنهج التجريبي الذين يعتبرون المعرفة هي قراءة للواقع وإنصات للطبيعة دون تدخل من الباحث.

[41] Philippe Jestaz, Le droit, 10e édition, Paris, Dalloz, 1992, p : 56

[42] Eric Naim Gesbert, Droit expertise et société du risque, o. p, p : 33-50

[43] O. p.

[44] يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر-إبراهيم الحيدري، منشورات الجمل، ط:1، 2001.

[45] D. Amimar, "Preuve et vraisemblance. Contribution à l'étude de la preuve technologique", n°3, 1993, p. 501 - 502.

[46] عبارة "كل معرفة تبدأ مع الخبرة لكن لا تنشأ عنها"، هي ترديد حرفي لنفس العبارة الواردة في مقدمة "نقد العقل الخالص" لكانط، ويقصد بذلك أن الخبرة مرتبطة بالفعل بالتجربة بتعبير كنط، أو بالسياق السيكولوجي لظهورها بتعبير هوسرل، هذا الترديد الحرفي يعبر عن التشابهات العميقة والإتفاق العام بين فينومينولوجيا هوسرل والإبستيمولوجيا الكانطية.

[47] Eric Naim Gesbert, Droit expertise et société du risque, O. p, p : 33-50

[48] يذكر هنا على سبيل المثال الفيلسوف ورجل القانون والسياسي الأمريكي، ذي الأصول النمساوية هانز كلسن (Hans Kelsen، 1881-1973، هاجر للولايات المتحدة مع تصاعد النازية، وكان زميلا لسغموند فرويد، وكتب في علم النفس الإجتماعي وعلم الاجتماع. من أشهر مؤلفاته، النظرية الخالصة للحق، أنظر:

- هانز كلسن، نظرية خالصة للحق، الفصل 3، الحق والأخلاق والعدالة، ترجمة عبد الرزاق القلسي، مؤمنون بلا حدود، 2015، ص: 57-64.
- Hans Kelsen, Théorie pure du droit, traduction française par Ch. Eisen Mann, Dalloz, paris, 1962, et, Revue internationale de droit comparé, Année 1963.

L'enseignement à distance pendant le confinement sanitaire au Maroc

التعلم عن بعد أثناء الحجر الطبي في المغرب

EL HACHIMI ALAOUI MOULAY AHMED

Université Mohamed V, Rabat, Maroc.

E-mail: alaoui72prof@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2021-09-20	2021-06-27	2021-05-23

RESUME

Cet article présente l'enseignement à distance pendant la période du confinement sanitaire au Maroc. Pour comprendre le fonctionnement de ce mode d'enseignement, points forts et lacunes, nous avons réalisé une enquête auprès d'un échantillon composé de trente élèves de première année du baccalauréat et dix enseignant(e)s, spécialité Français, pour la période à partir de 20 Mars 2020 jusqu'au 20 Mars 2021.

Dans ce cadre, nous mettrons d'abord en évidence le contexte de la mise en œuvre de l'enseignement à distance et ses diverses notions. Nous montrerons ensuite le passage de l'enseignement présentiel à l'enseignement à distance pendant la période du confinement sanitaire. Nous présenterons après l'expérience de l'enseignement à distance vécue par les élèves et les enseignants. Pour aboutir finalement aux conclusions résultant de cette nouvelle expérience.

Mots-clés : Enseignementà distance-Confinement sanitaire-Ecole marocaine- Enseignant-Apprenant.

ملخص الدراسة:

يقدم هذا المقال التعلم عن بعد خلال فترة الحجر الصحي في المغرب. لفهم أداء هذا النوع من التعلم ونقاط قوته وضعفه ، أجرينا بحثًا على عينة مكونة من واحد وثلاثين من طلاب البكالوريا وعشرة مدرسين فرنسيين في الفترة الممتدة من 20 مارس 2020 و 20 مارس 2021.

في هذا الإطار ، سنسلط الضوء في المقام الأول على سياق تطبيق التعلم عن بعد ومفاهيمه المختلفة. بعد ذلك سوف نظهر الانتقال من التعلم الحالي إلى التعلم عن بعد خلال فترة انتهاء فترة الحجر الصحي. سنقدم إذن تجربة التعلم عن بعد التي يعيشها الطلاب والمعلمون. أخيرًا ، سوف نتوصل إلى استنتاجات ناتجة عن تجربة للجنسين.

الكلمات المفتاحية: التعلم عن بعد - الحجر الصحي - المدرسة المغربية - المعلم - الطالب

INTRODUCTION

En tant que chercheur dans le domaine des Sciences d'Education, l'analyse des questions relatives à l'enseignement en général nous intéresse certainement. Celle de la gestion des imprévus en particulier, nousincite absolument à en faire un objet d'étude.

L'enseignement à distance adopté récemment par le Ministère de l'EducationNationale, de la Formation professionnelle, de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, pendant la période du confinement sanitaire due à la propagation du Coronavirus (COVID 19) est un fait éducatif de grande importance et d'actualité nationale et internationale.

Nous voudrions comprendre: dans quelle mesure ce procédé répond-t-il aux besoins fondamentaux d'un acte d'enseignement/apprentissage correct? Concernant ses moyens, ses méthodes, l'interaction entre ses protagonistes, leurs impressions sur ce type d'enseignement, etc. Tant de questions que soulève donc la mise en œuvre de ce mode d'enseignement au Maroc.

Connaitre ses lacunes, ses effets et ses perspectives constituent les raisons d'écriture de cet article. Son utilité réside dans le fait qu'il soulève des questions-problématiques à travers lesquelles seront effectuées des recherches académiques notamment en Sciences d'Education.

1. Contexte

Le succès de l'institution scolaire marocaine est la finalité première visée par les diversesréformes éducatives. En effet, la question éducative au Maroc constitue une priorité nationale.

Les événements les plus marquants dans l'histoire du système éducatif marocain sont La Charte Nationale de l'Education et de la Formation (2000), La vision Stratégique (2015-2030) et La Loi-cadre 51-17. L'objectif ultime de ces cadres de référence est d'aboutir à une école attractive, rentable et adaptée au contexte de la société marocaine actuelle.

Effectivement, La Charte qui date du début de l'année 2000 est un document référentiel éducatif,pédagogique et didactique,visant essentiellementà placer l'apprenant au centre de la réflexion et de l'action pédagogique. En ce qui concerne La Vision Stratégique, c'est une feuille de route élaborée pour mettre en œuvre la réforme éducative souhaitée. Laquelle vision a pour finalité majeure d'édifierune nouvelle école reposée principalement sur les principes de l'équité, dela qualité et de la promotion et, encore récemment, La Loi-cadre relative au système éducatif marocain a vu le jour en visant et l'amélioration durable de la qualité de l'éducation et le rayonnement de l'institution scolaire marocaine.

Néanmoins, l'année scolaire 2019-2020 est une année exceptionnelle. En fait; le Maroc, comme tous les pays du monde, a été touché par la crise sanitaire due au Coronavirus (COVID19) détecté pour la première fois au Maroc au mois de mars 2020.

Cette situation pandémique aux effets désastreux et mortelsa exigéau pays de prendre et d'appliquer un ensemble de mesures restrictives pour pouvoir limiter la propagation du virus.Parmi les mesures qui concernent le domaine pédagogique, nouspouvons citer la rupture des cours en présentiel. Le Ministère de l'Education Nationale a mis en place un enseignement de type à distance afin d'assurerla continuité pédagogique.

Cette situation particulière nous pousse à poser les questions ci-après: Comment l'enseignement à distance est-il géré essentiellement par les deux protagonistes de l'acte d'enseignement-apprentissage, l'enseignant et l'enseigné,pendant la période du confinement sanitaire? Quelles en sont les déficiences? Quelle conclusion pourrions-nous tirer de son adoption?

Pour analyser ces questions, nous avons réalisé une enquête auprès d'unéchantillon composé de trenteélèves de première année du baccalauréat et dix professeurs, spécialité Français,à partir du 20 Mars 2020 jusqu'au 20 Mars 2021.

2. L'enseignement à distance

L'enseignement à distance est considéré par la plupart des chercheurs et organismes concernés par l'Education et la Formationcomme un moded'enseignementorganisé qui permet aux apprenants de continuer leurs apprentissagesen dehors de l'institution scolaire suite à des conditionscontraignant leur présence effective.

Il se base sur différentes notions fondamentales parallèlement aux approches pédagogiques existant dans ce cadre. Selon B. Holmberg: "*ce type d'enseignement comprend tous les styles et étapes d'enseignement qui ne sont pas conformes à la supervision directe et continue des enseignants présents avec leurs élèves dans des salles de classes traditionnelles*". (Börje, 2005, p 2)

Il est constitué, bel et bien, de tous les éléments d'un acte éducatif qui lui sont propres et qui font différence entre ce type d'enseignementet le cours présentiel ou «traditionnel».

L'enseignement à distance est défini également par l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences comme "*un système éducatif intégral qui offre aux apprenants d'âges, de qualifications et de lieux de résidence différents, des possibilités égales d'acquérir des informations, des connaissances et des compétences différentes, conformément au concept d'auto-apprentissage, sans dépendre directement de l'enseignant, grâce à une variété de programmes éducatifs électroniques dans lesquels la présence spatiale de l'apprenant ou de l'enseignant n'est pas requise*". (OAE, 2016, p 12)

Cette définition qualifie l'enseignement à distance comme étant un processus éducatif entier. Il est destiné à des apprenants dont les conditions d'apprentissage et de groupement sont difficilement assurées. Elle inclut aussi la notion d'auto-apprentissage qui exige des moyens, des méthodes et des compétences qui lui sont spécifiques. Aussi, l'action pédagogique se réalise à travers des outils électroniques visant à assurer l'égalité d'apprentissage pour tous les bénéficiaires.

Une définition à caractère général est attribuée à ce type d'enseignement. Il englobe toute action éducative destinée aux apprenants qui se trouvent dans des situations ne leur permettant pas d'être présents et de profiter directement de cette action: *"L'enseignement à distance est une description de tout système d'enseignement et d'éducation dans lequel les élèves sont éloignés de leur enseignant la plupart du temps où ils étudient, et l'enseignement à distance est une tentative de fournir des services éducatifs à des groupes qui ne sont pas en mesure d'atteindre ou de fréquenter des établissements et des centres de formation".* (Gharib, 1994, p 103)

Cet éloignement nécessite l'utilisation des moyens technologiques et techniques appropriés afin de rapprocher le savoir aux bénéficiaires et garantir sa diffusion: *"divers moyens sont utilisés dans cette enseignement, allant du matériel imprimé, d'une part, à la diffusion par satellite, d'autre part; à la correspondance, au journalisme, à la radio, au téléphone, à la télévision, à la vidéo audio et aux ordinateurs électroniques, entre les deux*". (Gharib, 1994, p 103)Ces divers outils permettent de multiplier le choix parallèlement aux différences du rythme d'apprentissage entre les apprenants.

L'enseignement à distance est une action éducative qui se passe en dehors de l'institution éducative mais dépendant d'elle.Ce type d'enseignement se basesur un ensemble de caractéristiques telles que: (Gharib, 1994, p 103)

- Peu d'enseignants ont accès à un grand nombre d'élèves.
- Il n'exige pas la construction de nouvelles écoles pour réaliser l'expansion, car on peut investirle temps épargné pour l'utilisation concrète des bâtiments et des dispositifs existants.
- L'apprentissage à distance aide les étudiants à apprendre tout en continuant de gagner leur vie.
- L'enseignement à distance peut permettre de réaliser des économies importantes. Lors de l'élaboration des activités d'enseignement et que le système est stable, un plus grand nombre d'élèves peuvent étudier à un coût minime, de plus, le coût par élève devient si faible.

L'enseignement à distance est donc un mode d'apprentissage qui permet aux élèves decontinuer leurs apprentissages malgré les obstacles imprévus.

Ce type d'enseignement obéit à des principes fondamentaux qui permettent de le distinguer des autres types d'enseignement entre autres l'enseignement présentiel, ainsi:*"Sa philosophie est basée sur le principe de la démocratie de l'enseignement, l'égalité des chances pour tous et le rapprochement du savoir aux groupessociaux qui ne peuvent y accéder. C'est une entrée pour faire adhérerles apprenants et toutes les couches sociales dans la société du savoir*". (OAE, 2016, p 16)

D'après tout ce qui est cité ci-dessus, on peut dire quel'enseignement à distance est un mode d'enseignement exercé dans un contexte spécial. Il est destinéaux élèves dans des

espaces différents afin de poursuivre leurs apprentissages en dehors de l'école.Pour cela, la transmission du savoir a besoin d'une certaine autonomie de la part de l'apprenant.

Le savoir enseigné dans des conditions normales, conditions où l'enseignant et l'apprenant se trouvent en interaction directe, passe cette fois ci, d'une manière indirecte, par voie technologique. Généralement, nous pouvons distinguer *"L'école dématérialisée organisée à distance: dans ce scénario, l'enseignement se fait totalement à distance, comme cela se pratique un peu déjà pour les formations universitaires ou professionnelles" (Bouvier, 2012, p 22)*. Dans cette situation, le transfert du savoir de l'enseignant envers ses apprenants se fait entièrement à distance.

L'alternancepédagogique entre deux modes d'enseignement « à distance» et «en présentiel » est aussi possible. Cette conception caractérise bien évidemmentl' *"Ecole hybride: en plein essor elle aussi, elle combine de façon volontairement conçue et organisée des enseignements à distance et «en présentiel»: ils utilisent les mêmes outils numériques. Les pouvoirs organisateurs conservent d'importantes responsabilités, notamment en tant que prescripteurs. Les mécanismes de régulation sont eux-mêmes mixtes, impliquant les diverses parties prenantes, dans une logique de gouvernance éducative"(Bouvier, 2012, p 22)*. Des points communs et des complémentarités existent donc entre ces deux modes.

Les modèles de l'apprentissage à distance sont nombreux. Nous citons à titre d'exemple:*"L'apprentissage en ligne chevauche la catégorie plus large de l'apprentissage à distance, qui englobe les technologies antérieures telles que les cours par correspondance, la télévision éducative et la vidéoconférence"* (Pollard & Hillage, 2001, p2). Ce modèle d'apprentissage à distance utilise divers moyens pour faire passer le message entre l'enseignant et ses enseignés.

Du surcroit, *"L'apprentissage en ligne est une formation qui est offerte à ses « utilisateurs » au moyen d'un ordinateur ou d'autres appareils électroniques. L'apprentissage en ligne comprend la prestation et l'administration de possibilités d'apprentissage et de soutien par ordinateur, en réseau et sur le Web, afin d'améliorer le rendement et le perfectionnement individuels"*(Pollard & Hillage, 2001, p2). L'apprentissage en ligne est l'un des aspects de l'enseignement à distance dont les moyens, les possibilités et les objectifs d'apprentissage visent surtout le développement personnel du bénéficiaire.

L'enseignement à distance est finalementun mode éducatif virtuel dont les constituants du triangle didactique l'enseignant, l'apprenant et le savoir s'inter-activent différemment, à travers des outils de type technologique. Son utilité réside dans le fait qu'il assure la continuité pédagogique suspendue suite à un obstacle donné. La pandémie constitue,actuellement, l'une des raisons qui orientent l'acte d'enseignement-apprentissage et l'oblige à passer du «présentiel» à celui de «à distance».

3. De l'enseignement présentiel à l'enseignement à distance pendant le confinement sanitaire

La crise sanitaire a obligé l'école marocaine à fermer ses portes dès l'apparition du premier cas infecté par le coronavirus (COVID-19) et faire recours à l'enseignement à distance afin de garantir la continuité pédagogique. D'après Fatima, (enseignante, 31ans): «*Le Coronavirus nous a tous incité, professeurs, élèves…, à quitter les classes, àsuspendre les cours et àrester confinés chez-nous. Alors, nous étions tous mobilisés pour pouvoir continuer et achever les programmes scolaires*.»

La mobilisation du corps enseignant pendant la période du confinement sanitaire est donc nécessaire afin de rassurer aux apprenants l'accomplissement des apprentissages assignésà chaque niveau scolaire.

Pour cela, Le Ministère de l'Education Nationale a entrepris, durant la période deconfinement, un ensemble d'actions d'ordre organisationnel, pédagogique, etc. Celles-ci visent l'adoption d'un enseignement de type à distance comme procédé éducatif jugé incontournable quant àla réponse à la situation d'arrêt des cours exigé par la pandémie.

A l'échelon national, le Ministère a mis à la disposition des apprenants des plateformes numériques «TelmidTice», «Moutamadris», etc. il a mis en œuvreaussi des chaînes télévisées (Arabia TV «La Quatrième», Attaqafia TV), etc. Par le biais de ces moyens, des cours ont été présentés aux élèves de niveaux scolaires différents, notamment les niveaux certifiés. Dans ce cadre, Mariam(élève, 17ans) déclare que: «*pendant le confinement sanitaire, j'ai suivi des cours à distance de langue comme les figures de style et le discours rapporté, l'analyse de l'œuvre ''Antigone'', la production écrite des textes argumentatifs, émis sur la plateforme TelmidTice.*»

L'objectif de ces divers procédés éducatifs mis à la disposition des élèves pendant la période du confinement est donc de leur permettre de continuer leur scolarité en dehors de l'établissement à l'heure du Coronavirus.

A l'échelon régional, les AREF et les Directions Provinciales ont réalisé des cours variés, selon les disciplines enseignées, par des équipes pédagogiques. D'après, Mohamed, (enseignant, 46ans): «*dans le cadre d'assurer la continuité des apprentissages suspendus à cause du Coronavirus, j'ai contribué à la réalisation des cours à distance organisés par notre académie régionale. J'ai présenté des leçons dans diverses activités en rapport avec le programme scolaire de la première année du Baccalauréat. A titre d'exemple, la méthodologie du texte argumentatif relatif à l'activité de production écrite, illustrée par des modèles de rédaction.*»

Les activités enseignées en première année du baccalauréat sont: l''activité de lecture, l'activité de langue, l'activité orale et la production écrite. A travers ces diverses activités, l'apprenant doit acquérir les capacités nécessaires lui permettant de réussir l'examen régional normalisé de fin d'année.

Et, à l'échelon local, chaque établissement scolaire a mis en œuvre le(s) procédé(s) éducatif(s) qu'il juge opportun(s). Selon Younes (élève, 17ans): «*pendant le confinement sanitaire, tous les professeurs de notre établissement nous ont fait des cours à distance. Notre professeur de français nous a créé un groupe WathsApp à travers lequel, il nous envoie des leçons, des audios, des questions et des réponses, des exercices, des corrections, etc. Cela m'a aidé d'avoir un bon résultat à l'examen régional.*»

Selon SalahEddine,(élève, 19ans): «*dans la période de Coronavirus, surtout au début de la pandémie, notre professeur de français nous a fait des cours sous forme d'audios interactives*».

Ainsi les procédés numériquesentre autres WathsApp jouent un rôle crucial dans l'acte d'enseignement/apprentissage. Ils sont adoptés par les enseignants, dans l'enseignement à distance, dans le but de réaliser un ensemble d'opérations pédagogiqueset d'échanges entre l'enseignant et ses apprenants, consistant à transmettre un savoir de la part du premier et recevoir des feedbacks du second via de telle ou telle application.

Ceci dit, l'acte d'apprendre a continué différemment pendant la période du confinement sanitaire. Les enseignant(e)s se sont engagés, chacun de son côté,à réaliser des cours via des applications facilitant l'échange entre l'enseignant et ses apprenants.

L'élément suivant dévoilera les contraintes de l'enseignement à distance à travers l'expérience vécue parles deux protagonistes de cet acte : l'enseignant et l'apprenant.

4. Les contraintes inhérentes à l'enseignement à distance

Malgré les efforts déployés par le Ministère de l'Education Nationale au Maroc, l'enseignement à distance pendant le confinement sanitaire a connu diverses lacunes. D'après Driss(enseignant, 48ans): «*Il ya le problème de l'interaction des élèves : la majorité d'eux ne participent pas aux cours, ils entrent dans le groupe uniquement pour marquer leurs présences.*» Ainsi l'une des lacunes évoquée ici, c'est la participation passive de l'élève qui doit concrétiser son rôleaxial comme le stipuleLa Charte Nationale (2000).

De la part des élèves, l'apprentissage à distance a posé des difficultés d'ordre différent. Selon Hamza, (élève, 16ans) : « *les cours à distance posent deux difficultés : la difficulté financière d'attendre une recharge d'internet pour pouvoir suivre ces cours; et la qualité de la connexion qui est faible dans notre village rural*». Donc, l'échange entre l'élève et son professeur est entravé par des problèmes de type qualité du canal de communication qui est la base de la réussite de ce type d'enseignement. Ceci se confirme parles paroles de Mohamed, (enseignant, 46ans) qui dit: «*Généralement, c'était des problèmes d'ordre technique et logistique: réseau internet, applications défectueuses, taux bas de la participation des élèves*».

La correction des erreurs commises par les apprenants constitue une des opérations pédagogiques permettant de faire avancer les apprentissages. Selon Wafae, (enseignante, 32ans): « *Quelques élèves ne participent pas. Parfois, on ne peut pas écouter tous les*

messages vocaux d'où la difficulté de corriger toutes les fautes».Selon cette enseignante, l'enseignement à distance pose donc une difficulté d'ordre fondamental.

Certains élèves ne possèdent pas l'outil de partage ou son étatest défectueux. C'est le cas de Nora(élève, 17ans) qui dit: « *les difficultés sont: l'absence du téléphone portable.Alors, je suis absente aux moments du cours*». Aussi pour Chaymae, (élève, 17ans): «*pendant le confinement, j'ai rencontré beaucoup de difficultés parce que j'ai un mauvais téléphone*». Par conséquent, Abdellah (enseignant, 51ans) dit: «Un téléphone portable ne permet pas une bonne interaction».

Les lacunes se rapportent donc au canal de communication, à la connexion, à l'outil utilisé lors de la participation au cours à distance, etc.

D'autres lacunes peuvent être ajoutées, c'est ce que nous dit Hamid(enseignant, 56ans): «*opérationnalisation des activités, le caractère virtuel des activités par opposition aux cours présentiels et l'évaluation des activités notamment la production écrite*». Les diverses activités enseignées en première année du baccalauréat ne peuvent être opérationnaliséescar le caractère qui domine dans ce type d'enseignement est virtuel. Cela pose le problème de la relation entre la virtualité etla motivationchez les apprenants. A quel point les apprenants sont-ils motivés et engagés pendant l'enseignement à distance?

Ce type d'enseignement pose aussi des problèmes d'ordre psychologique à propos de la relation entre le groupe des élèves et leurs professeurs. Du côté de l'enseignant, Toufik(enseignant, 36ans) voit que c'est: «*Stressant pour l'enseignant car pour écouter tous les enregistrements, cela lui prend beaucoup de temps*». Du côté de l'élève,Marwa(élève, 17ans) dit: «cet enseignement a besoin de moyens technologiques, de se concentrer beaucoup plus au moment du cours. C'est stressant!».

La compréhension, dans l'apprentissageà distance, a besoin de plus d'efforts afin d'être assimilée et bénéfique.C'est ce queAbdelali(élève, 17ans) dit: «*pendant l'enseignement à distance, j'ai rencontré certaines difficultés d'abord, la compréhension des leçons est devenue plus difficile. Ensuite, cette méthode demande beaucoup d'efforts et enfin elle demande du temps c'est-à-dire l'élève doit rester plusieurs heures en face de son téléphone* ».

Le mode d'enseignement à distance a joué un rôle très important durant la période du confinement sanitaire.Or, pour Abdelhafid(élève, 18ans): « *A mon avis, ce mode d'enseignement est utile et efficace: il assure la prévention de la COVID19. Mais il reste faible. En fait, dans la classe, l'apprentissage est direct entre l'enseignant et l'élève, etdonc les cours sont plus assimilés*».

Conclusion :

L'enseignement à distance mis en œuvre dans le système éducatif marocain, suite à la pandémie due au Coronavirus (COVID19), est un processuséducatif auquel tous les partenaires éducatifs se sont mobilisés. Il a montré son utilité de garantir la continuité pédagogique pendant la période du confinement sanitaire.Néanmoins, Il a besoin d'une

conception claire, d'une planification adéquate et d'une stratégie de communication digitale efficacefacilitant les actions d'enseignement et d'apprentissage respectivement pour l'enseignant et l'enseigné. Ainsi, les questions-problématiques qui déclouent de ce présent article sont les suivantes: dans quelle mesure l'enseignement à distance pourrait-il être bénéfique? L'enseignant et l'enseigné possèdent-ils les compétences technologiques nécessaires et adéquates à la réussite de ce mode d'enseignement? L'apprenant est-il autonome dans ses apprentissages? L'apprenant est-il capable de s'engager dans ce processus? Les conditions de la maison favorisent-elles l'apprentissage à distance?La synchronisation est-elle rétablie?

Bibliographie

-Börje Holmberg, THEORY AND PRACTICE OF DISTANCE EDUCATION, Second édition, n°49, Routledge, London, 2005.

-L'organisation Arabe pour l'Education, la Culture et la Science, Le plan arabe pour l'enseignement à distance, Tunisie, 2016.

-Abdel-Karim GHARIB et autres, Dictionnaire des Sciences de l'Education-Termes de pédagogie et didactique(1) Série des sciences de l'éduction 9-10, Annajahaljadida, Casablanca, Maroc, i1, 1994.

-Alain Bouvier, Esquisse de scénarios pour l'Ecole de 2030, Journal of Quality In Education, N° 3, PublishedBy: AMAQUEN, Novembr 2012.

-Pollard and Hillage, Exploring e-learning, The Institute of Employmentstudies, Report 376, 2001.